الطبعة الرابعة

مَن هُم الأَئِمَّةُ الأَربَعَةُ

ترجمة مُختصرة لأئمة المَذاهِب الفِقهيّة



تأليف

محمود حُسين عوض

تبصير
للنشر والتوزيع

مَنْ هُمُ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

1441هـ / 2020 م

اسم الكتاب: من هم الأئمة الأربعة؟

اسم المؤلف: محمود بن حسين آل عوض

الطبعة الثانية: 1441 هـ/ 2020 م

مقاس الكتاب: 17 × 24

رقم الإيداع: / 7839/ 2019م

الترقيم الدولي : 978-977-6713-02-4



العنوان: ٣ شارع مسجد الفرقان – القناطر الخيرية – القليوبية جمهورية مصر العربية

التليفون: 01102260020 – 01019757010

website: http://tbseir.com twitter: @tabseir Fb: @tbseir

Email: tabseir@gmail.com

مَنْ هُمُ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ؟

ترجمة مختصرة حول أئمة المذاهب الفقهية

تأليف

محمود بن حسين آل عوض

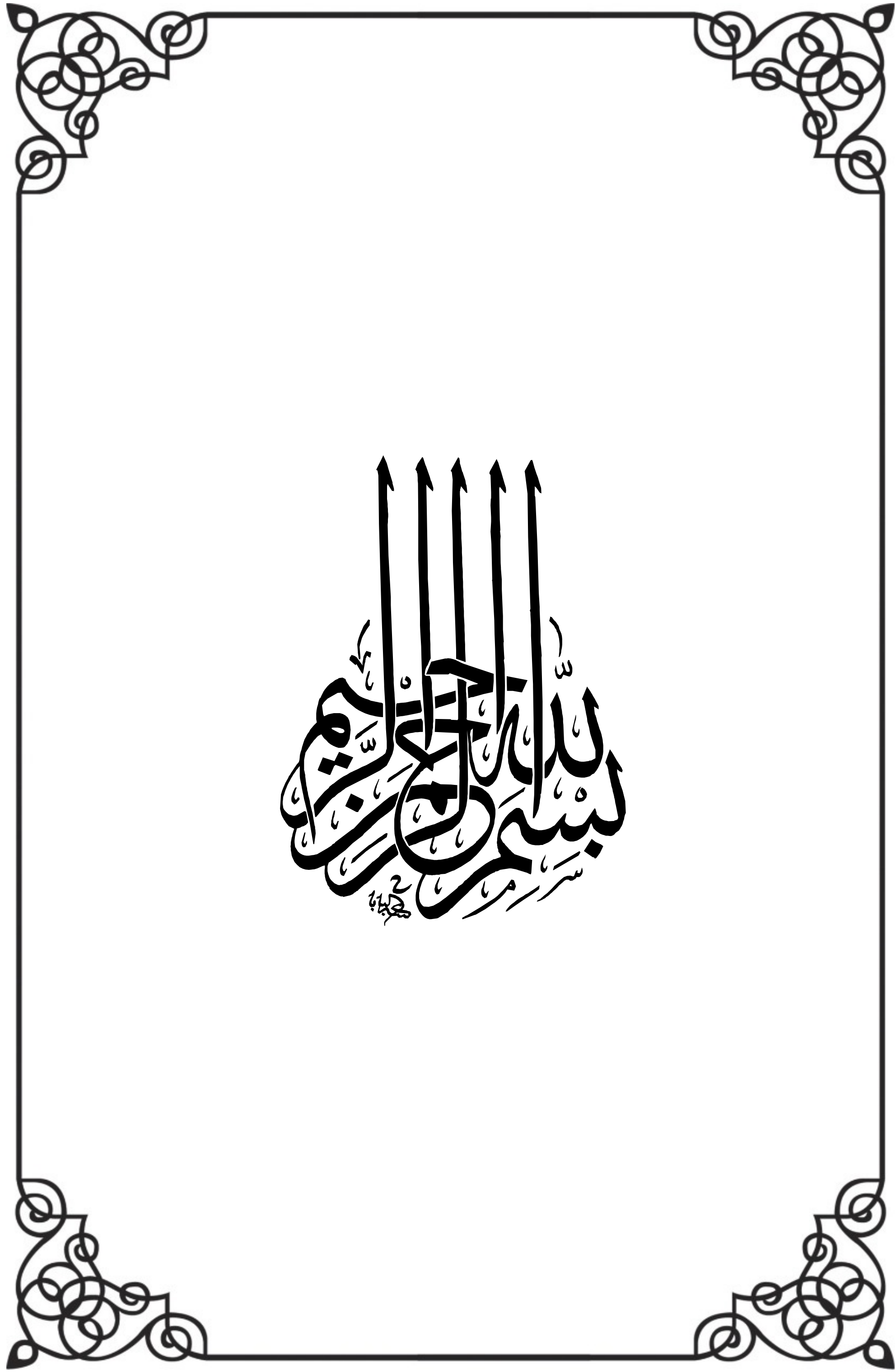
عفا الله عنه



للنشر والتوزيع

تقريب التراث

والرد على الشبهات


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَةٌ

بِاسْمِ اللهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ وَسَلَّمَ، وَبَعْدُ:

فَفِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي نَحْيَاهُ، وَالَّذِي قَدِ ابْتَعَدَ عَنْ زَمَنِ مَعَاصَرَةِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ زَمَنِيًّا، كَمَا ابْتَعَدَ عَنْهُمْ مَنْهَجِيًّا وَفِكْرِيًّا؛ بِسَبَبِ مَا نَزَلَ بِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هُجْرَانٍ لِلْعِلْمِ أَوَّلًا، ثُمَّ تَحْرِيفٍ لَهُ عَلَىٰ يَدِ بَعْضِ أَتْبَاعِهِ؛ مِمَّنْ لَمْ يُحْسِنُوا فَهْمَهُ، فَضْلًا عَنْ تَطْبِيقِهِ ثَانِيًا، ثُمَّ تَغْرِيبٍ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ يَدِ مَنْ لَا يَرْقُبُونَ فِي دِينِ اللهِ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ثَالِثًا، ثُمَّ تَشْكِيكٍ فِي ثَوَابِتِ الدِّينِ عَلَىٰ يَدِ مَنِ اخْتَارَهُمُ الْغَرْبُ عَلَىٰ عَيْنِهِ وَعَلَّمَهُمْ عَلَىٰ يَدِ مُسْتَشْرِقِيهِ؛ حَتَّىٰ خَرَجَ مَنْ يَسُبُّ كُلَّ مَنْ حَمَلَ لِوَاءَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، وَتَدْرِيسًا وَتَصْنِيفًا، بِدَايَةً مِنْ جِيلِ الصَّحَابَةِ إِلَىٰ الْعُلَمَاءِ الْمُعَاصِرِينَ، مُرُورًا بِأَئِمَّةِ الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَظِيمِ، الَّذِينَ سَطَّرُوا لِلْبَشَرِيَّةِ تَارِيخًا عِلْمِيًّا مَا شَهِدَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ قَطُّ فِي دِينٍ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَلَا فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ، فَوَهَبُوا حَيَاتَهُمْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَكَانَ لِزَامًا عَلَيْنَا – وَقَدْ حَمَلْنَا فِي مَرْكَزِ تَبْصِيرٍ شِعَارَ

«تَقْرِيبِ التُّرَاثِ، وَالرَّدِّ عَلَىٰ الشُّبُهَاتِ» - أَنْ نُبَيِّنَ لِلنَّاسِ قَدْرَ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ، وَبَيَانَ تَرَاجِمِهِمُ الْحِسَانِ؛ لِيَتَعَلَّمَ الْمُسْلِمُ مِنْ هَؤُلَاءِ قَبْلَ الْعِلْمِ الْعَمَلَ، وَقَبْلَ التَّكَلُّمِ فِي الدِّينِ الْحَيَاةَ بِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَزْمَانِ؛ لَنْ يَخْرُجَ عَنْ إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: «جَاهِلٍ بِحَالِهِمْ جَهْلًا مُرَكَّبًا»، أَوْ: «حَاسِدٍ لَهُمْ حَاقِدٍ عَلَيْهِمْ» أَوْ: «زِنْدِيقٍ مَأْجُورٍ يُرِيدُ النَّيْلَ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ؛ فَاتَّخَذَ هَؤُلَاءِ لَهُ غَرَضًا».

وَاللهَ نَسْأَلُ أَنْ يَجْزِيَ الشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَحْمُودَ بْنَ حُسَيْنٍ آلَ عَوَضٍ خَيْرَ الْجَزَاءِ عَلَىٰ مَا سَطَرَ، وَعَلَىٰ الْجُهْدِ الَّذِي بَذَلَ؛ فَقَدْ لَبَّىٰ رَغْبَةَ «مَرْكَزِ تَبْصِيرٍ» بِتَصْنِيفِ هَذَا الْكِتَابِ الرَّائِعِ، وَجَمَعَ فِيهِ مِنَ الْآثَارِ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ مَا لَنْ تَجِدَهُ مَجْمُوعًا فِي كِتَابٍ فِي هَذَا الْحَجْمِ الْمُخْتَصَرِ.

فَرَضِيَ اللهُ عَنْ أَئِمَّةِ التُّرَاثِ، وَجَزَاهُمُ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَكَتَبَ

إِدَارَةُ مَرْكَزِ تَبْصِيرٍ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاءُ: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الْأَحْزَابُ: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الْمَائِدَةُ: ٥٥، ٥٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧١].

وَأَوْلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِكَمَالِ الْإِيمَانِ الْأَنْبِيَاءُ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ - فَهُمْ سَادَةُ الْخَلْقِ، صَنَعَهُمُ اللهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ وَاصْطَفَاهُمْ لَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٣٢-٣٤].

وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ بَعْدَهُمُ الْعُلَمَاءُ؛ قَالَ ﷺ:

«... إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

فَـ«كُلُّ أُمَّةٍ قَبْلَ مَبْعَثِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عُلَمَاؤُهَا شِرَارُهَا، إِلَّا الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ عُلَمَاءَهُمْ خِيَارُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ خُلَفَاءُ الرَّسُولِ ﷺ فِي أُمَّتِهِ، وَالْمُحْيُونَ لِمَا مَاتَ مِنْ سُنَّتِهِ، بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ، وَبِهِ قَامُوا، وَبِهِمْ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا»(٢).

فَمُوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْلِ عَقِيدَةِ الْإِيمَانِ وَأَوْثَقِ عُرَاهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ أَوْثَقَ عُرَىٰ الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ»**(٣).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ:

«مَنْ أَعْطَىٰ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَمَنَعَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ»(٤).

---

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» (رَقْم: ٢٢٣)، وَغَيْرُهُ.

(٢) «رَفْعُ الْمَلَامِ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ» (صَحِيفَةُ رَقْم: ٨) لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ: ١٨٥٢٤) وَغَيْرُهُ.

(٤) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْمُ: ١٥٦١٧) وَغَيْرُهُ.

وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ جَلَالَةِ وَإِمَامَةِ الْأَئِمَّةِ الْأَوَائِلِ لَا سِيَّمَا الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ أَصْحَابُ الْمَذَاهِبِ الْفِقْهِيَّةِ الْمَتْبُوعَةِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَتَقْدِيسِهِمْ نُصُوصَ الْوَحْيِ، وَاعْتِمَادِهِمْ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِمَا وَالتَّسْلِيمِ لَهُمَا؛ لِذَلِكَ نَشَرَ اللهُ عُلُومَهُمْ، وَرَفَعَ اللهُ ذِكْرَهُمْ، وَمَهْمَا ذَهَبَ أَحَدُهُمْ إِلَىٰ مَرْجُوحٍ فَإِنَّهُ مَا وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُ عَنْ تَعَمُّدِ الْمُخَالَفَةِ لِلنَّصِّ، بَلْ نَصُّوا جَمِيعًا عَلَىٰ وُجُوبِ الْأَخْذِ بِالدَّلِيلِ وَالرُّجُوعِ لِلْوَحْيِ(١)، وَكَلِمَاتُهُمْ فِي نُصْرَةِ الشَّرِيعَةِ نَاصِعَةٌ.

---

(١) وَإِلَيْكَ أَخِي الْقَارِئَ مِثَالٌ يَتَبَيَّنُ لَكَ بِهِ لِمَ وَقَعَ النِّزَاعُ بَيْنَهُمْ فِي بَعْضِ مَسَائِلِ الْفُرُوعِ (الْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الْفِقْهِيَّةِ) - مَعَ التَّنَبُّهِ إِلَىٰ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي أُصُولِ الْمِلَّةِ وَأَصْلِ الْإِسْلَامِ وَعَقِيدَتِهِ -؛ فَهَذِهِ مَسْأَلَةُ لُبْسِ السَّرَاوِيلِ فِي الْحَجِّ لِمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَارًا:

قَالَ دَاوُدُ بْنُ الْمُحَبَّرِ: «قِيلَ لِأَبِي حَنِيفَةَ: الْمُحْرِمُ لَا يَجِدُ الْإِزَارَ يَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ؟

قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَلْبَسُ الْإِزَارَ. قِيلَ لَهُ: لَيْسَ لَهُ إِزَارٌ. قَالَ: يَبِيعُ السَّرَاوِيلَ وَيَشْتَرِي بِهَا إِزَارًا.

«قِيلَ لَهُ: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ وَقَالَ: «**الْمُحْرِمُ يَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْإِزَارَ**».

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: «لَمْ يَصِحَّ فِي هَذَا عِنْدِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْءٌ فَأُفْتِيَ بِهِ، وَيَنْتَهِي كُلُّ امْرِئٍ إِلَىٰ مَا سَمِعَ، وَقَدْ صَحَّ عِنْدَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ السَّرَاوِيلَ**»، فَنَنْتَهِي إِلَىٰ مَا سَمِعْنَا.

قِيلَ لَهُ: أَتُخَالِفُ النَّبِيَّ ﷺ؟ فَقَالَ: لَعَنَ اللهُ مَنْ يُخَالِفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، بِهِ أَكْرَمَنَا اللهُ وَبِهِ اسْتَنْقَذَنَا».

فَمِنْهُمْ مَنْ أَفْتَىٰ بِهِ لِصِحَّةِ الْإِسْنَادِ عِنْدَهُ أَوْ لِعَدَمِ التَّحَقُّقِ مِنْهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَهُ لِعَدَمِ صِحَّةِ الْإِسْنَادِ؛ فَتَبَيَّنَ لِمَنْ أَنْصَفَ أَنَّهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ وُجُوبِ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ ﷺ حَتَّىٰ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ نِزَاعٌ قَطُّ لِأَجْلِ تَقْدِيمِ أُغْلُوطَاتِ الْعُقُولِ الْمُخَالِفَةِ لِلْوَحْيِ الْمَعْصُومِ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا عَنْهُ ﷺ، بَلْ كَانُوا لَا يَقْبَلُونَ الْخَبَرَ عَنْ سَادَةِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي وُجُودِ الْخَبَرِ عَنْهُ ﷺ؛ فَهَذَا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَكَّةَ يُحَدِّثُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ لَنَا مِنْ دَارٍ؟!**».

=

* «**فَأَوَّلُهُمْ**: الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَقَدْ رَوَىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ أَقْوَالًا شَتَّىٰ وَعِبَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةً، كُلُّهَا تُؤَدِّي إِلَىٰ شَيْءٍ وَاحِدٍ؛ وَهُوَ وُجُوبُ الْأَخْذِ بِالْحَدِيثِ وَتَرْكِ تَقْلِيدِ آرَاءِ الْأَئِمَّةِ الْمُخَالِفَةِ لَهُ:

١ - (إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي). ابْنُ عَابِدِينَ فِي «الْحَاشِيَةِ» (١/ ٦٣).

٢ - (لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ بِقَوْلِنَا مَا لَمْ يَعْلَمْ مَنْ أَيْنَ أَخَذْنَاهُ). ابْنُ عَابِدِينَ فِي «حَاشِيَتِهِ عَلَىٰ الْبَحْرِ الرَّائِقِ» (٦/ ٢٩٣).

=

وَكَانَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ حَاضِرًا، فَقَالَ إِسْحَاقُ: ثَنَا يَزِيدُ عَنِ الْحَسَنِ، وَأَنْبَا أَبُو نُعَيْمٍ وَعَبْدَةُ، عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا يَرَيَانِهِ، وَعَطَاءٌ وَطَاوُسُ لَمْ يَكُونَا يَرَيَانِهِ.

فَقَالَ الشَّافِعِيُّ لِبَعْضِ مَنْ عَرَفَهُ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: هَذَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، ابْنُ رَاهْوَيْهِ الْخُرَاسَانِيُّ.

فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: أَنْتَ الَّذِي يَزْعُمُ أَهْلُ خُرَاسَانَ أَنَّكَ فَقِيهُهُمْ، مَا أَحْوَجَنِي أَنْ يَكُونَ غَيْرُكَ فِي مَوْضِعِكَ، فَكُنْتُ آمُرُ بِعَرْكِ أُذُنَيْهِ؛ أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنْتَ تَقُولُ: قَالَ عَطَاءٌ وَطَاوُسُ، وَهَلْ لِأَحَدٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُجَّةٌ؟!

تَأَمَّلْ كَلَامَهُ، وَتَأَمَّلْ كَلَامَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ:

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَذْهَبُونَ إِلَىٰ رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وَقَالَ أَيْضًا: لَا تُقَلِّدْنِي وَلَا تُقَلِّدْ مَالِكًا وَلَا الشَّافِعِيَّ، وَخُذْ مِنْ حَيْثُ أَخَذْنَا.

وَفِي كَلَامِهِمْ عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لِمَنْ تَهَجَّمَ عَلَيْهِمْ، وَبَرَاءَةٌ مِمَّنِ ادَّعَىٰ الْعِصْمَةَ لَهُمْ، وَيَأْتِي بَسْطٌ لِذَلِكَ فِي التَّمْهِيدِ بَيْنَ يَدَيِ الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: (حَرَامٌ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ دَلِيلِي أَنْ يُفْتِيَ بِكَلَامِي).

زَادَ فِي رِوَايَةٍ: (فَإِنَّنَا بَشَرٌ نَقُولُ الْقَوْلَ الْيَوْمَ وَنَرْجِعُ عَنْهُ غَدًا).

وَفِي أُخْرَىٰ: (وَيْحَكَ يَا يَعْقُوبُ (هُوَ أَبُو يُوسُفَ)! لَا تَكْتُبْ كُلَّ مَا تَسْمَعُ مِنِّي؛ فَإِنِّي قَدْ أَرَىٰ الرَّأْيَ الْيَوْمَ وَأَتْرُكُهُ غَدًا، وَأَرَىٰ الرَّأْيَ غَدًا وَأَتْرُكُهُ بَعْدَ غَدٍ).

٣- (إِذَا قُلْتُ قَوْلًا يُخَالِفُ كِتَابَ اللهِ تَعَالَىٰ وَخَبَرَ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَاتْرُكُوا قَوْلِي). [الْفُلَانِيُّ فِي «الْإِيقَاظِ» (ص ٥٠)].

* ثانيًا: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَمَّا الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ:

١- «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُخْطِئُ وَأُصِيبُ؛ فَانْظُرُوا فِي رَأْيِي؛ فَكُلُّ مَا وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَخُذُوهُ، وَكُلُّ مَا لَمْ يُوَافِقِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَاتْرُكُوهُ». ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْجَامِعِ» (٢/ ٣٢).

٢- «لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ». ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْجَامِعِ» (٢/ ٩١).

٣- قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: «سَمِعْتُ مَالِكًا سُئِلَ عَنْ تَخْلِيلِ أَصَابِعِ الرِّجْلَيْنِ فِي الْوُضُوءِ فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّاسِ. قَالَ: فَتَرَكْتُهُ حَتَّىٰ خَفَّ النَّاسُ فَقُلْتُ لَهُ: عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ سُنَّةٌ. فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَابْنُ لَهِيعَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو الْمُعَافِرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ

الْحَنْبَلِيِّ، عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ الْقُرَشِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْلُكُ بِخِنْصَرِهِ مَا بَيْنَ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ. فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ حَسَنٌ، وَمَا سَمِعْتُ بِهِ قَطُّ إِلَّا السَّاعَةَ. ثُمَّ سَمِعْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ يُسْأَلُ فَيَأْمُرُ بِتَخْلِيلِ الْأَصَابِعِ». «مُقَدِّمَةُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ص ٣١، ٣٢).

*** ثالثًا: الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

وَأَمَّا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَالنُّقُولُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ، وَأَتْبَاعُهُ أَكْثَرُ عَمَلًا بِهَا وَأَسْعَدُ؛ فَمِنْهَا:

١- (مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَتَذْهَبُ عَلَيْهِ سُنَّةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَعْزُبُ عَنْهُ، فَمَهْمَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ أَصَّلْتُ مِنْ أَصْلٍ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ خِلَافُ مَا قُلْتُ؛ فَالْقَوْلُ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَوْلِي). «تَارِيخُ دِمَشْقَ» لِابْنِ عَسَاكِرَ (١٥/ ١/ ٣).

٢- (أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَنِ اسْتَبَانَ لَهُ سُنَّةٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ). [الْفُلَانِيُّ (ص ٦٨)].

٣- (إِذَا وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِي خِلَافَ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَقُولُوا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَدَعُوا مَا قُلْتُ).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَاتَّبِعُوهَا، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَىٰ قَوْلِ أَحَدٍ). النَّوَوِيُّ فِي «الْمَجْمُوعِ» (١/ ٦٣).

٤- (إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي). النَّوَوِيُّ (١/ ٦٣).

٥- (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ مِنِّي، فَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فَأَعْلِمُونِي بِهِ؛ أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ كُوفِيًّا أَوْ بَصْرِيًّا أَوْ شَامِيًّا، حَتَّىٰ أَذْهَبَ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ صَحِيحًا). الْخَطِيبُ فِي «الِاحْتِجَاجِ بِالشَّافِعِيِّ» (٨/ ١).

٦- (كُلُّ مَسْأَلَةٍ صَحَّ فِيهَا الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ بِخِلَافِ مَا قُلْتُ؛ فَأَنَا رَاجِعٌ عَنْهَا فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي). أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (٩/ ١٠٧).

٧- (إِذَا رَأَيْتُمُونِي أَقُولُ قَوْلًا وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ خِلَافُهُ؛ فَاعْلَمُوا أَنَّ عَقْلِي قَدْ ذَهَبَ). ابْنُ عَسَاكِرَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (١٥/ ١٠/ ١).

٨- (كُلُّ مَا قُلْتُ فَكَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ خِلَافُ قَوْلِي مِمَّا يَصِحُّ؛ فَحَدِيثُ النَّبِيِّ أَوْلَىٰ، فَلَا تُقَلِّدُونِي). ابْنُ عَسَاكِرَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (١٥/ ٩/ ٢).

٩- (كُلُّ حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ قَوْلِي وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوهُ مِنِّي). ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٩٣، ٩٤).

*** رابعًا: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وَأَمَّا الْإِمَامُ أَحْمَدُ فَهُوَ أَكْثَرُ الْأَئِمَّةِ جَمْعًا لِلسُّنَّةِ وَتَمَسُّكًا بِهَا، حَتَّىٰ (كَانَ يَكْرَهُ وَضْعَ الْكُتُبِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَىٰ التَّفْرِيعِ وَالرَّأْيِ)؛ وَلِذَلِكَ قَالَ:

١- «لَا تُقَلِّدْنِي وَلَا تُقَلِّدْ مَالِكًا، وَلَا الشَّافِعِيَّ، وَلَا الْأَوْزَاعِيَّ، وَلَا الثَّوْرِيَّ، وَخُذْ مِنْ حَيْثُ أَخَذُوا». ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ» (٢/ ٣٠٢).

وَفِي **رِوَايَةٍ**: «لَا تُقَلِّدْ دِينَكَ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ، مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ

فَخُذْ بِهِ، ثُمَّ التَّابِعِينَ بَعْدُ الرَّجُلُ فِيهِ مُخَيَّرٌ».

وَقَالَ مَرَّةً: «الِاتِّبَاعُ أَنْ يَتْبَعَ الرَّجُلُ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ هُوَ مِنْ بَعْدِ التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ». أَبُو دَاوُدَ فِي «مَسَائِلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (ص ٢٧٦، ٢٧٧).

٢ - «رَأْيُ الْأَوْزَاعِيِّ وَرَأْيُ مَالِكٍ وَرَأْيُ أَبِي حَنِيفَةَ؛ كُلُّهُ رَأْيٌ، وَهُوَ عِنْدِي سَوَاءٌ، وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ فِي الْآثَارِ». ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْجَامِعِ» (٢ / ١٤٩).

٣ - «مَنْ رَدَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ عَلَىٰ شَفَا هَلَكَةٍ». ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمَنَاقِبِ» (ص ١٨٢).

تِلْكَ هِيَ أَقْوَالُ الْأَئِمَّةِ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ - فِي الْأَمْرِ بِالتَّمَسُّكِ بِالْحَدِيثِ، وَالنَّهْيِ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ دُونَ بَصِيرَةٍ، وَهِيَ مِنَ الْوُضُوحِ وَالْبَيَانِ بِحَيْثُ لَا تَقْبَلُ جَدَلًا وَلَا تَأْوِيلًا»[1].

فَهَذِهِ رَكِيزَةٌ اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْأَئِمَّةُ وَجَعَلُوهَا أَصْلًا لِعُلُومِهِمْ، وَهِيَ: وُجُوبُ التَّحَاكُمِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ حَالَ التَّنَازُعِ، وَأَنَّهُ مَتَىٰ وُجِدَ الْأَثَرُ بَطَلَ النَّظَرُ، فَلِذَلِكَ وَقَّرَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَوَالَاهُمْ أَهْلُ الدِّينِ، وَشَنَّعَ عَلَيْهِمُ الْمُجْرِمُونَ وَعَادَاهُمْ مَنْ أَبْغَضَ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَإِيَّاكَ - أَخِي الْكَرِيمَ - أَنْ تَظُنَّ أَنَّ الْحَرْبَ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ قَوْلٍ قَالُوهُ أَوْ لِأَجْلِ مَذْهَبٍ ذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا لِهَذَا التَّمَسُّكِ بِالْوَحْيِ الَّذِي قَرَّرُوهُ فِي كُتُبِهِمْ، وَشَاعَ مِنْهُمْ بَيْنَ طُلَّابِهِمْ؛ وَلِذَلِكَ يُنْبَذُونَ بِالْأُصُولِيِّينَ!

(١) «صِفَةُ صَلَاةِ النَّبِيِّ» (صَحِيفَةُ رَقْم: ٤٦) لِلْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ.

وَالتُّرَاثِيِّينَ! وَ...وَ.

هَذَا جُرْمُهُمْ! وَهَذِهِ جَرِيرَتُهُمْ!

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[الْبُرُوجُ: ٨].

فَشَهَادَةُ الْأُمَّةِ لَهُمْ - لِاتِّبَاعِهِمُ الْوَحْيَ -؛ تُوجِبُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مُوَالَاتَهُمْ، فَحُبُّهُمْ إِيمَانٌ، وَبُغْضُهُمْ وَالشَّنَاعَةُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ مَا قَرَّرُوهُ مِنْ وُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِالْوَحْيِ؛ هُوَ عَيْنُ الْجُحُودِ وَالْكُفْرَانِ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ إِيمَانِ الْعَبْدِ تَتَجَلَّىٰ عَنْ هَذِهِ الْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ؛ وَهِيَ: (مُوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُعَادَاةُ الْكَافِرِينَ)، وَمِنْ بَدِيعِ عِبَارَةِ أَبِي الْوَفَاءِ ابْنِ عَقِيلٍ الْحَنْبَلِيِّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «الْفُنُونِ»[(١)]:

«إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ؛ فَلَا تَنْظُرْ إِلَىٰ زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِـ(لَبَّيْكَ)، وَإِنَّمَا انْظُرْ إِلَىٰ مُوَاطَأَتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ[(٢)]».

وَلَمَّا كَانَ أَفْرَاخُ الْمُسْتَشْرِقِينَ قَدْ دَلَّهُمْ أَعْدَاءُ الْأُمَّةِ عَلَىٰ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ الْوُثْقَىٰ، وَكَلَّفُوهُمْ مَحْوَهَا - وَهَيْهَاتَ! -، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ صِرْنَا نَسْمَعُ مِمَّنْ لَا يُسَاوِي وَزْنُهُ شَيْئًا، وَلَا أَقُولُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: تُرَابًا؛ لِأَنَّ التُّرَابَ يُنْتَفَعُ بِهِ، صِرْنَا نَسْمَعُ مِنْ كُلِّ

---

(١) وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ ضَخْمٌ، قِيلَ: يَبْلُغُ أَرْبَعَ مِائَةِ مُجَلَّدٍ. وَقِيلَ: دُونَ ذَلِكَ. وَطُبِعَ مِنْهُ مُجَلَّدَانِ - وَفِيهِمَا تَصْحِيفَاتٌ شَنِيعَةٌ -، وَنَقَلْنَا عَنْهُ بِوَاسِطَةِ الْإِمَامِ ابْنِ مُفْلِحٍ كَمَا تَرَاهُ مَعْزُوًّا فِي الْحَاشِيَةِ التَّالِيَةِ.

(٢) نَقَلَهُ عَنْهُ الْإِمَامُ ابْنُ مُفْلِحٍ الْحَنْبَلِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ» (١/ ٢٣٧).

عَالَةٍ تَافِهٍ رُوَيْبِضَةٍ التَّنَقُّص عَلَىٰ الْعُلَمَاءِ وَالْأَئِمَّةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ.

وَلَيْسَتْ جَحَافِلُ الْجُحُودِ وَالتَّنَكُّرِ لِدِينِ اللهِ مَنْ أَعْنِي بِكِتَابِي هَذَا، وَإِنَّمَا عَنَيْتُ هَؤُلَاءِ الشَّبِيبَةَ الَّتِي أُرِيدَ مِنْهَا أَنْ تَجْهَلَ مَاضِيَهَا؛ لِكَيْ لَا يَكُونَ لَهُمْ حَاضِرٌ، فَضْلًا عَنْ مُسْتَقْبَلٍ!

وَقَدْ وَصَلَ الْعَدُوُّ فِي مُرَادِهِ لِمَوْطِنٍ غَيْرِ قَرِيبٍ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مُبَشَّرُونَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الْأَنْفَالُ: ٣٦، ٣٧].

لِأَنَّ شَمْسَ النَّهَارِ مَا عَلَيْهَا لِتُبَدِّدَ الظُّلُمَاتِ إِلَّا أَنْ تُشْرِقَ، فَإِذَا أَشْرَقَتْ وَلَّىٰ الظَّلَامُ مُدْبِرًا لَا يُعَقِّبُ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُفُ: ٢١].

فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ شَرَعْتُ فِي كِتَابَةِ كُتَيِّبٍ يَصِلُ لِجُمُوعِ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ ذِكْرُ شَيْءٍ مِمَّا تَجْهَلُهُ جُمُوعُهُمْ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ؛ دِفَاعًا عَنِ الْإِسْلَامِ لَا عَنْهُمْ، وَزَوْدًا عَنِ الدِّينِ الْعَظِيمِ الَّذِي وَرِثُوهُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ وَبَلَّغُوهُ لَنَا دُونَ أَنْ يَنْخَرِمَ مِنْهُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، وَقَصَدْتُ اخْتِصَارَهُ، وَسَهَّلْتُ عِبَارَتَهُ، وَبَسَطْتُ مَوَاضِعَ مِنْهُ؛ مِنْهَا: أَخْلَاقُهُمْ وَدِيَانَتُهُمْ وَعُلُومُهُمْ، وَكَذَلِكَ ذِكْرُ شُيُوخِهِمْ

وَطُلَّابِهِمْ – وَإِنْ لَمْ أَسْتَوْفِ ذَلِكَ، وَلَا قَارَبْتُ اسْتِيفَاءَهُ –، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِتَنْبِيهِ الْقَارِئِ عَلَىٰ جُهُودِهِمْ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، وَهِمَّتِهِمْ فِي تَحَمُّلِهِ وَتَحْمِيلِهِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ حَقَّقْتُهُ تَحْقِيقًا لَمْ يُعْهَدْ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ، وَسَبَرْتُهُ سَبْرًا لَمْ يُعْرَفْ فِي كُتُبِ السِّيَرِ، حَتَّىٰ خَرَجَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ جُهْدَ مُقِلٍّ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ سَبَبًا لِأَدَاءِ وَاجِبِ الْبِرِّ لِدِينِ اللهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَبَبًا لِلنَّجَاةِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.





اسْمُهُ: النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ (بْنِ زُوطَىٰ)[١] بْنِ مَاهٍ الْفَارِسِيُّ، التَّيْمِيُّ مَوْلَاهُمُ، الْكُوفِيُّ.

كُنْيَتُهُ: أَبُو حَنِيفَةَ.

رُتْبَتُهُ: تَابِعِيٌّ[٢] جَلِيلٌ، وَإِمَامٌ مَتْبُوعٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ.

---

(١) وَقِيلَ: النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ (النُّعْمَانِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ). وَهُوَ غَلَطٌ لَا شَكَّ، وَالرِّوَايَةُ بِهِ مَوْضُوعَةٌ لَا صِحَّةَ لَهَا.

(٢) التَّابِعِيُّ: هُوَ كُلُّ مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ، وَقِيلَ: كُلُّ مَنْ صَحِبَهُ وَسَمِعَ مِنْهُ. وَلَا يُطْلَقُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَىٰ التَّابِعِ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَيُقَالُ عَنِ الْوَاحِدِ: تَابِعٌ وَتَابِعِيٌّ، وَالنِّزَاعُ فِي اشْتِرَاطِ الصُّحْبَةِ أَوِ اشْتِرَاطِ اللُّقْيَةِ أَدَّىٰ إِلَىٰ الْخِلَافِ فِي رُتْبَةِ الْإِمَامِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَهُ لِرُتْبَةِ التَّابِعِيِّ؛ **وَهُوَ الصَّحِيحُ**، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ تَبَعِ التَّابِعِينَ.

قَالَ الْجَلَالُ السُّيُوطِيُّ: وَقَفْتُ عَلَىٰ فُتْيَا رُفِعَتْ إِلَىٰ الْحَافِظِ الْوَلِيِّ الْعِرَاقِيِّ صُورَتُهَا: هَلْ رَوَىٰ أَبُو حَنِيفَةَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟ وَهَلْ يُعَدُّ فِي التَّابِعِينَ أَمْ لَا؟ فَأَجَابَ بِمَا نَصُّهُ:

الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ لَمْ تَصِحَّ رِوَايَتُهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَأَىٰ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَمَنْ يَكْتَفِي فِي التَّابِعِيِّ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَةِ الصَّحَابَةِ يَجْعَلُهُ تَابِعِيًّا، وَمَنْ لَا يَكْتَفِي بِذَلِكَ لَا يَعُدُّهُ تَابِعِيًّا. انْظُرْ: «الْحِطَّةَ فِي ذِكْرِ الصِّحَاحِ السِّتَّةِ» (صَحِيفَةَ: ٧٥).

۞ **ذِكْرُ شَيْءٍ عَنْ نَسَبِهِ وَشَرَفِهِ:**

جَدُّهُ: زُوطَىٰ مِن أَهْلِ كَابُلَ، وَقِيلَ: مِنْ أَهْلِ بَابِلَ، وَقِيلَ: مِنَ الْأَنْبَارِ، وَكَانَ مَمْلُوكًا لِبَنِي تَيْمِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَأُعْتِقَ.

وَأَبُوهُ: ثَابِتٌ، وُلِدَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَذَهَبَ ثَابِتٌ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ صَغِيرٌ(١)، فَدَعَا لَهُ بِأَنْ يُبَارِكَ اللهُ فِيهِ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ.

۞ **مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ:**

(٨٠ هِجْرِيًّا - الْمُوَافِقُ: ٦٩٩ مِنَ التَّأْرِيخِ الْمِيلَادِيِّ).

نَشَأَ فِي بَيْتِ عِفَّةٍ وَتَصَوَّن وَكَانَ يَعْمَلُ فِي صِغَرِهِ خَزَّازًا(٢)(٣).

۞ **صُورَتُهُ وَخِلْقَتُهُ:**

مَنْ حَسُنَ بَاطِنُهُ حَسُنَ ظَاهِرُهُ، وَمَنْ حَسُنَتْ سَرِيرَتُهُ حَسُنَتْ صُورَتُهُ، وَهَذَا

---

(١) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ» (صَحِيفَةُ: ١٦)، لِلصَّيْمَرِيِّ، وَ«تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٢٢/ ١٢٣)، وَ«وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ» (٥/ ٤٠٥) لِابْنِ خَلِّكَانَ، وَغَيْرُهُمْ.

فَائِدَةٌ: فِي جُلِّ الْمَصَادِرِ قِصَّةُ أَنَّهُ - أَعْنِي: ثَابِتًا - أَهْدَىٰ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَلْوَىٰ يَوْمَ الْمِهْرَجَانِ أَوِ النَّيْرُوزِ؛ يَعْنِي طَعَامًا يُوَزَّعُ فِي هَذَا الْعِيدِ، وَهُوَ عِيدُ اعْتِدَالِ الْخَرِيفِ! وَفِيهَا أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقَرَّ ذَلِكَ، وَأَسَانِيدُهَا لَا تَخْلُو مِنْ مُتَكَلَّمٍ فِيهِ، وَالْقِصَّةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا لَا تَصِحُّ.

(٢) يَعْنِي: كَانَ قَمَّاشًا، فَالْخَزُّ: الثِّيَابُ، وَالْخَزَّازُ: صَانِعُهُ أَوْ بَائِعُهُ، وَلِلْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ مَوَاقِفُ مَعَ مَنْ يَبْتَاعُ لَهُ، وَمِنْهُ تَدُلُّ عَلَىٰ دِيَانَتِهِ وَوَرَعِهِ - فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً -.

(٣) «الْمَعَارِفُ» (صَحِيفَةُ: ٤٩٥) لِابْنِ قُتَيْبَةَ.

مُشَاهَدٌ فِي الْخَلْقِ، لَا يَنْخَرِمُ فِيهِمْ إِلَّا نَادِرًا.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ الصَّيْمَرِيُّ بِسَنَدِهِ، عَنِ الْبِرْتِيِّ الْقَاضِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نُعَيْمٍ يَقُولُ:

كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ جَمِيلًا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ اللِّحْيَةِ، حَسَنَ الثَّوْبِ - ثُمَّ قَالَ -:

«أَخْبَرَنَا عُمَرُ، قَالَ: ثَنَا مُكْرَمٌ، قَالَ: ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَطِيَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نُعَيْمٍ يَقُولُ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حَسَنَ الْوَجْهِ وَالثَّوْبِ وَالنَّعْلِ، وَالْبِرِّ وَالْمُؤَاسَاةِ لِكُلِّ مَنْ أَطَافَ بِهِ»(١).

وَكَانَ الْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَصِفُهُ بِقَوْلِهِ:

«كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رَبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ، لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ، وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ مَنْطِقًا، وَأَحْلَاهُمْ نَغَمَةً، وَأَبْيَنَهُمْ عَمَّا يُرِيدُ»(٢).

وَكَانَ ذَا سَمْتٍ وَهَيْبَةٍ، يَظْهَرُ ذَلِكَ لِمَنْ رَآهُ، أَوْ جَالَسَهُ، أَوْ كَلَّمَهُ، قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ:

«كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَتَبَيَّنُ عَقْلُهُ فِي مَنْطِقِهِ، وَمِشْيَتِهِ، وَمَدْخَلِهِ، وَمَخْرَجِهِ»(٣).

۞ الظُّرُوفُ السِّيَاسِيَّةُ، وَالاِجْتِمَاعِيَّةُ، وَالدِّينِيَّةُ:

وُلِدَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْأُمَوِيِّ، وَعَاشَ فِي خِلَافَةِ الْأُمَوِيِّينَ؛

---

(١) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ» (صَحِيفَةُ: ١٦) لِلصَّيْمَرِيِّ.

(٢) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ» (صَحِيفَةُ: ١٧)، وَ«تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٣/ ٣٣١).

(٣) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٥/ ٤٩٨).

الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَمِنْ بَعْدِهِ سُلَيْمَانُ وَلَدُهُ، وَمِنْ بَعْدِهِمَا الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَبَعْدَهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدِ، ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ أَخُوهُ، ثُمَّ آخِرُ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَمَرَّتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ الْأَكْبَرُ مِنْ عُمْرِ الْإِمَامِ عَلَىٰ مَا فِيهَا مِنْ حِرَاكٍ سِيَاسِيٍّ شَدِيدٍ لِتَأْتِيَ الْفَتْرَةُ الْأَشَدُّ عَلَيْهِ؛ وَهِيَ خِلَافَةُ الْعَبَّاسِيِّينَ، عِلْمًا بِأَنَّهُ فَارِسِيٌّ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ جُلَّ الْأُمَوِيِّينَ كَانُوا لَا يَرْفَعُونَ بِالشُّعُوبِيِّينَ رَأْسًا، عَلَىٰ الْعَكْسِ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ الَّذِينَ مَكَّنُوا الْفُرْسَ وَنَصَّبُوهُمُ الْمَنَاصِبَ الدِّينِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّةَ وَالْعَسْكَرِيَّةَ، عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ كَانَتْ فَتْرَةُ اضْطِرَابِ الْحُكْمِ الْأُمَوِيِّ وَقِيَامِ الْحُكْمِ الْعَبَّاسِيِّ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ الْإِمَامُ فِي حُكْمِ الْعَبَّاسِيِّينَ؛ هِيَ الْأَصْعَبُ فِي حَيَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَغَيَّرَ فِي حُكْمِ الْعَبَّاسِيِّينَ، وَلَا انْتَهَزَ الْفُرْصَةَ السَّانِحَةَ لَهُ، وَكَانَ يَتَرَفَّعُ عَمَّا يَبْحَثُ عَنْهُ غَيْرُهُ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَاشَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ أَوَّلِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ عَامَ ١٣٢هـ، وَمَاتَ الْإِمَامُ فِي خِلَافَةِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، وَقَدِ امْتَنَعَ امْتِنَاعًا شَدِيدًا – بَلَغَ بِهِ أَنْ حُبِسَ مَرَّاتٍ – مِنْ أَنْ يُنَاصِرَ حَاكِمًا، أَوْ أَنْ يَكُونَ قَاضِيًا لِأَحَدِهِمْ، مَعَ مُحَافَظَتِهِ عَلَىٰ بَثِّ رُوحِ الْإِسْلَامِ بِانْتِظَامِ سِلْكِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالِاعْتِصَامِ بِهَا، مَعَ الْوُقُوفِ فِي وَجْهِ الْخَوَارِجِ، فَمَاتَ يَوْمَ مَاتَ مَرْفُوعَ الرَّأْسِ، ثَابِتَ الْخُطَىٰ، لَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ مَا يُعَابُ عَلَيْهِ فِي فَتْرَةٍ سِيَاسِيَّةٍ مُلْتَهِبَةٍ عَصَفَتْ بِالْكَثِيرِ، وَزَلَّ فِيهَا الْأَكْثَرُ؛ فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْحَيَاةُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ: فَمُنْذُ وُلِدَ وَإِلَىٰ أَنْ مَاتَ كَانَتْ فِي ازْدِهَارٍ؛ لِأَنَّهُ فِي زَمَنِهِ بَنَىٰ بَنُو الْعَبَّاسِ الْمُدُنَ وَشَيَّدُوا الْحُصُونَ، وَتَنَقَّلَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ مِنْ بَلَدٍ لِآخَرَ؛ وَكَانَ ذَلِكَ عَامِلًا فِي هُدُوءِ الْكُوفَةِ وَقِلَّةِ الْأَحْدَاثِ فِيهَا؛ فَإِنَّ الْخِلَافَةَ انْتَقَلَتْ مِنْهَا إِلَىٰ بَغْدَادَ، وَمِنْهَا إِلَىٰ سَامِرَّاءَ، وَمِنْهَا إِلَىٰ الْقَاهِرَةِ، غَيْرَ أَنَّهُ - أَعْنِي الْإِمَامَ - مَا عَاصَرَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا نَقْلَهَا لِبَغْدَادَ عَلَىٰ يَدِ الْخَلِيفَةِ السَّفَّاحِ- هَذَا لَقَبُهُ!- أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ عَبْدِ اللهِ الثَّانِي؛ وَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ؛ وَلِلْإِمَامِ مَعَهُ مَوَاقِفُ تَشْهَدُ لَهُ بِالشَّرَفِ وَالتَّرَفُّعِ، حَتَّىٰ مَاتَ فِي حَبْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا الْحَيَاةُ الدِّينِيَّةُ: فَإِنَّهُ عَاصَرَ زَمَنَ الرِّوَايَةِ، وَتَدْوِينِ الْعُلُومِ وَنَشْرِهَا، وَرَفْعِ الْعُلَمَاءِ وَالْإِعْزَازِ بِهِمْ، إِلَّا مَا نَدَرَ فِي آوِنَةِ الِاضْطِرَابَاتِ الشَّدِيدَةِ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ فِي هَذَا الْوَقْتِ شَغَلَتْ مِنْهُ زَمَنًا كَبِيرًا، غَيْرَ أَنَّ الْكُوفَةَ كَانَتْ هَادِئَةً إِلَىٰ حَدٍّ بَعِيدٍ لِقِلَّةِ الْأَجْنَاسِ بِهَا، وَبُعْدِهَا عَنْ صِرَاعَاتِ الثَّقَافَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ.

۞ سَبَبُ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ:

وَمَنْ طَالَعَ سِيرَةَ الْإِمَامِ فِي مَطْلَعِ حَيَاتِهِ عَلِمَ أَنَّهُ - وَبِشَهَادَتِهِ - قَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ حَوَادِثُ جَعَلَتْ مِنْهُ طَالِبَ عِلْمٍ نَهِمًا فِي الطَّلَبِ، حَرِيصًا عَلَىٰ التَّحْصِيلِ، رَصَدْتُهَا حِينَ طَالَعْتُ مَا كُتِبَ فِي تَرْجَمَتِهِ؛ فَإِنَّ مَا سَمِعَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ لَقِيَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ قِلَّتِهِمْ وَنُدْرَةِ مَا سَمِعَ مِنْهُمْ؛ إِلَّا وَهُوَ يَدْفَعُهُ لِمَا وَصَلَ لَهُ؛ فَهَذَا يَسْمَعُ مِنْهُ مَرْفُوعًا حَثًّا عَلَىٰ الطَّلَبِ، وَهَذَا يَرَاهُ قَائِمًا يُصَلِّي - كَمَا يَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ -، وَهَذَا شَكَّلَ فِيهِ مِنَ النَّهَمِ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ مَا ظَهَرَ مِنْهُ

بَعْدُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ: حَجَجْتُ مَعَ أَبِي سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ، وَلِي سِتَّةَ عَشَرَ سَنَةً، فَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَهْ، مَنْ هَذَا الشَّيْخُ؟

قَالَ: هَذَا رَجُلٌ قَدْ صَحِبَ مُحَمَّدًا ﷺ، يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيُّ.

فَقُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ؟

قَالَ: أَحَادِيثُ سَمِعَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

فَقُلْتُ لَهُ: قَدِّمْنِي إِلَيْهِ حَتَّىٰ أَسْمَعَ مِنْهُ. فَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيَّ، فَجَعَلَ يَفُوحُ النَّاسَ حَتَّىٰ دَنَا مِنْهُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَفَقَّهَ فِي دِينِ اللهِ؛ كَفَاهُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ، **وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»[(١)].

❁ **وَكَانَ مِنْ أَوَّلِ مَا سَمِعَ مِنْ أَنَسٍ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ:**

أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الدَّالُ عَلَىٰ الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ، وَاللهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ**»[(٢)].

وَأَوَّلُ مَا لَقِيَ أَنَسًا لَقِيَهُ فِي الْمَسْجِدِ يُصَلِّي نَافِلَةً، فَرَمَقَهُ فِي صَلَاتِهِ، وَقَالَ:

---

(١) أَخْرَجَهُ الصَّيْمَرِيُّ فِي «أَخْبَارِ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَة: ١٨)، وَفِي إِسْنَادِهِ ابْنُ الصَّلْتِ مُتَكَلَّمٌ فِيهِ.

(٢) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ دُونَ زِيَادَةِ**: «وَاللهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ»، وَهُوَ مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَجَاءَ عَنْ أَنَسٍ بِسَنَدِ الإِمَامِ وَبِغَيْرِهِ عِنْدَ الْبَزَّارِ وَأَبِي يَعْلَىٰ وَغَيْرِهِمَا.

وَسَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ فِي الصَّلَاةِ، فَأَجَابَهُ، فَهَذَا شَكَّلَ فِيهِ عَلَىٰ صِغَرِ سِنِّهِ هِمَّةً لِتَحْصِيلِ الْخَيْرِ وَنَشْرِهِ وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَفَهْمِهِ.

۞ رِحْلَتُهُ لِلْعِلْمِ:

رَحَلَ لِلْعِلْمِ صَغِيرًا، وَأَدْرَكَ سَادَةَ التَّابِعِينَ وَفُقَهَاءَهُمْ، بَلْ لَقِيَ نَفَرًا مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَسَمِعَ مِنْ بَعْضِهِمْ؛ وَمِنْ هَؤُلَاءِ:

١ - أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ أَخْبَرَ الْإِمَامُ - عَنْ نَفْسِهِ - أَنَّهُ رَأَىٰ أَنَسًا وَسَمِعَ مِنْهُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَائِمًا يُصَلِّي»[(١)].

وَأَمَّا سَمَاعُهُ مِنْهُ؛ فَمَا حَدَّثَ بِهِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ**»[(٢)].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَوُلِدَ أَبُو حَنِيفَةَ سَنَةَ ثَمَانِينَ، وَكَانَ بَيْنَ مَوْلِدِهِ إِلَىٰ وَفَاةِ أَنَسٍ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، بَلْ سَمِعَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ مَنْ لَقِيَ أَنَسًا يَقِينًا؛ كَالْإِمَامِ الْأَحْوَصِ بْنِ حَكِيمٍ الشَّامِيِّ، وَهُوَ تَابِعِيٌّ مَشْهُورٌ.

٢ - عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) «مُسْنَدُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٢٤).

(٢) «مُسْنَدُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٢٤).

وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا سَمَاعُهُ مِنْهُ حِينَ حَجَّ مَعَ أَبِيهِ صَغِيرًا، وَهُوَ مُخَرَّجٌ أَيْضًا فِي «مُسْنَدِهِ».

۞ **وَأَدْرَكَ:**

٣ - عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَىٰ الْأَنْصَارِيَّ.

٤ - أَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ.

٥ - سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ.

٦ - **وَقِيلَ**: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ.

وَقِيلَ: لَهُ مَسْمُوعٌ مِنَ الْجَمِيعِ، **وَالصَّوَابُ مَنْ أَثْبَتْنَا رِوَايَتَهُ عَنْهُمْ.**

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ:

«**وَقَدْ كَانَ فِي أَيَّامِهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ**: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَىٰ الْأَنْصَارِيُّ، وَأَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ»(١).

قَالَ الْإِمَامُ الصَّيْمَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَخْبَارِهِ:

«**قَالَ لَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ هِلَالٍ:**

---

(١) «طَبَقَاتُ الْفُقَهَاءِ» (١/ ٨٦) لِلشِّيرَازِيِّ.

فَائِدَةٌ: وَالشِّيرَازِيُّ يُرَجِّحُ أَنَّهُ مَا سَمِعَ مِنْ أَحَدٍ مِمَّنْ لَقِيَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَهُوَ قَوْلٌ انْتَصَرَ لَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُتَرْجِمِينَ لَهُ، وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا كَلَامُ السُّيُوطِيِّ، وَهُوَ مَا رَجَّحَهُ السَّخَاوِيُّ أَيْضًا.

وَقَدْ أَدْرَكَ أَبُو حَنِيفَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَيْضًا: عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَىٰ، وَأَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ، وَهُمَا صَحَابِيَّانِ»[١].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَدْرَكَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَبِهَا يَوْمَئِذٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَىٰ؛ فَإِنَّهُ مَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالِاتِّفَاقِ، وَبِالْبَصْرَةِ يَوْمَئِذٍ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعِينَ أَوْ بَعْدَهَا.

وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ سَعْدٍ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ رَأَىٰ أَنَسًا، وَكَانَ غَيْرُ هَذَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَحْيَاءً فِي الْبِلَادِ، وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ جُزْءًا فِيمَا وَرَدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي حَنِيفَةَ عَنِ الصَّحَابَةِ، لَكِنْ لَا يَخْلُو إِسْنَادُهُ مِنْ ضَعْفٍ، وَالْمُعْتَمَدُ عَلَىٰ إِدْرَاكِهِ مَا تَقَدَّمَ، وَعَلَىٰ رُؤْيَتِهِ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ؛ مَا أَوْرَدَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ»؛ فَهُوَ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ مِنْ طَبَقَةِ التَّابِعِينَ، وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْأَمْصَارِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ؛ كَالْأَوْزَاعِيِّ بِالشَّامِ وَالْحَمَّادَيْنِ بِالْبَصْرَةِ، وَالثَّوْرِيِّ بِالْكُوفَةِ، وَمَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ، وَمُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ الزَّنْجِيِّ بِمَكَّةَ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ بِمِصْرَ»[٢].

غَيْرَ أَنَّهُ طَلَبَ الْعِلْمَ عَلَىٰ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَكَثُرَ سَمَاعُهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ، قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) (صَحِيفَةُ: ١٨).

(٢) «الْحِطَّةُ فِي ذِكْرِ الصِّحَاحِ السِّتَّةِ» (صَحِيفَةُ: ٧٥)، وَنَقَلَهُ قَبْلَهُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِي الْحَنَفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ عَلَىٰ «مُسْنَدِ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةِ: ٥٨١) نَقْلًا عَنْ جَلَالِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ.

«**رَوَىٰ عَنْ**: عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَهُوَ أَكْبَرُ شَيْخٍ لَهُ، وَأَفْضَلُهُمْ - عَلَىٰ مَا قَالَ -.

وَعَنِ: الشَّعْبِيِّ، وَعَنْ: طَاوُسٍ - وَلَمْ يَصِحَّ -.

وَعَنْ: جَبَلَةَ بْنِ سُحَيْمٍ، وَعَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، وَعِكْرِمَةَ - وَفِي لُقِيِّهِ لَهُ نَظَرٌ -، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزَ الْأَعْرَجِ، وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، وَأَبِي سُفْيَانَ طَلْحَةَ بْنِ نَافِعٍ، وَنَافِعٍ مَوْلَىٰ ابْنِ عُمَرَ، وَقَتَادَةَ، وَقَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، وَعَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، وَالْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَمُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، وَالْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، وَعَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، وَعَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، وَحَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ - وَبِهِ تَفَقَّهَ - وَزِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، وَسَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، وَعَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، وَسِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، وَعَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَأَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ، وَابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَأَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ، وَمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، وَمُسْلِمٍ الْبَطِينِ، وَيَزِيدَ بْنِ صُهَيْبٍ الْفَقِيرِ، وَأَبِي الزُّبَيْرِ، وَأَبِي حَصِينٍ الْأَسَدِيِّ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، وَنَاصِحٍ الْمُحَلِّمِيِّ، وَهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَخَلْقٍ سِوَاهُمْ»[(١)].

۞ عُلُومُهُ:

قَدْ نَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ مَرْتَبَةَ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَهِيَ مَرْتَبَةٌ رَفِيعَةٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ، قَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٦/ ٣٩٢).

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجْدَةُ: ٢٤].

وَقَدْ شَهِدَ الْأَئِمَّةُ الْأَوَائِلُ لِلْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِالْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ وَالرُّسُوخِ فِيهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الْكَبِيرُ أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«رَحِمَ اللهُ مَالِكًا كَانَ إِمَامًا، رَحِمَ اللهُ الشَّافِعِيَّ كَانَ إِمَامًا، رَحِمَ اللهُ أَبَا حَنِيفَةَ كَانَ إِمَامًا»(١).

وَتَنَوَّعَتْ عُلُومُهُ، حَتَّىٰ صَارَ لَا يَتَكَلَّمُ فِي فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ إِلَّا وَهُوَ إِمَامٌ فِيهِ، وَشَهِدَ أَقْرَانُهُ لَهُ بِالسَّبْقِ عَلَيْهِمْ، قَالَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ: «طَلَبْتُ مَعَ أَبِي حَنِيفَةَ الْحَدِيثَ، فَغَلَبَنَا، وَأَخَذْنَا فِي الزُّهْدِ، فَبَرَعَ عَلَيْنَا، وَطَلَبْنَا مَعَهُ الْفِقْهَ، فَجَاءَ مِنْهُ مَا تَرَوْنَ»(٢).

بَلْ عُلُومُ الشَّرِيعَةِ عَلَىٰ تَنَوُّعِهَا تَدُورُ فِي صَفْوَةِ الْأَئِمَّةِ وَهُوَ مِنْهُمْ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً -، قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «[.. الْعِلْمُ يَدُورُ عَلَىٰ ثَلَاثَةٍ: مَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ]، بَلْ وَعَلَىٰ سَبْعَةٍ مَعَهُمْ، وَهُمُ: الْأَوْزَاعِيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَمَعْمَرٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَشُعْبَةُ، وَالْحَمَّادَانِ»(٣).

۞ دِرَاسَتُهُ فِي الْحَدِيثِ:

وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ غَيْرُ نَاقِدٍ مِنْ جِهَةِ حِفْظِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ انْشَغَلَ بِالْفِقْهِ فَلَمْ يَجْلِسْ

(١) أَسْنَدَهُ الْإِمَامُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِهِ «الِانْتِقَاءِ» (صَحِيفَةَ: ٣٢).

(٢) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَصَاحِبَيْهِ» (صَحِيفَةُ: ٤٣) لِلْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ.

(٣) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٩٤).

لِلتَّحْدِيثِ، غَيْرَ أَنَّهُ اعْتَنَىٰ فِي أَوَّلِ عُمْرِهِ بِالْحَدِيثِ، وَارْتَحَلَ فِي تَحْصِيلِهِ، قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَعُنِيَ بِطَلَبِ الْآثَارِ، وَارْتَحَلَ فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا الْفِقْهُ وَالتَّدْقِيقُ فِي الرَّأْيِ وَغَوَامِضِهِ؛ فَإِلَيْهِ الْمُنْتَهَىٰ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ عِيَالٌ فِي ذَلِكَ»(١).

وَقَالَ - أَيْضًا -: «إِنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ طَلَبَ الْحَدِيثَ وَأَكْثَرَ مِنْهُ فِي سَنَةِ مِائَةٍ وَبَعْدَهَا»(٢)، وَاسْتَدَلَّ بِتَقْرِيرِهِ هَذَا عَلَىٰ ضَعْفِ بَعْضِ مَا نُسِبَ لَهُ مِنْ زُهْدِهِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ «الْمُمْتِعِ» وَ«طَبَقَاتِ الْحُفَّاظِ الْمُحَدِّثِينَ» مِنْهُمْ - يَعْنِي: مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ -.

وَكَذَلِكَ عَدَّهُ الْحَاكِمُ فِي أَعْيَانِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ؛ قَالَ الْحَاكِمُ فِي كِتَابِهِ «مَعْرِفَةِ عُلُومِ الْحَدِيثِ»: «... مَعْرِفَةُ الْأَئِمَّةِ الثِّقَاتِ الْمَشْهُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ، مِمَّنْ يُجْمَعُ حَدِيثُهُمْ لِلْحِفْظِ، وَالْمُذَاكَرَةِ، وَالتَّبَرُّكِ بِهِمْ، وَبِذِكْرِهِمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْغَرْبِ... [فَعَدَّدَ أَسْمَاءَهُمْ، وَذَكَرَ فِي أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ بِالْكُوفَةِ: الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ]»(٣).

۞ وَشَهِدَ لَهُ بِمَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ الإِمَامُ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ:

قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ إِلَىٰ خُرَاسَانَ، فَقَالَ قُبَيْصَةُ: قَدْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ صَاحِبُ

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٦/ ٣٩٢).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٦/ ٣٩٦).

(٣) «مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ» (صَحِيفَةُ: ٢٤٠)، وَقَدْ رَوَىٰ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ التِّرْمِذِيُّ فِي عِلَلِهِ جَرْحَهُ لِجَابِرٍ الْجُعْفِيِّ.

الدَّعْوَةِ. قَالَ: فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْفِقْهِ، فَقَالَ: إِنَّ الْفِقْهَ صِنَاعَةٌ لِشَابٍّ بِالْكُوفَةِ يُكَنَّىٰ أَبَا حَنِيفَةَ. فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ لَيْسَ يَعْرِفُ الْحَدِيثَ.

فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «كَيْفَ تَقُولُونَ لَهُ: لَا يَعْرِفُ؟! لَقَدْ سُئِلَ عَنِ الرُّطَبِ بِالتَّمْرِ؛ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ. فَقَالُوا: حَدِيثُ سَعْدٍ! فَقَالَ: ذَاكَ حَدِيثٌ شَاذٌّ لَا يُؤْخَذُ، بِرِوَايَةِ زَيْدٍ أَبِي عَيَّاشٍ. فَمَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْحَدِيثَ!»[١].

غَيْرَ أَنَّهُ «لَمْ يَكُنْ هُوَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الْمُكْثِرِينَ كَسَائِرِ الْأَئِمَّةِ، وَلَيْسَ مِنْ شُرُوطِ الْإِمَامَةِ وَالِاجْتِهَادِ الْإِكْثَارُ فِي الرِّوَايَةِ؛ لِأَنَّ الِاجْتِهَادَ إِنَّمَا يَتَوَقَّفُ عَلَىٰ حِفْظِ السُّنَنِ، وَتَحَمُّلِهَا، لَا عَلَىٰ أَدَائِهَا وَتَبْلِيغِهَا.

فَالصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِمَامُ الصَّحَابَةِ، وَأَفْقَهُهُمْ، وَأَحْفَظُهُمْ، لَا يَشُكُّ فِيهِ مُسْلِمٌ؛ لَمْ يُكْثِرْ، وَإِنَّمَا رَوَىٰ أَحَادِيثَ مَعْدُودَةً، وَإِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ بِالْإِجْمَاعِ إِمَامُ الْأَئِمَّةِ وَإِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ مَالِكٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -؛ لَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ «الْمُوَطَّأِ»؛ فَهَلْ يَقُولُ قَائِلٌ فِيهِ شَيْئًا؟!

وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنَّ فِي السُّنَنِ سُنَنًا لَمْ تَبْلُغِ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ، أَوْ بَلَغَتْهُ وَلَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ صِحَّتُهَا، لَكِنْ هَذَا أَمْرٌ لَا يَمَسُّ شَأْنَ الْمُجْتَهِدِ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَرَىٰ رَأْيًا ثُمَّ تَبْلُغُهُ السُّنَّةُ فَيَرْجِعُ، مَعَ أَنَّهُ ثَبَتَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَثَرِ أَنَّ عُمَرَ أَفْقَهُ الصَّحَابَةِ - بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ -»[٢].

---

(١) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٢٦).

(٢) «مَكَانَةُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْحَدِيثِ» (صَحِيفَةُ: ٦٧).

وَفِيهِ قَالَ الْإِمَامُ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ ثِقَةً لَا يُحَدِّثُ بِمَا لَا يَحْفَظُ»(١).

۞ الْفِقْهُ:

«وَأَمَّا الْفِقْهُ وَالتَّدْقِيقُ فِي الرَّأْيِ وَغَوَامِضِهِ؛ فَإِلَيْهِ الْمُنْتَهَىٰ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ عِيَالٌ فِي ذَلِكَ»(٢).

فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بِشْرٍ، قَالَ:

«كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ وَإِلَىٰ سُفْيَانَ - الثَّوْرِيِّ -، فَآتِي أَبَا حَنِيفَةَ فَيَقُولُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟

فَأَقُولُ: مِنْ عِنْدِ سُفْيَانَ.

فَيَقُولُ: لَقَدْ جِئْتَ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَوْ أَنَّ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدَ حَضَرَا لَاحْتَاجَا إِلَىٰ مِثْلِهِ!

فَآتِي سُفْيَانَ، فَيَقُولُ لِي: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟

فَأَقُولُ: مِنْ عِنْدِ أَبِي حَنِيفَةَ.

فَيَقُولُ: لَقَدْ جِئْتَ مِنْ عِنْدِ أَفْقَهِ أَهْلِ الْأَرْضِ»(٣).

وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ: سَمِعْتُ يَحْيَىٰ بْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ يَقُولُ: «لَا نَكْذِبُ اللهَ،

---

(١) «لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ» (٢/ ٤٦٠).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٦/ ٣٩٢).

(٣) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٥/ ٤٥٩).

مَا سَمِعْنَا أَحْسَنَ مِنْ رَأْيِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَخَذْنَا بِأَكْثَرِ أَقْوَالِهِ»[(١)].

قَالَ الشَّافِعِيُّ: «النَّاسُ فِي الْفِقْهِ عِيَالٌ عَلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ».

قُلْتُ - الْقَائِلُ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَىٰ كَلَامِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «الْإِمَامَةُ فِي الْفِقْهِ وَدَقَائِقِهِ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ هَذَا الْإِمَامِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا شَكَّ فِيهِ.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَىٰ دَلِيلِ»[(٢)]

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**فَأَفْقَهُ أَهْلِ الْكُوفَةِ**: عَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَفْقَهُ أَصْحَابِهِمَا: عَلْقَمَةُ، وَأَفْقَهُ أَصْحَابِهِ: إِبْرَاهِيمُ - النَّخَعِيُّ -، وَأَفْقَهُ أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ: حَمَّادٌ، وَأَفْقَهُ أَصْحَابِ حَمَّادٍ: **أَبُو حَنِيفَةَ**، وَأَفْقَهُ أَصْحَابِهِ: أَبُو يُوسُفَ.

وَانْتَشَرَ أَصْحَابُ أَبِي يُوسُفَ فِي الْآفَاقِ، وَأَفْقَهُهُمْ: مُحَمَّدٌ - ابْنُ الْحَسَنِ -، وَأَفْقَهُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ: أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ -»[(٣)].

۞ عَقِيدَتُهُ:

وَالْآثَارُ الْوَارِدَةُ عَنْهُ تَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّتِهِ فِي الْحَقِّ وَمُحَارَبَتِهِ لِأَهْلِ الْبِدَعِ، عَلَىٰ غَيْرِ مَا يَظُنُّهُ الْكَثِيرُ، وَعَمِدْتُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَجَمَعْتُ مِنْهُ مَا يَتَنَاسَبُ مَعَ اخْتِصَارِنَا، وَأَمَّا

(١) «تَارِيخُ الْإِسْلَامِ» (٩/ ٣١٢).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٦/ ٤٠٣).

(٣) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٥/ ٢٣٦).

مَا أُخِذَ عَلَيْهِ فَمِنْهُ مُفْتَرًىٰ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَدْ رَجَعَ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ تَأْخِيرِ الْعَمَلِ عَنْ مُسَمَّىٰ الْإِيمَانِ[١]، وَإِلَيْكَ مَا يَتَبَيَّنُ لَكَ بِهِ طَرِيقَةُ الْإِمَامِ فِي تَلَقِّي الْعَقِيدَةِ وَمُحَارَبَتِهِ مَنْ خَالَفَهَا:

۞ عَقِيدَتُهُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ وَرَدُّهُ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ:

قَالَ نُوحٌ الْجَامِعُ: «قُلْتُ لِأَبِي حَنِيفَةَ: مَا تَقُولُ فِيمَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْأَعْرَاضِ وَالْأَجْسَامِ؟»

فَقَالَ: «مَقَالَاتُ الْفَلَاسِفَةِ، عَلَيْكَ بِالْأَثَرِ وَطَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ؛ فَإِنَّهَا بِدْعَةٌ»[٢].

۞ وَكَانَ يَلْعَنُ رُؤُوسَ أَهْلِ الْبِدَعِ مِمَّنْ أَحْدَثُوا الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ:

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: «لَعَنَ اللهُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ؛ فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ بَابًا إِلَىٰ عِلْمِ الْكَلَامِ»[٣].

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: «قَاتَلَ اللهُ جَهْمَ بْنَ صَفْوَانٍ وَمُقَاتِلَ بْنَ سُلَيْمَانَ؛ هَذَا أَفْرَطَ

---

(١) وَهِيَ هَنَّةٌ عَظِيمَةٌ جَلَبَتْ شُرُورًا كَثِيرَةً عَلَىٰ مَنِ اقْتَدَىٰ بِهِ فِيهَا، وَعَزَاؤُهُ أَنَّهُ كَانَ إِمَامًا فِي الْعَمَلِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، لَا يُعْرَفُ بِمُجُونٍ، وَلَا مَنْ حَوْلَهُ، وَعَلَىٰ تَعْرِيفِهِ يُنَزَّلُ ذَمُّ السَّلَفِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَقَدْ بَسَطْتُ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا «الْجَامِعِ الرَّائِقِ»، فَلْيُرَاجِعْهُ مَنْ أَرَادَ الْبَسْطَ.

(٢) «ذَمُّ الْكَلَامِ» (٢٣١) لِلْهَرَوِيِّ.

(٣) «ذَمُّ الْكَلَامِ» (٢٣٣).

فِي النَّفْيِ، وَهَذَا أَفْرَطَ فِي التَّشْبِيهِ»[(١)].

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ قَالَ: «سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: ذُكِرَ جَهْمٌ فِي مَجْلِسِ أَبِي حَنِيفَةَ فَقَالَ: مَا يَقُولُ؟ قَالُوا: يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ. فَقَالَ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[الْكَهْفُ: ٥]»[(٢)].

۞ عَقِيدَتُهُ فِي عُلُوِّ اللَّهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ:

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي كِتَابِ «الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ» الْمَعْرُوفِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ أَصْحَابِهِ، الَّذِي رَوَوْهُ بِالْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي مُطِيعٍ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَلْخِيِّ: قَالَ: «قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ عَمَّنْ قَالَ: لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ. فَقَالَ: قَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ. قَالَ أَبُو مُطِيعٍ: قُلْتُ: فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَلَكِنَّهُ يَقُولُ: لَا أَدْرِي الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: هُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ فِي أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ، وَأَنَّهُ يُدْعَىٰ مِنْ أَعْلَىٰ لَا مِنْ أَسْفَلَ»[(٣)].

۞ عَقِيدَتُهُ فِي أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ وَرَدُّهُ عَلَى الرَّوَافِضِ:

---

(١) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٣/ ١٦٦)؛ وَانْظُرْ: «فَتْحَ الْبَارِي» (١٣/ ٣٤٥).

(٢) «أُصُولُ الِاعْتِقَادِ» (٢/ ٢٩٨/ ٤٧٢).

(٣) «دَرْءُ التَّعَارُضِ» (٦/ ٢٦٣).

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي حَقِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -: «وَيُحِبُّهُمْ كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ، وَيُبْغِضُهُمْ كُلُّ مُنَافِقٍ شَقِيٍّ»(١).

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: «الْجَمَاعَةُ أَنْ تُفَضِّلَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا وَعُثْمَانَ، وَلَا تَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٢).

وَكَانَ يُجَاهِدُ الرَّوَافِضَ بِلِسَانِهِ قَوِيَّ الْحُجَّةِ أَمَامَهُمْ، حَتَّىٰ إِنَّهُ نَاظَرَ بَعْضَهُمْ فِي بَعْضِ مَا يَقُولُونَ، وَكَانَ آيَةً عِنْدَ النِّقَاشِ وَالْمُجَادَلَةِ لِلْحَقِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «كَانَ رَجُلٌ بِالْكُوفَةِ يَقُولُ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ كَانَ يَهُودِيًّا. فَأَتَاهُ أَبُو حَنِيفَةَ، فَقَالَ: أَتَيْتُكَ خَاطِبًا. قَالَ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِابْنَتِكَ، رَجُلٌ شَرِيفٌ غَنِيٌّ مِنَ الْمَالِ، حَافِظٌ لِكِتَابِ اللهِ، سَخِيٌّ، يَقُومُ اللَّيْلَ فِي رَكْعَةٍ، كَثِيرُ الْبُكَاءِ مِنْ خَوْفِ اللهِ. قَالَ: فِي دُونِ هَذَا مَقْنَعٌ يَا أَبَا حَنِيفَةَ. قَالَ: إِلَّا أَنَّ فِيهِ خَصْلَةً. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: يَهُودِيٌّ. قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! تَأْمُرُنِي أَنْ أُزَوِّجَ ابْنَتِي مِنْ يَهُودِيٍّ؟ قَالَ: لَا تَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَالنَّبِيُّ ﷺ زَوَّجَ ابْنَتَيْهِ مِنْ يَهُودِيٍّ! قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ! فَإِنِّي تَائِبٌ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(٣).

۞ عَقِيدَتُهُ فِي فَضْلِ السَّلَفِ، وَفِي الإِيمَانِ بِالْقَدَرِ وَفِي الْخَوَارِجِ:

---

(١) «الْوَصِيَّةُ مَعَ شَرْحِهَا» (ص: ١٤).

(٢) «الِانْتِقَاءُ فِي فَضَائِلِ الثَّلَاثَةِ الْأَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ» (ص ١٦٣، ١٦٤).

(٣) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٥/ ٤٨٧).

عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَالِمٍ الْبَصْرِيِّ، قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يَقُولُ: «لَقِيتُ عَطَاءً بِمَكَّةَ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ»، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟»، قُلْتُ: «مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ»، قَالَ: «أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا؟» قُلْتُ: «نَعَمْ»، قَالَ: «فَمِنْ أَيِّ الْأَصْنَافِ أَنْتَ؟»، قُلْتُ: «مِمَّنْ لَا يَسُبُّ السَّلَفَ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ، وَلَا يُكَفِّرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ»، قَالَ: فَقَالَ لِي عَطَاءٌ: «عَرَفْتَ فَالْزَمْ»»(١).

❁ وَأَمَّا عَقِيدَتُهُ فِي الْخُرُوجِ وَالْخَوَارِجِ فَتَتَجَلَّى فِي مَوْقِفِهِمْ مِنْهُ:

جَاءَ فِي «مَنَاقِبِ أَبِي حَنِيفَةَ» لِلْمَكِّيِّ مُنَاظَرَاتٌ لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَعَ الْخَوَارِجِ؛ مِنْهَا: «أَنَّ الْخَوَارِجَ لَمَّا ظَهَرُوا عَلَىٰ الْكُوفَةِ أَخَذُوا أَبَا حَنِيفَةَ فَقَالُوا: تُبْ يَا شَيْخُ مِنَ الْكُفْرِ. فَقَالَ: أَنَا تَائِبٌ إِلَىٰ اللهِ مِنْ كُلِّ كُفْرٍ. فَخَلَّوْا عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَّىٰ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّهُ تَابَ مِنَ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ. فَاسْتَرْجَعُوهُ، فَقَالَ رَأْسُهُمْ: يَا شَيْخُ إِنَّمَا تُبْتَ مِنَ الْكُفْرِ، وَتَعْنِي بِهِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: أَبِظَنٍّ تَقُولُ هَذَا أَمْ بِعِلْمٍ؟ فَقَالَ: بَلْ بِظَنٍّ. فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الْحُجُرَاتُ: ١٢]، وَهَذِهِ خَطِيئَةٌ مِنْكَ، وَكُلُّ خَطِيئَةٍ عِنْدَكَ كُفْرٌ، فَتُبْ أَنْتَ أَوَّلًا مِنَ الْكُفْرِ. فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا شَيْخُ، أَنَا تَائِبٌ مِنَ الْكُفْرِ»(٢).

وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مُنَاظَرَةٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ اعْتِقَادَهُمْ فِي تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ

---

(١) «الْحِلْيَةُ» (٣/ ٣١٤).

(٢) «مَنَاقِبُ أَبِي حَنِيفَةَ» لِلْمَكِّيِّ (١٥١، ١٥٢).

بِالْكَبَائِرِ، وَهِيَ مُنَاظَرَةٌ مَاتِعَةٌ، أَخْرَجَهَا الْمَكِّيُّ فِي «مَنَاقِبِ الْإِمَامِ»، وَفِيهَا أَنَّهُمْ جَاؤُوا أَبَا حَنِيفَةَ فَقَالُوا لَهُ:

هَاتَانِ جَنَازَتَانِ عَلَىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ، أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَلِرَجُلٍ شَرِبَ الْخَمْرَ حَتَّىٰ كَظَّتْهُ، وَحَشْرَجَ بِهَا؛ فَمَاتَ غَرَقًا فِي الْخَمْرِ، وَالْأُخْرَىٰ امْرَأَةٌ زَنَتْ حَتَّىٰ إِذَا أَيْقَنَتْ بِالْحَمْلِ قَتَلَتْ نَفْسَهَا. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ: مِنْ أَيِّ الْمِلَلِ كَانَا؟ أَمِنَ الْيَهُودِ؟ قَالُوا: لَا. أَفَمِنَ النَّصَارَىٰ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَفَمِنَ الْمَجُوسِ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: مِنْ أَيِّ الْمِلَلِ كَانَا؟ قَالُوا: مِنَ الْمِلَّةِ الَّتِي تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. قَالَ: فَأَخْبِرُونِي عَنِ الشَّهَادَةِ كَمْ هِيَ مِنَ الْإِيمَانِ؟ ثُلُثٌ أَمْ رُبْعٌ أَمْ خُمْسٌ؟ قَالُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ لَا يَكُونُ ثُلُثًا وَلَا رُبْعًا وَلَا خُمْسًا. قَالَ: فَكَمْ هِيَ مِنَ الْإِيمَانِ؟ قَالُوا: الْإِيمَانُ كُلُّهُ. قَالَ: فَمَا سُؤَالُكُمْ إِيَّايَ عَنْ قَوْمٍ زَعَمْتُمْ وَأَقْرَرْتُمْ أَنَّهُمَا كَانَا مُؤْمِنَيْنِ.

قَالُوا: دَعْنَا عَنْكَ، أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ هُمَا أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: أَمَا إِذَا أَبَيْتُمْ، فَإِنِّي أَقُولُ فِيهِمَا مَا قَالَ نَبِيُّ اللهِ إِبْرَاهِيمُ فِي قَوْمٍ كَانُوا أَعْظَمَ جُرْمًا مِنْهُمْ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إِبْرَاهِيمُ: ٣٦].

وَأَقُولُ فِيهِمَا مَا قَالَ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ فِي قَوْمٍ كَانُوا أَعْظَمَ جُرْمًا مِنْهُمَا: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١١٨].

وَأَقُولُ فِيهِمَا مَا قَالَ نَبِيُّ اللهِ نُوحٌ: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١١١-١١٣].

وَأَقُولُ فِيهِمَا مَا قَالَ نَبِيُّ اللهِ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ -: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُودٌ: ٣١].

قَالَ: «فَأَلْقَوْا السِّلَاحَ وَقَالُوا: تَبَرَّأْنَا مِنْ كُلِّ دِينٍ كُنَّا عَلَيْهِ، وَنَدِينُ اللهَ بِدِينِكَ؛ فَقَدْ آتَاكَ اللهُ فَضْلًا وَحِكْمَةً وَعِلْمًا»(١).

۞ ذَمُّهُ أَهْلَ الْبِدَعِ، وَحَطُّهُ مِنْ قَدْرِهِمْ:

رَوَىٰ الْخَطِيبُ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، قَالَ: «حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ وَكِيعَ بْنَ الْجَرَّاحِ يَقُولُ لِيَحْيَىٰ بْنِ صَالِحٍ الْوَحَّاظِ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا، احْذَرْ الرَّأْيَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يَقُولُ: الْبَوْلُ فِي الْمَسْجِدِ أَحْسَنُ مِنْ بَعْضِ قِيَاسِهِمْ»(٢).

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: «طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ كَانَ يَرَىٰ الْقَدَرَ»(٣).

وَقَدْ خَرَّجَ الطَّحَاوِيُّ عَقِيدَتَهُ عَلَىٰ مَا بَلَغَهُ مِنَ اعْتِقَادِ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَصَاحِبَيْهِ، وَنَقَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَقِيدَتَهُ فِي تَقْرِيرِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ فَقَالَ:

(١) «مَنَاقِبُ أَبِي حَنِيفَةَ» لِلْمَكِّيِّ (صَحِيفَةُ: ١٠٨).

(٢) «الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ» (١/ ٥٠٩، ٥١٠).

(٣) «الطَّبَقَاتُ السَّنِيَّةُ» (١/ ٩٧)، وَانْظُرْ: «أُصُولَ الدِّينِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ١٠٢) فَقَدْ أَشَارَ إِلَىٰ أَقْوَالِهِ الْمَبْثُوثَةِ فِي تَضَاعِيفِ كُتُبِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ بِشَيْءٍ مِنْ بَسْطٍ.

عَنْ أَبِي عِصْمَةَ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ: مَنْ أَهْلُ الْجَمَاعَةِ؟

قَالَ: مَنْ فَضَّلَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَحَبَّ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ، وَلَمْ يُحَرِّمْ نَبِيذَ الْجَرِّ، وَلَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَرَأَىٰ الْمَسْحَ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ، وَآمَنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ، وَلَمْ يَنْطِقْ فِي اللهِ بِشَيْءٍ. وَرَوَىٰ خَالِدُ بْنُ صُبَيْحٍ، عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ قَالَ: الْجَمَاعَةُ سَبْعَةُ أَشْيَاءَ: أَنْ يُفَضِّلَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَنْ يُحِبَّ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَأَنْ يُصَلِّيَ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَأَنْ لَا يَنْطِقَ فِي اللهِ شَيْئًا».

قُلْتُ: قَوْلُهُ فِي هَاتَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ: «لَا يَنْطِقُ فِي اللهِ شَيْئًا»؛ قَدْ بَيَّنَهُ فِي رِوَايَةِ أَبِي يُوسُفَ، وَهُوَ: «أَنْ لَا يَنْطِقَ فِي اللهِ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِهِ، وَلَكِنَّهُ يَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ»[١].

فَهَذَا هُوَ الْإِمَامُ فِي دِفَاعِهِ عَنْ عَقِيدَةِ الصَّحَابَةِ وَنَشْرِهِ لَهَا، وَالْيَوْمَ تَرَىٰ الرَّجُلَ لَا يُسَاوِي وَزْنُهُ تُرَابًا، وَلَا يَقْبَلُ فِيهِ ثَنَاءَ الأُمَّةِ، وَلَا يَلْتَفِتُ لِتَلَقِّي الْأُمَّةِ عِلْمَهُ بِالْقَبُولِ! فَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُئُونٌ!

۞ سَبَبُ جُلُوسِهِ لِلْفَتْوَى وَالتَّدْرِيسِ:

وَقَدْ أُجْلِسَ لِلْفَتْوَىٰ وَالتَّدْرِيسِ، وَلَمْ يَجْلِسْ هُوَ لَهَا - بَلْ كَانَ يُرَبِّي طُلَّابَهُ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَىٰ عَدَمِ التَّصَدِّي لِلنَّوَازِلِ، بَلْ لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثِلَةِ أَرْوَعُهَا، وَلَعَلَّ بَعْضَهَا يَأْتِي بَعْدَ حِينٍ -؛ فَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: سَمِعْتُ دَاوُدَ الطَّائِيَّ يَقُولُ:

«كَانَ مُفْتِي النَّاسِ بِالْكُوفَةِ حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَكَانَ لِحَمَّادٍ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ:

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (١٦/ ٤٧٤).

إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، فَلَمَّا جَاءَ مَوْتُ حَمَّادٍ أَجْمَعُوا أَنْ يَكُونَ إِسْمَاعِيلُ يَجْلِسُ لَهُمْ وَيَصْبِرُ عَلَيْهِمْ، فَنَظَرُوا فَإِذَا الْغَالِبُ عَلَيْهِ الشِّعْرُ وَالسَّمَرُ وَأَيَّامُ النَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ النَّهْشَلِيُّ – وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ حَمَّادٍ –، وَأَبُو بُرْدَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَابِرٍ الْحَنَفِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ حَمَّادٍ، فَقَالَ أَبُو حُصَيْنٍ وَحَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ:

إِنَّ هَذَا الْخَزَّازَ [يَعْنِي: أَبَا حَنِيفَةَ] حَسَنُ الْمَعْرِفَةِ، وَإِنْ كَانَ حَدَثًا، فَأَجْلِسُوهُ. فَفَعَلُوا، وَكَانَ رَجُلًا مُوسِرًا سَخِيًّا ذَكِيًّا، فَجَلَسَ وَصَبَرَ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَحْسَنَ مُؤَاسَاتَهُمْ وَحَبَاهُمْ، وَأَكْرَمَهُ الْحُكَّامُ وَالْأُمَرَاءُ وَارْتَفَعَ شَأْنُهُ، فَاخْتَلَفَ إِلَيْهِ الطَّبَقَةُ الْعُلْيَا...»[(١)].

❁ طُلَّابُهُ:

خَلْقٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ، حَتَّىٰ خَرَّجَهُمُ الْعُلَمَاءُ فِي مَعَاجِمَ يَسْتَدْرِكُ اللَّاحِقُ فِيهَا عَلَىٰ السَّابِقِ، قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي ذِكْرِ بَعْضِهِمْ:

«إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ – عَالِمُ خُرَاسَانَ –، وَأَبْيَضُ بْنُ الْأَغَرِّ بْنِ الصَّبَّاحِ الْمِنْقَرِيُّ، وَأَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَإِسْحَاقُ الْأَزْرَقُ، وَأَسَدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَجَلِيُّ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَىٰ الصَّيْرَفِيُّ، وَأَيُّوبُ بْنُ هَانِئٍ، وَالْجَارُودُ بْنُ يَزِيدَ النَّيْسَابُورِيُّ، وَجَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ نَبْهَانَ، وَحَيَّانُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنَزِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ زِيَادٍ اللُّؤْلُؤِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ فُرَاتٍ الْقَزَّازُ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيُّ، وَحَفْصُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَاضِي، وَحَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ، وَأَبُو مُطِيعٍ

---

(١) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ» (صَحِيفَةُ: ٢٢) لِلصَّيْمَرِيِّ.

الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَابْنُهُ حَمَّادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَحَمْزَةُ الزَّيَّاتُ - وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِهِ -، وَخَارِجَةُ بْنُ مُصْعَبٍ، وَدَاوُدُ الطَّائِيُّ، وَزُفَرُ بْنُ الْهُذَيْلِ التَّمِيمِيُّ الْفَقِيهُ، وَزَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، وَسَابِقٌ الرَّقِّيُّ، وَسَعْدُ بْنُ الصَّلْتِ الْقَاضِي، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ الْقَابُوسِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ سَلَّامٍ الْعَطَّارُ، وَسَلْمُ بْنُ سَالِمٍ الْبَلْخِيُّ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَمْرٍو النَّخَعِيُّ، وَسَهْلُ بْنُ مُزَاحِمٍ، وَشُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَالصَّبَّاحُ بْنُ مُحَارِبٍ، وَالصَّلْتُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَأَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، وَعَامِرُ بْنُ الْفُرَاتِ، وَعَائِذُ بْنُ حَبِيبٍ، وَعَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ، وَأَبُو يَحْيَىٰ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْحِمَّانِيُّ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ خَالِدٍ - تِرْمِذِيٌّ -، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِيُّ، وَعَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ التَّنُّورِيُّ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْقُرَشِيُّ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو الرَّقِّيُّ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَىٰ، وَعَتَّابُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ ظَبْيَانَ الْقَاضِي، وَعَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، وَعَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ الْقَاضِي، وَعَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْقَزِيُّ، وَأَبُو قُطْنٍ عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ، وَعِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ، وَأَبُو نُعَيْمٍ.

وَالْفَضْلُ بْنُ مُوسَىٰ، وَالْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ الْعُرَنِيُّ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ، وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبَانٍ الْعَنْبَرِيُّ - كُوفِيٌّ -، وَمُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ أَتَشٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْوَهْبِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَطِيَّةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَسَدِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْرُوقٍ الْكُوفِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ

الْوَاسِطِيُّ، وَمَرْوَانُ بْنُ سَالِمٍ، وَمُصْعَبُ بْنُ الْمِقْدَامِ، وَالْمُعَافَىٰ بْنُ عِمْرَانَ، وَمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَنَصْرُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْبَلْخِيُّ الصَّيْقَلُ، وَنَصْرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعَتَكِيُّ، وَأَبُو غَالِبٍ النَّضْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَزْدِيُّ، وَالنَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْأَصْبَهَانِيُّ، وَنُوحُ بْنُ دَرَّاجٍ الْقَاضِي، وَنُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ الْجَامِعُ، وَهُشَيْمٌ، وَهُوَذَةُ، وَهِيَاجُ بْنُ بِسْطَامَ، وَوَكِيعٌ، وَيَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ الْمِصْرِيُّ، وَيَحْيَىٰ بْنُ نَصْرِ بْنِ حَاجِبٍ، وَيَحْيَىٰ بْنُ يَمَانٍ، وَيَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَيُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، وَأَبُو حَمْزَةَ السُّكَّرِيُّ، وَأَبُو سَعْدٍ الصَّاغَانِيُّ، وَأَبُو شِهَابٍ الْحَنَّاطُ، وَأَبُو مُقَاتِلٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ، وَالْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ»[١]. وَأُمَمٌ سِوَاهُمْ.

۞ ثَنَاءُ أَئِمَّةِ الإِسْلَامِ عَلَيْهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ لَهُ:

وَأَمَّا التَّزْكِيَاتُ وَالثَّنَاءَاتُ عَلَيْهِ فَبَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، بَدَأَتْ مِنْ شُيُوخِهِ مُرُورًا بِأَقْرَانِهِ، وَطُلَّابِهِ، وَمَنْ أَتَىٰ بَعْدُ؛ فَسَيْلٌ مِنَ الشَّهَادَةِ لَهُ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

قَالَ النَّضْرُ بْنُ الشُّمَيْلِ: سَمِعْتُ **عَبْدَ اللهِ بْنَ عَوْنٍ** (١٥١ هـ) يَقُولُ:

«بَلَغَنِي أَنَّ بِالْكُوفَةِ رَجُلًا يُجِيبُ فِي الْمُعْضِلَاتِ؛ - يَعْنِي أَبَا حَنِيفَةَ -»[٢].

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْحٍ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: سُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ (٩٣ - ١٧٩ هـ): هَلْ رَأَيْتَ أَبَا حَنِيفَةَ وَنَاظَرْتَهُ؟

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٦/ ٣٩٣ وَمَا بَعْدَهَا).

(٢، ٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «مُسْنَدِ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةَ: ٢٠).

قَالَ: «نَعَمْ، رَأَيْتُ رَجُلًا لَوْ نَظَرَ فِي هَذِهِ السَّارِيَةِ، وَهِيَ مِنَ الْحِجَارَةِ، فَقَالَ: إِنَّهَا مِنْ ذَهَبٍ. لَقَامَ بِحُجَّتِهِ - لَفْظُ الشَّافِعِيِّ -»[١].

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ (١٠٥ - ١٨٧ هـ):

«كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَجُلًا فَقِيهًا مَعْرُوفًا بِالْفِقْهِ، مَشْهُورًا بِالْوَرَعِ، وَاسِعَ الْمَالِ، مَعْرُوفًا بِالْإِفْضَالِ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يَطِيفُ بِهِ، صَبُورًا عَلَىٰ تَعْلِيمِ الْعِلْمِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، حَسَنَ [اللَّيْلِ]، كَثِيرَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الْكَلَامِ، حَتَّىٰ تَرِدَ مَسْأَلَةٌ فِي حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، وَكَانَ يُحْسِنُ أَنْ يَدُلَّ عَلَىٰ الْحَقِّ، هَارِبًا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ».

وَزَادَ ابْنُ الصَّبَاحِ - يَعْنِي عَنِ الْفُضَيْلِ -:

«إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ مَسْأَلَةٌ فِيهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ اتَّبَعَهُ، وَإِنْ كَانَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَإِلَّا قَاسَ فَأَحْسَنَ الْقِيَاسَ»[٢].

قَالَ الْمُزَنِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ:

«النَّاسُ عِيَالٌ عَلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْقِيَاسِ وَالِاسْتِحْسَانِ»[٣].

وَأَخْرَجَ الْأَصْفَهَانِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ قَالَ: مَاتَ عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ أَخُو سُفْيَانَ، فَأَتَيْنَاهُ نُعَزِّيهِ، فَإِذَا الْمَجْلِسُ غَاصَ بِأَهْلِهِ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ،

(٢) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٣/ ٣٤٠).

(٣) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٢٦).

إِذْ أَقْبَلَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَهُ، فَلَمَّا رَآهُ سُفْيَانُ تَحَرَّكَ عَنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ قَامَ فَاعْتَنَقَهُ، وَأَجْلَسَهُ فِي مَوْضِعِهِ، وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَاغْتَظْتُ عَلَيْهِ!

وَقَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: وَيْحَكَ أَلَا تَرَىٰ؟!!

فَجَلَسْنَا حَتَّىٰ تفَرَّقَ النَّاسُ.

وَقُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ: لَا تَقُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ فِي هَذَا.

قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، رَأَيْتُكَ الْيَوْمَ فَعَلْتَ شَيْئًا أَنْكَرْتُهُ وَأَنْكَرَهُ أَصْحَابُنَا عَلَيْكَ.

قَالَ: وَمَا هُوَ؟

قُلْتُ: جَاءَكَ أَبُو حَنِيفَةَ، فَقُمْتَ إِلَيْهِ، وَأَجْلَسْتَهُ فِي مَجْلِسِكَ، وَصَنَعْتَ بِهِ صَنِيعًا بَلِيغًا، وَهَذَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا مُنْكَرٌ!

قَالَ: فَمَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ هَذَا الرَّجُلُ مِنَ الْعِلْمِ بِمَكَانٍ، فَإِنْ لَمْ أَقُمْ لِعِلْمِهِ قُمْتُ لِسِنِّهِ، وَإِنْ لَمْ أَقُمْ لِسِنِّهِ قُمْتُ لِفِقْهِهِ، وَإِنْ لَمْ أَقُمْ لِفِقْهِهِ قُمْتُ لِوَرَعِهِ. فَأَحْجَمَنِي.

فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدِي جَوَابٌ![1].

وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَىٰ مَا يَقَعُ - رُبَّمَا - بَيْنَ الطُّلَّابِ مَحَبَّةً لِنُصْرَةِ شُيُوخِهِمْ وَرِفْعَتِهِمْ! غَيْرَ أَنَّهُ يَأْبَىٰ الْعِلْمُ بِالْعَالِمِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا كَانَ سُفْيَانُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

---

(١) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٨٠، ٨١).

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عُمَرَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ الْمَالِكِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَهُوَ أَصْلُ الرَّأْيِ بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ ذَكِيًّا فَهِمًا، مُعْتَمِدًا فِي فِقْهِهِ عَلَىٰ عُلَمَاءِ بَلَدِهِ، وَكَانَ أَبْصَرَ النَّاسِ بِالْقِيَاسِ»[(١)].

وَكَانَ الْإِمَامُ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَمْدَحُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ - نَظْمًا وَشِعْرًا -، وَمِنْ ذَلِكَ:

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ آيَةً. فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فِي الشَّرِّ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَوْ فِي الْخَيْرِ؟

فَقَالَ: اسْكُتْ يَا هَذَا؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ: غَايَةٌ فِي الشَّرِّ، وَآيَةٌ فِي الْخَيْرِ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً**﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٥٠]»[(٢)].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«رَأَيْتُ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَرَأَيْتُ أَوْرَعَ النَّاسِ، وَرَأَيْتُ أَعْلَمَ النَّاسِ، وَرَأَيْتُ أَفْقَهَ النَّاسِ؛ فَأَمَّا أَعْبَدُ النَّاسِ فَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ، وَأَمَّا أَوْرَعُ النَّاسِ فَالْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَأَمَّا أَعْلَمُ النَّاسِ فَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَأَمَّا أَفْقَهُ النَّاسِ فَأَبُو حَنِيفَةَ. ثُمَّ قَالَ: مَا رَأَيْتُ فِي الْفِقْهِ مِثْلَهُ»[(٣)].

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) «الِانْتِقَاءُ» (صَحِيفَةُ: ١٨).

(٢) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٥/ ٤٥٩).

(٣) «تَارِيخُ دِمَشْقَ» (٤٨/ ٣٨٦).

«وَجَـدْتُ أَبَـا حَنِيفَـةَ كُـلَّ يَـوْمٍ ... يَزِيـدُ نَبَالَـةً وَيَزِيـدُ خَيْـرًا

وَيَنْطِـقُ بِالصَّـوَابِ وَيَصْـطَفِيهِ ... إِذَا مَـا قَـالَ أَهْلُ الْجَـوْرِ جَـوْرًا»(١)

[وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ]:

«يُقَـايِسُ مَـنْ يُقَايِسُـهُ بِلُـبٍّ ... فَمَـنْ ذَا تَعْلَمُـونَ لَـهُ نَظِيـرَا

كَفَانَـا مَـوْتُ حَمَّـادٍ وَكَانَـتْ ... مُصِـيبَتُهُ لَنَـا أَمْـرًا كَبِيـرَا

فَـرَدَّ شَـمَاتَةَ الْأَعْـدَاءِ عَنَّـا ... وَأَفْشَـىٰ بَعْـدَهُ عِلْمًـا كَثِيـرَا

رَأَيْـتُ أَبَـا حَنِيفَـةَ حِـينَ يُـؤْتَىٰ ... وَيُطْلَـبُ عِلْمُـهُ بَحْـرًا غَزِيـرَا

إِذَا مَـا الْمُعْضِـلَاتُ تَـدَافَعَتْهَا ... رِجَـالُ الْقَـوْمِ كَـانَ بِهَـا بَصِـيرَا»(٢)

وَجَاءَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُزَاحِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: «لَوْلَا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي بِأَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ؛ كُنْتُ كَسَائِرِ النَّاسِ»(٣).

قَالَ: «سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ: مَا مَقِلَتْ عَيْنِي مِثْلَ أَبِي حَنِيفَةَ»(٤).

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ: «سَمِعْتُ يَحْيَىٰ بْنَ مَعِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ ثِقَةً، لَا يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ، وَلَا يُحَدِّثُ بِمَا لَا

(١، ٣) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٨٩).

(٣) «الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١٠/ ١٠٧).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «مُسْنَدِ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةَ: ٢١).

يَحْفَظُ»[١].

عَنْ شَدَّادِ بْنِ حَكِيمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قَالَ**: «مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ»[٢].

وَعَنْ مَكِّيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قَالَ**: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ»[٣].

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قَالَ**: «كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ عَطَاءٍ بَعْضُنَا خَلْفَ بَعْضٍ، فَإِذَا جَاءَ أَبُو حَنِيفَةَ أَوْسَعَ لَهُ وَأَدْنَاهُ»[٤].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أَئِمَّةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالتَّصَوُّفِ وَالْفِقْهِ؛ مِثْلُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَأَتْبَاعِهِمْ»[٥].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أَنَّ الْأَئِمَّةَ الَّذِينَ لَهُمْ فِي الْأُمَّةِ لِسَانُ صِدْقٍ؛ مِثْلُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ كَمَالِكٍ وَالثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَكَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي عُبَيْدٍ **وَأَبِي حَنِيفَةَ** وَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ»[٦].

---

(١) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٣/ ٤٢١).

(٢) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٣/ ٣٤٤).

(٣) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٣٢) لِلْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ.

(٤) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٨٩).

(٥) «مِنْهَاجُ السُّنَّةِ» (٢/ ١٠٥)، وَكَانَ فِي مَعْرِضِ ذِكْرِ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ مَسَائِلِ الِاعْتِقَادِ.

(٦) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (٧/ ٤٠٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«... وَأَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُونَ بِالْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ؛ **كَمَالِكٍ** وَالثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ **وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ** وَإِسْحَاقَ **وَأَبِي حَنِيفَةَ** وَأَبِي يُوسُفَ»(١).

وَثَنَاءُ الْأَئِمَّةِ لَا يَنْقَطِعُ عَلَىٰ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَعَلَىٰ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - وَلَوْلَا خَشْيَةُ الْإِطَالَةِ لَجَمَعْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ.

۞ آثَارُهُ، وَمُؤَلَّفَاتُهُ:

رَوَىٰ عَنْهُ أَبُو مُطِيعٍ الْبَلْخِيُّ «الْفِقْهَ الْأَكْبَرَ» وَ«الْأَبْسَطَ»، وَأُسْنِدَ غَيْرُ مُسْنَدٍ لَهُ؛ فَأَسْنَدَ لَهُ الْحَصْفَكِيُّ مُسْنَدًا وَأَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

۞ عِبَادَتُهُ:

وَأَمَّا عِبَادَتُهُ وَاجْتِهَادُهُ فَآيَةٌ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ وَالتَّأَمُّلُ فِيهِ يُثِيرُ الدَّهْشَةَ وَالْإِعْجَابَ، وَحَسْبِي مِنْهُ ذِكْرُ بَعْضِ مَا وَرَدَ - مَعَ كَثْرَتِهِ -، وَمِنْهُ تَعْلَمُ تَوَافُقَ الْعَمَلِ مَعَ الْعِلْمِ، وَكَيْفَ كَانَ الْأَئِمَّةُ - رَحِمَهُمُ اللهُ -، وَوَاحَسْرَتَاهُ! مِنَ انْتِقَادِ أَقْوَامٍ لَا يُصَلُّونَ إِلَّا قَلِيلًا، وَأَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ لَهُمْ وُضُوءٌ وَلَا صَوْمٌ مِنْ فَرْطِ جَهْلِهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَنَقَّصُونَ سَادَتَنَا فَلِلَّهِ دَرُّ أَئِمَّتِنَا، انْقَطَعَ عَمَلُهُمْ، وَأَبَىٰ اللهُ أَنْ يَقْطَعَ عَنْهُمُ الْأُجُورَ.

عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْكُمَيْتِ - وَكَانَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ -؛ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ

(١) «مِنْهَاجُ السُّنَّةِ» (٢/ ٣١٦).

شَدِيدَ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ، فَقَرَأَ بِنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُؤَذِّنُ لَيْلَةً فِي عِشَاءِ الْآخِرَةِ «إِذَا زُلْزِلَتْ» وَأَبُو حَنِيفَةَ خَلْفَهُ، فَلَمَّا قَضَىٰ الصَّلَاةَ وَخَرَجَ النَّاسُ نَظَرْتُ إِلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ وَهُوَ جَالِسٌ يُفَكِّرُ وَيَتَنَفَّسُ، فَقُلْتُ: أَقُومُ لَا يَشْتَغِلُ قَلْبُهُ بِي. فَلَمَّا خَرَجْتُ تَرَكْتُ الْقِنْدِيلَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا زَيْتٌ قَلِيلٌ، فَجِئْتُ وَقَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ وَهُوَ قَائِمٌ قَدْ أَخَذَ بِلِحْيَةِ نَفْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَنْ يَجْزِي بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ خَيْرٍ خَيْرًا، وَيَا مَنْ يَجْزِي بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ شَرٍّ شَرًّا، أَجِرِ النُّعْمَانَ عَبْدَكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهَا مِنَ السُّوءِ، وَأَدْخِلْهُ فِي سَعَةِ رَحْمَتِكَ. قَالَ: فَأَذَّنْتُ، فَإِذَا الْقِنْدِيلُ يَزْهَرُ وَهُوَ قَائِمٌ، فَلَمَّا دَخَلْتُ قَالَ لِي: تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ الْقِنْدِيلَ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَدْ أَذَّنْتُ لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ. قَالَ: اكْتُمْ عَلَيَّ مَا رَأَيْتَ. وَرَكَعَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، وَجَلَسَ حَتَّىٰ أَقَمْتُ الصَّلَاةَ، وَصَلَّىٰ مَعَنَا الْغَدَاةَ عَلَىٰ وُضُوءِ أَوَّلِ اللَّيْلِ»[(١)].

وَمَعَ هَذَا كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: أَنَّهُ قَوَّامٌ! فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ سَادَتِنَا الْأَئِمَّةِ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

قَالَ مِسْعَرٌ: «رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ جَمِيعَ النَّهَارِ، فَقُلْتُ: مَتَىٰ يَتَفَرَّغُ هَذَا لِعِبَادَةِ رَبِّهِ؟! فَتَعَاهَدْتُهُ يُصَلِّي الْعِشَاءَ مَعَ النَّاسِ وَدَخَلَ دَارَهُ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ خَرَجَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَصَلَّىٰ إِلَىٰ قَرِيبٍ مِنَ الصُّبْحِ، فَتَعَاهَدْتُهُ لَيَالِيَ، وَكَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُ».

قَالَ: «وَرَأَيْتُهُ لَيْلَةً يُصَلِّي، فَأَخَذْتُ كَفًّا مِنْ حَصًىٰ فَوَضَعْتُهُ عَلَىٰ ذَيْلِ أَبِي حَنِيفَةَ وَهُوَ سَاجِدٌ وَمَضَيْتُ إِلَىٰ دَارِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ سَحَرًا فَوَجَدْتُهُ وَإِذَا الْحَصَىٰ

(١) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٥/ ٤٨٩).

عَلَىٰ ذَيْلِهِ بِحَالِهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ زَجَىٰ اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي سَجْدَةٍ وَاحِدَةٍ»(١).

وَتَأَمَّلْ فِيمَا مَرَّ - وَفِيمَا جَاءَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ - وَتَعَجَّبْ لِحَالِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ وَكَيْفَ هُمْ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ - يَطْعَنُونَ فِي أَشْرَفِ تَارِيخٍ سَطَرَهُ التَّارِيخُ، وَأَعْظَمِ جِيلٍ شَهِدَتْهُ الْأَرْضُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -؟! فَعَنْ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ أَبِي حَنِيفَةَ إِذْ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِرَجُلٍ: هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ، لَا يَنَامُ اللَّيْلَ.

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: وَاللهِ لَا يُتَحَدَّثُ عَنِّي بِمَا لَا أَفْعَلُ، فَكَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً، وَدُعَاءً، وَتَضَرُّعًا»(٢).

وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ فُضَيْلٍ: «كُنْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ، فَأَقْبَلَ أَبُو حَنِيفَةَ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: مَا تَرَوْنَهُ مَا يَنَامُ هَذَا اللَّيْلَ. قَالَ: وَسَمِعَ أَبُو حَنِيفَةَ ذَلِكَ.

فَقَالَ: أَرَانِي عِنْدَ النَّاسِ خِلَافَ مَا أَنَا عِنْدَ اللهِ، لَا تَوَسَّدْتُ فِرَاشًا حَتَّىٰ أَلْقَىٰ اللهَ»(٣).

وَهَكَذَا كَانَتْ هِمَّتُهُ، وَخَوْفُهُ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ لَهُ، وَبَيَانُهُ أَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ؛ دَلِيلَ شَرَفِهِ وَتَصَوُّنِهِ وَاحْتِرَامِهِ لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ حَوْلَهُ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرْكَبُونَ مَدْحَ النَّاسِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ؛ لِيُحَقِّقُوا مَنَافِعَهُمْ، فَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَئِمَّةِ كَمَا بَيْنَ

(١) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٣/ ٣٥٦).

(٢) «تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ» (٢/ ٢٢٠) لِلنَّوَوِيِّ.

(٣) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٥/ ٤٧٣).

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا بَلْ كَمَا بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَا ظَنُّكُمْ بِرَجُلٍ قَالَ فِيهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ - وَذُكِرَ أَبُو حَنِيفَةَ عِنْدَهُ فَقَالَ -:

«مَاذَا يُقَالُ فِي رَجُلٍ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَالْأَمْوَالُ، فَنَبَذَهَا، وَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ فَصَبَرَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيمَا كَانَ غَيْرُهُ يَسْتَدْعِيهِ؟!»(١).

۞ أَخْلَاقُهُ:

تَحَلَّىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ طُلَّابِهِ وَمُحِبِّيهِ، بَلْ مَعَ أَعْدَائِهِ وَمُبْغِضِيهِ! وَمِنْ ذَلِكَ:

۞ حِفْظُهُ لِسَانَهُ، وَشَرَفُهُ مَعَ خُصُومِهِ:

فَأَمَّا حِفْظُهُ لِسَانَهُ وَشَرَفُهُ مَعَ خُصُومِهِ؛ فَبَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ؛ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْمُبَارَكِ لِلثَّوْرِيِّ: «مَا أَبْعَدَ أَبَا حَنِيفَةَ عَنِ الْغِيبَةِ، مَا سَمِعْتُهُ يَغْتَابُ عَدُوًّا لَهُ قَطُّ. قَالَ: وَاللهِ إِنَّهُ أَعْقَلُ مِنْ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ مَا يَذْهَبُ بِهَا»(٢).

۞ تَوَاضُعُهُ وَصَفَاءُ نَفْسِهِ:

وَيَظْهَرُ تَوَاضُعُ الرَّجُلِ إِذَا حَدَّثَ عَمَّنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ، أَوْ مَنْ هُوَ فِي طَبَقَتِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَىٰ صَفَاءِ نَفْسِهِ مِنَ الْكِبْرِ، وَقَدْ «رَوَىٰ [الْإِمَامُ] عَنْ شَيْبَانَ النَّحْوِيِّ - وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ -، وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ - وَهُوَ كَذَلِكَ -»(٣).

---

(١) «مَنَاقِبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَصَاحِبَيْهِ» (صَحِيفَةُ: ٢٥).

(٢) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٤٢).

(٣) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٦/ ٣٩٦).

۞ حِلْمُهُ وَكَرِيمُ أَخْلَاقِهِ:

وَأَمَّا حِلْمُهُ فَقَدْ شَهِدَ بِهِ الْإِمَامُ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حِينَ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ»(١).

قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْهُ أَيْضًا:

«مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ، كُنَّا جُلُوسًا مَعَهُ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَأَفْتَاهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: «أَخْطَأَ الْحَسَنُ»، فَجَاءَ رَجُلٌ مُغَطَّىٰ الْوَجْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ!! تَقُولُ: أَخْطَأَ الْحَسَنُ! فَهَمَّ النَّاسُ بِهِ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: «أَقُولُ: أَخْطَأَ الْحَسَنُ. وَأَصَابَ ابْنُ مَسْعُودٍ»»(٢).

هَذِهِ أَخْلَاقُهُمْ، وَهَذَا صَبْرُهُمْ وَحِلْمُهُمْ؛ فَقَدْ كَانَ لَهُمْ فِي نَبِيِّهِمْ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، وَقَدْ حَكَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ مَلِيحِ بْنِ وَكِيعٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ كُمَيْتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ وَشَتَمَهُ رَجُلٌ وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا كَافِرُ، يَا زِنْدِيقُ. فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: «غَفَرَ اللهُ لَكَ، هُوَ يَعْلَمُ مِنِّي خِلَافَ مَا تَقُولُ»(٣).

وَأَيْنَ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ الْيَوْمَ؟! بَلْ أَيْنَ هِيَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ؟!

---

(١) «النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ» (٢/ ١٣) لِابْنِ تَغْرِي الْحَنَفِيِّ.

(٢) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٢٥).

(٣) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٢٥).

❁ **مِنْ مَوَاقِفِهِ الإِيمَانِيَّةِ:**

عَنْ زَيْدِ بْنِ كُمَيْتٍ، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِأَبِي حَنِيفَةَ: اتَّقِ اللهَ.

فَانْتَفَضَ، وَاصْفَرَّ، وَأَطْرَقَ، وَقَالَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، مَا أَحْوَجَ النَّاسَ كُلَّ وَقْتٍ إِلَىٰ مَنْ يَقُولُ لَهُمْ مِثْلَ هَذَا![1].

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ يُعْلِنُهَا مُدَوِّيَةً أَنَّهُ يَحْتَاجُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: اتَّقِ اللهَ!

وَأَمَّا خَوْفُهُ الْآخِرَةَ وَعَدَمُ رُؤْيَتِهِ نَفْسَهُ؛ فَقَدْ بَلَغَ مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغًا عَظِيمًا؛ فَعَنْ يَزِيدَ بْنِ كُمَيْتٍ: فَتَحَ غُلَامٌ لِأَبِي حَنِيفَةَ يَوْمًا رُزْمَةَ خَزٍّ، فَإِذَا الْأَخْضَرُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَصْفَرُ، فَقَالَ الْغُلَامُ: نَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ. فَبَكَىٰ أَبُو حَنِيفَةَ حَتَّىٰ اخْتَلَجَ صِدْغَاهُ وَمِنْكَبَاهُ، وَأَمَرَ بِغَلْقِ الدُّكَّانِ، وَقَامَ مُغَطَّىٰ الرَّأْسِ مُسْرِعًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ:

«يَا أَخِي، مَا أَجْرَأَنَا! يَقُولُ أَحَدُنَا: نَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ! إِنَّمَا يَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ مَنْ رَاضَ نَفْسَهُ - يَعْنِي لَهَا -، إِنَّمَا يُرِيدُ مِثْلُنَا أَنْ يَسْأَلَ اللهَ الْعَفْوَ»[2].

❁ **وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا جَاءَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَعْنٍ:**

«أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ قَامَ لَيْلَةً يُرَدِّدُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [الْقَمَرُ: ٤٦]، وَيَبْكِي، وَيَتَضَرَّعُ إِلَىٰ الْفَجْرِ»[3].

(١) «تَارِيخُ الْإِسْلَامِ» (٩/ ٣٠٩).

(٢، ٣) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٢٣).

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ: أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ ضُرِبَ غَيْرَ مَرَّةٍ عَلَىٰ أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ، فَلَمْ يُجِبْ[1]، وَهَذَا مِنْهُ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَىٰ تَقْوَاهُ وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ - وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَحْتَ الْكَلَامِ عَلَىٰ مِحْنَةِ الْإِمَامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

۞ مِنْ أَقْوَالِهِ:

عَنْ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يَقُولُ: إِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الثِّقَاتِ أَخَذْنَا بِهِ، فَإِذَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِهِ لَمْ نَخْرُجْ عَنْ أَقَاوِيلِهِمْ، فَإِذَا جَاءَ عَنِ التَّابِعِينَ زَاحَمْتُهُمْ»[2].

عَنْ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يَقُولُ: «لَوْلَا الْفَرَقُ مِنَ اللهِ أَنْ يَضِيعَ الْعِلْمُ مَا أَفْتَيْتُ أَحَدًا يَكُونُ لَهُ الْمَهْنَأُ وَعَلَيَّ الْوِزْرُ»[3].

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ ظَنَّ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنِ التَّعَلُّمِ فَلْيَبْكِ»[4].

۞ مِحْنَتُهُ مَعَ الْوَالِي ابْنِ هُبَيْرَةَ بِسَبَبِ الْقَضَاءِ:

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ الرَّقِّيِّ قَالَ: «كَلَّمَ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَبَا حَنِيفَةَ أَنْ يَلِيَ قَضَاءَ الْكُوفَةِ، فَأَبَىٰ، فَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ وَعَشَرَةَ أَسْوَاطٍ، فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشَرَةَ أَسْوَاطٍ، ثُمَّ خَلَّاهُ»[5].

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٦/ ٤٠١).

(٢) «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٢٤).

(٣) «الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ» (٢/ ٢٠٣) لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ.

(٤) «الطَّبَقَاتُ السَّنِيَّةُ فِي تَرَاجِمِ الْحَنَفِيَّةِ» (صَحِيفَةُ: ٣٠).

(٥) «تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» (٢٩/ ٤٣٨) لِلْمِزِّيِّ.

وقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ: «أَخَذَ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَبَا حَنِيفَةَ، فَأَرَادَهُ عَلَىٰ وِلَايَةِ الْقَضَاءِ، فَأَبَىٰ فَحَبَسَهُ، فَقِيلَ لِأَبِي حَنِيفَةَ: إِنَّهُ حَلَفَ أَنْ لَا يُخْرِجَكَ حَتَّىٰ تَلِيَ لَهُ، وَإِنَّهُ يُرِيدُ بِنَاءً، فَتَوَلَّ لَهُ عَدَّ اللَّبِنِ. فَقَالَ: «لَوْ سَأَلَنِي أَنْ أَعُدَّ لَهُ أَبْوَابَ الْمَسْجِدِ لَمْ أَفْعَلْ»»(١).

عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: «مَرَرْتُ مَعَ أَبِي بِالْكُنَّاسَةِ، فَبَكَىٰ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ضَرَبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ جَدَّكَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشَرَةَ أَسْوَاطٍ؛ عَلَىٰ أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ، فَلَمْ يَفْعَلْ»(٢).

❁ مِحْنَتُهُ مَعَ الْمَنْصُورِ:

عَنْ مُغِيثِ بْنِ بُدَيْلٍ، قَالَ: «دَعَا الْمَنْصُورُ أَبَا حَنِيفَةَ إِلَىٰ الْقَضَاءِ، فَامْتَنَعَ، فَقَالَ: أَتَرْغَبُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ؟

فَقَالَ: لَا أَصْلُحُ.

قَالَ: كَذَبْتَ.

قَالَ: فَقَدْ حَكَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ أَنِّي لَا أَصْلُحُ؛ فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَلَا أَصْلُحُ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنِّي لَا أَصْلُحُ. فَحَبَسَهُ»(٣).

عَنْ بِشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ:

---

(١) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٢٥).

(٢) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٥/ ٤٤٤).

(٣) «تَارِيخُ الْإِسْلَامِ» (٩/ ٣١١).

«طَلَبَ **الْمَنْصُورُ** أَبَا حَنِيفَةَ، فَأَرَادَهُ عَلَىٰ الْقَضَاءِ، وَحَلَفَ لَيَلِيَنَّ، فَأَبَىٰ، وَحَلَفَ: إِنِّي لَا أَفْعَلُ.

فَقَالَ الرَّبِيعُ الْحَاجِبُ: تَرَىٰ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْلِفُ وَأَنْتَ تَحْلِفُ؟!

قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ كَفَّارَةِ يَمِينِهِ أَقْدَرُ مِنِّي.

فَأَمَرَ بِهِ إِلَىٰ السِّجْنِ، فَمَاتَ فِيهِ بِبَغْدَادَ»(١).

۞ مِحْنَتُهُ مَعَ الْوَالِي حِينَ رَدَّ عَلَى قَاضِي بَغْدَادَ:

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ اللُّؤْلُؤِيِّ، قَالَ: «كَانَتْ هُنَا امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ عِمْرَانَ، مَجْنُونَةٌ، وَكَانَتْ جَالِسَةً فِي الْكُنَّاسَةِ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ فَكَلَّمَهَا بِشَيْءٍ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ الزَّانِيَتَيْنِ. وَابْنُ أَبِي لَيْلَىٰ حَاضِرٌ، فَسَمِعَ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ: أَدْخِلْهَا عَلَيَّ الْمَسْجِدَ. وَأَقَامَ عَلَيْهَا حَدَّيْنِ؛ حَدًّا لِأَبِيهِ وَحَدًّا لِأُمِّهِ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا حَنِيفَةَ، فَقَالَ: أَخْطَأَ فِيهَا فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ:

١ - أَقَامَ الْحَدَّ فِي الْمَسْجِدِ، وَلَا تُقَامُ الْحُدُودُ فِي الْمَسَاجِدِ.

٢ - وَضَرَبَهَا قَائِمَةً، وَالنِّسَاءُ يُضْرَبْنَ قُعُودًا.

٣ - وَضَرَبَ لِأَبِيهِ حَدًّا، وَلِأُمِّهِ حَدًّا، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قَذَفَ جَمَاعَةً كَانَ عَلَيْهِ حَدٌّ وَاحِدٌ.

---

(١) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (٩/ ٣١١).

٤ - وَجَمَعَ الْحَدَّيْنِ، وَلَا يُجْمَعُ بَيْنَ حَدَّيْنِ حَتَّىٰ يَخِفَّ أَحَدُهُمَا.

٥ - وَالْمَجْنُونَةُ لَيْسَ عَلَيْهَا حَدٌّ.

٦ - وَحَدَّ لِأَبَوَيْهِ، وَهُمَا غَائِبَانِ، لَمْ يَحْضُرَا فَيُدْعَيَانِ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ أَبِي لَيْلَىٰ، فَدَخَلَ عَلَىٰ الْأَمِيرِ، **فَشَكَا إِلَيْهِ أَبَا حَنِيفَةَ، فَحُجِرَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا يُفْتِي.**

فَلَمْ يُفْتِ أَيَّامًا حَتَّىٰ قَدِمَ رَسُولٌ مِنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ، فَأَمَرَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ مَسَائِلُ حَتَّىٰ يُفْتِيَ فِيهَا، فَأَبَىٰ أَبُو حَنِيفَةَ، وَقَالَ: أَنَا مَحْجُورٌ عَلَيَّ.

فَذَهَبَ الرَّسُولُ إِلَىٰ الْأَمِيرِ، فَقَالَ الْأَمِيرُ: قَدْ أَذِنْتُ لَهُ. فَقَعَدَ فَأَفْتَىٰ»[١].

وَفِي الْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَقَدْ ذُكِرَ أَبُو حَنِيفَةَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَاذَا يُقَالُ فِي رَجُلٍ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَالْأَمْوَالُ، فَنَبَذَهَا، وَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ فَصَبَرَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيمَا كَانَ غَيْرُهُ يَسْتَدْعِيهِ؟!»[٢].

۞ وَفَاتُهُ:

(١٥٠- الْمُوَافِق: ٧٦٧ مِنَ التَّأْرِيخِ الصَّلِيبِيِّ)، وَكَانَ لَهُ سَبْعُونَ عَامًا مِنَ الْعُمُرِ حِينَ وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ.

تُوُفِّيَ: فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَلَهُ سَبْعُونَ سَنَةً، شَهِيدًا، مَسْقِيًّا، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ

---

(١) «الطَّبَقَاتُ السَّنِيَّةُ فِي تَرَاجِمِ الْحَنَفِيَّةِ» (صَحِيفَةُ: ٣٠).

(٢) «مَنَاقِبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَصَاحِبَيْهِ» (صَحِيفَةُ: ٢٥).

الْخَيْزُرَانِ بِبَابِ الطَّاقِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ سِتَّ مَرَّاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الزِّحَامِ، آخِرُهُمْ صَلَّىٰ عَلَيْهِ ابْنُهُ حَمَّادٌ، وَغَسَّلَهُ الْحَسَنُ بْنُ عِمَارَةَ وَرَجُلٌ آخَرُ(١).

فَرَحِمَ اللهُ الْإِمَامَ الْفَقِيهَ أَبَا حَنِيفَةَ، فَكُلَّمَا أَرَدْتُ الِاقْتِصَارَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَلَوْلَا أَنِّي أَكْتُبُ مُخْتَصَرًا لَطَالَ جِدًّا، وَإِنَّ لِسَانَ حَالِ الْقَارِئِ لَيَهْتِفُ بِـ:

أَعِــدْ ذِكْــرَ نُعْمَــانٍ لَنَــا إِنَّ ذِكْــرَهُ ... هُــوَ الْمِسْــكُ مَــا كَرَّرْتَــهُ يَتَضَــوَّعُ

فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَمَعَنَا وَإِيَّاهُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.



(١) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (١٥/ ٥٨٥).

وَوُلِدَ الشَّافِعِيُّ يَوْمَ مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَالْأَرْضُ لَا تَخْلُو مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، رَحِمَ اللهُ عُلَمَاءَنَا، وَحَفِظَ اللهُ الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ.



مَنَامَاتٌ وَبُشْرَيَاتٌ[١]

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي رَجَاءٍ: «سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: إِلَامَ صِرْتَ؟

قَالَ: غُفِرَ لِي.

قُلْتُ: بِمَ؟

قَالَ: قِيلَ لِي: لَمْ نَجْعَلْ هَذَا الْعِلْمَ فِيكَ إِلَّا وَنَحْنُ نَغْفِرُ لَكَ.

قُلْتُ: فَمَا فَعَلَ أَبُو يُوسُفَ؟

---

(١) وَطَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْمَنَامَاتِ وَالرُّؤَىٰ أَنَّهَا **لَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَا أَحْكَامٌ عَلَىٰ الْأَشْخَاصِ**، غَيْرَ أَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ الْمُبَشِّرَاتِ، وَمِنْ عَاجِلِ بُشْرَىٰ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ**». قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**».

وَانْظُرْ: «مُخْتَصَرَ الِاعْتِصَامِ» (صَحِيفَةَ: ٦٦ وَمَا بَعْدَهَا)؛ فَفِيهِ تَفْصِيلٌ رَائِعٌ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الطُّرُقِيِّينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْمَنَامَاتِ مَصْدَرًا مِنْ مَصَادِرِ الْأَحْكَامِ!

قَالَ: فَوْقَنَا بِدَرَجَةٍ.

قُلْتُ: فَأَبُو حَنِيفَةَ؟

قَالَ: فِي أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ»(١).

وَجَاءَ عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: «أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ الْحَسَنِ إِمَامُنَا، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ يَا أَبَا حَنِيفَةَ؟

قَالَ: غَفَرَ لِي.

قُلْتُ لَهُ: بِالْعِلْمِ؟

قَالَ: مَا أَضَرَّ الْفَتْوَىٰ عَلَىٰ صَاحِبِهَا!

قُلْتُ: بِمَ؟

قَالَ: بِقَوْلِ النَّاسِ فِيَّ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ مِنِّي»(٢).



---

(١) «مَنَاقِبُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةُ: ٥٢).

(٢) «مَنَاقِبُ أَبِي حَنِيفَةَ» (صَحِيفَةَ: ٥٢).

وَتَأَمَّلْ هَذَا الْأَثَرَ:

قَالَ يَزِيدُ بْنُ كُمَيْتٍ: سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ وَشَتَمَهُ رَجُلٌ وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا كَافِرُ، يَا زِنْدِيقُ! فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: «غَفَرَ اللهُ لَكَ! هُوَ يَعْلَمُ مِنِّي خِلَافَ مَا تَقُولُ».



الإِمَامُ مَالِكٌ

اسْمُهُ: مَالِكُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَيْمَانَ بْنِ خُثَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ؛ وَهُوَ ذُو أَصْبَحَ بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ زُرْعَةَ؛ وَهُوَ حِمْيَرُ الْأَصْغَرُ، الْحِمْيَرِيُّ، ثُمَّ الْأَصْبَحِيُّ، الْمَدَنِيُّ، حَلِيفُ بَنِي تَيْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَهُمْ حُلَفَاءُ عُثْمَانَ أَخِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ أَحَدِ الْعَشَرَةِ.

كُنْيَتُهُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ.

۞ ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ نَسَبِهِ وَشَرَفِهِ:

قَالَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الضَّبِّيُّ: «مَالِكُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عُبَيْدٍ، مِنْ وَلَدِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، يَلْتَقِي [مَعَ] رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ.

وَأُمُّهُ هِيَ: عَالِيَةُ بِنْتُ شَرِيكٍ الْأَزْدِيَّةُ.

وَأَعْمَامُهُ هُمْ: أَبُو سُهَيْلٍ نَافِعٌ، وَأُوَيْسٌ، وَالرَّبِيعُ، وَالنَّضْرُ، أَوْلَادُ أَبِي

عَامِرٍ»[١].

❁ مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ:

(٩٣ - الْمُوَافِقُ عَامَ ٧١٢ مِنَ التَّأْرِيخِ النَّصْرَانِيِّ).

«**مَوْلِدُ مَالِكٍ عَلَىٰ الْأَصَحِّ**: فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، عَامَ مَوْتِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَشَأَ فِي صَوْنٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَتَجَمُّلٍ.

وَطَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ حَدَثٌ...»[٢].

❁ صُورَتُهُ وَخِلْقَتُهُ:

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ مَالِكٌ شَدِيدَ الْبَيَاضِ إِلَىٰ الشُّقْرَةِ، طَوِيلًا، عَظِيمَ الْهَامَةِ، أَصْلَعَ».

قَالَ الْفُضَيْلُ:

«وَكَانَ شَدِيدَ الْبَيَاضِ إِلَىٰ الشُّقْرَةِ، طَوِيلًا، عَظِيمَ الْهَامَةِ، أَصْلَعَ، يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْعَرَبِيَّةَ الْجِيَادَ، وَيَكْرَهُ حَلْقَ الشَّارِبِ، وَيَعِيبُهَا وَيَرَاهُ مِنَ الْمُثْلَةِ، وَلَا يُغَيِّرُ شَيْبَهُ».

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي صِفَةِ الْإِمَامِ مَالِكٍ:

«عَنْ عِيسَىٰ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ قَطُّ بَيَاضًا وَلَا حُمْرَةً أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِ مَالِكٍ، وَلَا أَشَدَّ بَيَاضِ ثَوْبٍ مِنْ مَالِكٍ.

(١، ٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٤٩).

وَنَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ: أَنَّهُ كَانَ طُوَالًا، جَسِيمًا، عَظِيمَ الْهَامَةِ، أَشْقَرَ، أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، عَظِيمَ اللِّحْيَةِ، أَصْلَعَ، وَكَانَ لَا يُحْفِي شَارِبَهُ، وَيَرَاهُ مُثْلَةً.

وَقِيلَ: كَانَ أَزْرَقَ الْعَيْنِ، رَوَىٰ بَعْضُ ذَلِكَ: ابْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْحِزَامِيُّ: «كَانَ مَالِكٌ نَقِيَّ الثَّوْبِ، رَقِيقَهُ، يُكْثِرُ اخْتِلَافَ اللَّبُوسِ».

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: «كَانَ مَالِكٌ يَلْبَسُ الْبَيَاضَ، وَرَأَيْتُهُ وَالْأَوْزَاعِيَّ يَلْبَسَانِ السِّيجَانَ».

قَالَ أَشْهَبُ: «كَانَ مَالِكٌ إِذَا اعْتَمَّ جَعَلَ مِنْهَا تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَيُسْدِلُ طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ».

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ: «رَأَيْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ طَيْلَسَانًا وَثِيَابًا مَرْوِيَّةً جِيَادًا».

وَقَالَ أَشْهَبُ: «كَانَ إِذَا اكْتَحَلَ لِلضَّرُورَةِ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ».

وَقَالَ مُصْعَبٌ: «كَانَ يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْعَدَنِيَّةَ، وَيَتَطَيَّبُ».

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ: «مَا رَأَيْتُ مُحَدِّثًا أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْ مَالِكٍ».

وَقِيلَ: «كَانَ شَدِيدَ الْبَيَاضِ إِلَىٰ صُفْرَةٍ، أَعْيَنَ، أَشَمَّ، كَانَ يُوَفِّرُ سَبَلَتَهُ، وَيَحْتَجُّ بِفَتْلِ عُمَرَ شَارِبَهُ».

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: «رَأَيْتُ مَالِكًا خَضَبَ بِحِنَّاءٍ مَرَّةً».

وَقَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: «كَانَ مَالِكٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَجْلَاهُمْ عَيْنًا، وَأَنْقَاهُمْ

بَيَاضًا، وَأَتَمِّهِمْ طُولًا، فِي جَوْدَةِ بَدَنٍ».

وَعَنِ الْوَاقِدِيِّ: «كَانَ رَبْعَةً، لَمْ يَخْضِبْ، وَلَا دَخَلَ الْحَمَّامَ».

وَعَنْ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ طَيْلَسَانًا يُسَاوِي خَمْسَ مِائَةٍ، وَقَدْ وَقَعَ جَنَاحَاهُ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْمُلُوكِ».

وَقَالَ أَشْهَبُ: «كَانَ مَالِكٌ إِذَا اعْتَمَّ جَعَلَ مِنْهَا تَحْتَ حَنَكِهِ، وَأَرْسَلَ طَرَفَهَا خَلْفَهُ، وَكَانَ يَتَطَيَّبُ بِالْمِسْكِ وَغَيْرِهِ».

وَقَدْ سَاقَ الْقَاضِي عِيَاضٌ مِنْ وُجُوهِ حُسْنَ بَزَّةِ الْإِمَامِ وَوُفُورَ تَجَمُّلِهِ»[(١)].

۞ الظُّرُوفُ السِّيَاسِيَّةُ، وَالاجْتِمَاعِيَّةُ، وَالدِّينِيَّةُ:

۞ الْحَالَةُ السياسية:

مَعْرُوفٌ أَنَّ مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ كَانَتْ مِنَ الْوِلَايَاتِ الْهَامَّةِ، الَّتِي اهْتَمَّ بِهَا الْأُمَوِيُّونَ وَالْعَبَّاسِيُّونُ مِنْ بَعْدِهِمْ، لِمَ لَا وَفِيهَا عَاشَ الرَّسُولُ، وَكَانَتْ مَقَرًّا لِلْخِلَافَةِ بَعْدَهُ إِلَىٰ أَنْ نَقَلَ الْأُمَوِيُّونَ مَقَرَّ الْخِلَافَةِ مِنْهَا، وَلَكِنْ ظَلَّتْ ذَاتَ اهْتِمَامٍ عِنْدَ الْوُلَاةِ، وَاسْتِقْرَارُهَا مِنْ مُقَوِّمَاتِ اسْتِقْرَارِ الْخِلَافَةِ نَفْسِهَا؛ لِذَلِكَ كَانَتِ الْحَيَاةُ السِّيَاسِيَّةُ هَادِئَةً فِيهَا، خَلَا مَا وَقَعَ مِنَ اسْتِبَاحَتِهَا فِي زَمَنِ الْحَرَّةِ الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةِ! وَلِذَلِكَ عَاشَ الْإِمَامُ فِي حَيَاةٍ سِيَاسِيَّةٍ شِبْهِ مُسْتَقِرَّةٍ، وَكَانَ الْوُلَاةُ يَتَعَهَّدُونَ الْمَدِينَةَ بِالزِّيَارَةِ، وَسَنُبَيِّنُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ سِيرَةِ الْإِمَامِ.

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٦٩).

وَلِقُرْبِ مَوْلِدِ الْإِمَامِ مِنْ مَوْلِدِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ - فَإِنَّهُ وُلِدَ ٩٣ هـ؛ يَعْنِي: بَعْدَ ١٣ عَامًا مِنْ مَوْلِدِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -؛ فَإِنَّهُ عَاصَرَ نَفْسَ الْوُلَاةِ الَّذِينَ تَوَلَّوْا الْخِلَافَةَ فِي زَمَنِ أَبِي حَنِيفَةَ غَيْرَ أَنَّهُ امْتَدَّتْ حَيَاتُهُ بَعْدَ أَبِي حَنِيفَةَ لِيَشْهَدَ خِلَافَةَ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، الْمُلَقَّبِ: الْمَهْدِيَّ، وَعَاصَرَ خِلَافَةَ الرَّشِيدِ أَبِي مُوسَىٰ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبِ بِـ: الرَّشِيدِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِمَامِ مَالِكٍ مَوْقِفٌ جَلِيلٌ مَهِيبٌ يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ مِنْ سِيرَتِهِ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا.

❁ **وَأَمَّا الْحَالَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ:** فَهِيَ حَالَةٌ جَيِّدَةٌ فِي زَمَنِ الْأُمَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ عَلَىٰ السَّوَاءِ؛ لِأَنَّ مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتْ مَحَطَّ اهْتِمَامَاتِهِمْ جَمِيعًا.

وَظَهَرَ فِيهَا مَذْهَبُ عَامَّةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ **فَكَانَتِ الْحَالَةُ الدِّينِيَّةُ:** تَشْهَدُ مَجَالِسَ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ، وَالِاهْتِمَامَ الْبَالِغَ بِنَشْرِ الْعُلُومِ، خَلَا مَا ظَهَرَ مِنْ شَأْنِ الْمُتَكَلِّمَةِ، وَقَدْ وَاجَهَهُمُ الْإِمَامُ مَالِكٌ مُوَاجَهَةً شَدِيدَةً، وَحُسِرَ مَدُّهُمْ فِي زَمَنِهِ لِيَعْلُوَ نَجْمُهُمْ فِي صَدْرِ الْفَتْرَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْحُكْمِ الْعَبَّاسِيِّ لِيُقِيمَ اللهُ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ بَيَانًا لِلْأُمَّةِ، وَمَا أَنْ يَقْضِيَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ نَحْبَهُ إِلَّا وَتُشَدَّدُ الْمِحَنُ وَتَزِيدُ الْفِتَنُ؛ لِيُقِيمَ اللهُ الْإِمَامَ الْمُبَجَّلَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ مَقَامًا عَظِيمًا؛ فَتَنْحَسِرَ الْبِدْعَةُ وَتُكْسَرَ بِإِذْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ لِأَوْلِيَائِهِ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَرَاكِ الشَّدِيدِ بَيْنَ الطَّوَائِفِ وَبَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي زَمَنِ مَالِكٍ؛ مَا وَقَعَ بَعْدَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

۞ **سَبَبُ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ:**

تَعَلَّمَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الْعِلْمَ وَكَانَ يُجَوِّدُ نِيَّتَهُ، فَكَانَ لَا يَطْمَحُ فِي شَيْءٍ سِوَىٰ النَّجَاةِ، وَنِعْمَةِ النِّيَّةِ، وَكَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ:

قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ إِلَّا لِنَفْسِي، وَمَا تَعَلَّمْتُهُ لِيَحْتَاجَ النَّاسُ إِلَيَّ.

قَالَ مَالِكٌ: وَكَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ، لَمْ يَكُونُوا يَتَكَلَّفُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَلَا يَسْأَلُونَ عَنْهَا.

قَالَ مَالِكٌ: «وَالْعِلْمُ الْحِكْمَةُ، وَنُورٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ يَشَاءُ، وَلَيْسَ بِكَثْرَةِ الْمَسَائِلِ»[(١)].

۞ **رِحْلَتُهُ لِلْعِلْمِ:**

ارْتَحَلَ الْإِمَامُ مِنْ مُحَدِّثٍ لِمُحَدِّثٍ، وَمِنْ فَقِيهٍ لِفَقِيهٍ، وَكَانَ يَبُثُّ الْعِلْمَ فِي وُجُودِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَئِمَّةِ، قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: كَانَتْ حَلْقَةُ مَالِكٍ فِي زَمَنِ رَبِيعَةَ مِثْلَ حَلْقَةِ رَبِيعَةَ وَأَكْبَرَ، وَقَدْ أَفْتَىٰ مَعَهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ.

۞ **شُيُوخُهُ:**

وَقَدْ كَثُرَ مَنْ حَمَلَ عَنْهُمْ؛ حَتَّىٰ عَدَّهُمُ الْعُلَمَاءُ فَرَقَّمُوهُمْ عَلَىٰ الْمُعْجَمِ! قَالَ

---

(١) «الْمَدْخَلُ إِلَىٰ السُّنَنِ الْكُبْرَىٰ» (صَحِيفَةُ: ٢٣١) لِلْبَيْهَقِيِّ.

الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ:

«**أَخَذَ عَنْ**: نَافِعٍ، وَسَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، وَعَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَالزُّهْرِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، وَخَلْقٍ سَنَذْكُرُهُمْ عَلَىٰ الْمُعْجَمِ، وَإِلَىٰ جَانِبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا رَوَىٰ عَنْهُ فِي «الْمُوَطَّأِ» كَمْ عَدَدُهُ.

۞ وَهُمْ:

إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَيُّوبُ بْنُ أَبِي تَمِيمَةَ السِّخْتِيَانِيُّ **عَالِمُ الْبَصْرَةِ**، أَيُّوبُ بْنُ حَبِيبٍ الْجُهَنِيُّ مَوْلَىٰ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُقْبَةَ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ الدِّيلِيُّ، جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، حُمَيْدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَعْرَجُ، خُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، دَاوُدُ بْنُ الْحُصَيْنِ، دَاوُدُ أَبُو لَيْلَىٰ بْنُ عَبْدِ اللهِ فِي الْقَسَامَةِ، رَبِيعَةُ الرَّأْيُ، زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، زَيْدُ بْنُ رَبَاحٍ، زِيَادُ بْنُ سَعْدٍ، زَيْدُ بْنُ أَبِي أُنَيْسَةَ، سَالِمٌ أَبُو النَّضْرِ، سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، سُمَيٌّ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ أَبُو حَازِمٍ، سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، سَلَمَةُ بْنُ صَفْوَانَ الزُّرَقِيُّ، سَعْدُ بْنُ إِسْحَاقَ، سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، شَرِيكُ بْنُ أَبِي نَمِرٍ، صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ، صَيْفِيٌّ مَوْلَىٰ ابْنِ أَفْلَحَ، ضَمْرَةُ بْنُ سَعِيدٍ، طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ الْفَضْلِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ، عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ مَوْلَىٰ الْأَسْوَدِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ،

أَبُو الزِّنَادِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ ذَكْوَانَ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو طُوَالَةَ، عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَغَرُّ، عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَرْمَلَةَ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ سُهَيْلٍ، عَبْدُ رَبِّهِ بْنُ سَعِيدٍ، عَبْدُ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيُّ، عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ، عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو، عَمْرُو بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ عَمَّارٍ، عَلْقَمَةُ بْنُ أَبِي عَلْقَمَةَ، الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فُضَيْلُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ، قَطَنُ بْنُ وَهْبٍ، الزُّهْرِيُّ، ابْنُ الْمُنْكَدِرِ، أَبُو الزُّبَيْرِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَتِيمُ عُرْوَةَ، مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ، مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي أُمَامَةَ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الثَّقَفِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ حَبَّانَ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ، أَبُو الرِّجَالِ مُحَمَّدٌ، مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ، مُوسَىٰ بْنُ مَيْسَرَةَ، مُوسَىٰ بْنُ أَبِي تَمِيمٍ، مَخْرَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، مُسْلِمُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، الْمِسْوَرُ بْنُ رِفَاعَةَ، نَافِعٌ، أَبُو سُهَيْلٍ نَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، نُعَيْمٌ الْمُجْمِرُ، وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ، هَاشِمُ بْنُ هَاشِمٍ الْوَقَّاصِيُّ، هِلَالُ بْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ، هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ، يَزِيدُ بْنُ خُصَيْفَةَ، يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ الْمَدَنِيُّ، يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْهَادِ، يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ، يُونُسُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ حِمَاسٍ، أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ الْعُمَرِيُّ، أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، الثِّقَةُ عِنْدَهُ، الثِّقَةُ.

فَعَنْهُمْ كُلِّهِمْ سِتُّ مِائَةٍ وَسِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ حَدِيثًا، وَسِتَّةُ أَحَادِيثَ عَمَّنْ لَمْ يُسَمِّ، وَاخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ حَدِيثًا.

۞ وَمِمَّنْ رَوَىٰ عَنْهُ مَالِكٌ مَقَاطِيعَ:

عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي الْمُخَارِقِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُقْبَةَ، وَعُمَرُ بْنُ حُسَيْنٍ، وَكَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ، وَكَثِيرُ بْنُ فَرْقَدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، وَعُثْمَانُ بْنُ حَفْصِ بْنِ خَلْدَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، وَيَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ طَلْحَةَ، وَيَحْيَىٰ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَحْلَاءَ، وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رُقَيْشٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُجَبَّرِ، وَالصَّلْتُ بْنُ زُيَيْدٍ، وَأَبُو عُبَيْدٍ حَاجِبُ سُلَيْمَانَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، وَعَفِيفُ بْنُ عَمْرٍو، وَمُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ قُنْفُذٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ الْقَارِئُ، وَعُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، وَصَدَقَةُ بْنُ يَسَارٍ الْمَكِّيُّ، وَزِيَادُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، وَعُمَارَةُ بْنُ صَيَّادٍ، وَسَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَسَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ، وَعُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ، وَأَيُّوبُ بْنُ مُوسَىٰ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَرْمَلَةَ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عُثْمَانَ، وَجَمِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُؤَذِّنُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدٍ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عَبْلَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، وَيَزِيدُ بْنُ حَفْصٍ، وَعَاصِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَثَابِتٌ الْأَحْنَفُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي دُلَافٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قُرَيْزٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَيَّادٍ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ سَعْدٍ.

وَفِي «**الْمُوَطَّأِ**» **عِدَّةُ مَرَاسِيلَ أَيْضًا عَنِ**: الزُّهْرِيِّ، وَيَحْيَىٰ الْأَنْصَارِيِّ، وَهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ»[1].

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٤٩).

❁ **عُلُومُهُ وَإِمَامَتُهُ:**

عَنْ أَبِي دَاوُدَ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيِّ يَقُولُ: «رَحِمَ اللهُ مَالِكًا كَانَ إِمَامًا، رَحِمَ اللهُ الشَّافِعِيَّ كَانَ إِمَامًا، رَحِمَ اللهُ أَبَا حَنِيفَةَ كَانَ إِمَامًا»(١).

وَقَدْ تَبَحَّرَ فِي الْعُلُومِ حَتَّىٰ صَارَ آيَةً فِي اسْتِحْضَارِ الشَّوَارِدِ مِنْهَا، فَكَيْفَ بِفُرُوعِهَا؟! فَكَيْفَ بِقَوَاعِدِ الْعُلُومِ؟!

❁ **تَضَلُّعُهُ وَإِمَامَتُهُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ:**

وَقَدْ عَدَّهُ الْحَاكِمُ فِي أَعْيَانِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، قَالَ الْحَاكِمُ فِي كِتَابِهِ «مَعْرِفَةِ عُلُومِ الْحَدِيثِ»:

«... مَعْرِفَةُ الْأَئِمَّةِ الثِّقَاتِ الْمَشْهُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ، مِمَّنْ يُجْمَعُ حَدِيثُهُمْ لِلْحِفْظِ، وَالْمُذَاكَرَةِ، وَالتَّبَرُّكِ بِهِمْ، وَبِذِكْرِهِمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْغَرْبِ... [فَعَدَّدَ أَسْمَاءَهُمْ وَذَكَرَ فِي أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ بِالْمَدِينَةِ: الْإِمَامَ مَالِكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ]»(٢).

وَكَانَ نَاقِدًا لِلرِّجَالِ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ، قَالَ بِشْرُ بْنُ عُمَرَ الزَّهْرَانِيُّ: سَأَلْتُ مَالِكًا عَنْ رَجُلٍ، فَقَالَ: «هَلْ رَأَيْتَهُ فِي كُتُبِي؟ **قُلْتُ:** لَا. **قَالَ:** لَوْ كَانَ ثِقَةً؛ لَرَأَيْتَهُ فِي كُتُبِي».

❁ **قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَلِّقًا بِفَائِدَةٍ مِثْلُهَا لَا يُتْرَكُ:**

«فَهَذَا الْقَوْلُ يُعْطِيكَ بِأَنَّهُ لَا يَرْوِي إِلَّا عَمَّنْ هُوَ عِنْدَهُ ثِقَةٌ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ

---

(١) أَسْنَدَهُ الْإِمَامُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِهِ «الِانْتِقَاءِ» (صَحِيفَة: ٣٢).

(٢) «مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ» (صَحِيفَةُ: ٢٤٠).

أَنَّهُ يَرْوِي عَنْ كُلِّ الثِّقَاتِ، ثُمَّ لَا يَلْزَمُ مِمَّا قَالَ أَنَّ كُلَّ مَنْ رَوَىٰ عَنْهُ - وَهُوَ عِنْدَهُ ثِقَةٌ - أَنْ يَكُونَ ثِقَةً عِنْدَ بَاقِي الْحُفَّاظِ؛ فَقَدْ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ حَالِ شَيْخِهِ مَا يَظْهَرُ لِغَيْرِهِ، إِلَّا أَنَّهُ بِكُلِّ حَالٍ كَثِيرُ التَّحَرِّي فِي نَقْدِ الرِّجَالِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -»[١].

وَمِنْ دَلَائِلِ مَعْرِفَتِهِ بِالرِّجَالِ وَمَا خَفِيَ مِمَّا يَقْدَحُ فِي رِوَايَتِهِمْ؛ مَا جَاءَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:

«رُبَّمَا جَلَسَ إِلَيْنَا الشَّيْخُ، فَيُحَدِّثُ جُلَّ نَهَارِهِ، مَا نَأْخُذُ عَنْهُ حَدِيثًا وَاحِدًا، وَمَا بِنَا أَنْ نَتَّهِمَهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ»[٢].

وَقَدْ شَهِدَ لَهُ بِقُوَّةِ النَّظَرِ فِي الرِّجَالِ وَدِقَّتِهِ؛ فُحُولٌ مِنْهُمُ الْإِمَامُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ:

«مَا نَحْنُ عِنْدَ مَالِكٍ؟! إِنَّمَا كُنَّا نَتَّبِعُ آثَارَ مَالِكٍ، وَنَنْظُرُ الشَّيْخَ إِنْ كَانَ كَتَبَ عَنْهُ مَالِكٌ؛ كَتَبْنَا عَنْهُ»[٣].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كَانَ مَالِكٌ لَا يُبَلِّغُ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا صَحِيحًا، وَلَا يُحَدِّثُ إِلَّا عَنْ ثِقَةٍ، مَا أَرَىٰ الْمَدِينَةَ إِلَّا سَتَخْرَبُ بَعْدَ مَوْتِهِ - يَعْنِي: مِنَ الْعِلْمِ -»[٤].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَالِكٌ إِذَا رَوَىٰ عَنْ رَجُلٍ لَمْ يُعْرَفْ؛ فَهُوَ

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٧٢).

(٢) «الِانْتِقَاءُ» (صَحِيفَةُ: ١٧) لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ.

(٣، ٤) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٧٣).

حُجَّةٌ»(١).

وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَانَ مَالِكٌ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ»(٢).

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا فِي الْقَوْمِ أَصَحُّ حَدِيثًا مِنْ مَالِكٍ، كَانَ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ»(٣).

حَتَّىٰ قَالَ فَحْلُ فُحُولِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَالْأَسَانِيدِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «لَا أُقَدِّمُ عَلَىٰ مَالِكٍ فِي صِحَّةِ الْحَدِيثِ أَحَدًا»(٤).

فَأَيُّ مَنْزِلَةٍ هَذِهِ، وَأَيُّ رُتْبَةٍ فِي الْحَدِيثِ قَدْ بَلَغَهَا؟! وَقَدْ تَوَاطَأَ قَوْلُ الْأَئِمَّةِ أَنَّ أَفْضَلَ الْأَسَانِيدِ وَأَصَحَّهَا عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ إِسْنَادُهُ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، حَتَّىٰ سَمَّاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ بِـ«سِلْسِلَةِ الذَّهَبِ».

۞ فِقْهُهُ:

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ:

«حَجَجْتُ سَنَةَ ١٤٨هـ وَصَائِحٌ يَصِيحُ: لَا يُفْتِي النَّاسَ إِلَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ الْمَاجِشُونِ»(٥).

---

(١) «الْبَدْرُ الْمُنِيرُ» (١/ ٢٩٥) لِابْنِ الْمُلَقِّنِ.

(٢) «التَّمْهِيدُ» (١/ ٦٥) لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ.

(٣) «تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ» (٤/ ١٢١).

(٤) أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ فِي جُزْئِهِ (صَحِيفَةِ: ١٣٦).

(٥) «الْعُلُوُّ» (صَحِيفَةُ: ١٤٢).

وَتَرْكُهُ الْفَتْوَىٰ مَعَ جَلَالَتِهِ مَحْفُوظٌ عَنْهُ، حَتَّىٰ قَالَ: لَوْلَا قَوْلُ سَبْعِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِي: أَفْتِ أَبَا عَبْدِ اللهِ. مَا أَفْتَيْتُ! وَقَدْ رُئِيَتْ لَهُ مَنَامَاتٌ تَوَاتَرَتْ فِي ذَلِكَ، قَالَ خَلَفُ بْنُ عُمَرَ:

«... دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا تَرَىٰ؟

فَإِذَا رُؤْيَا بَعَثَهَا بَعْضُ إِخْوَانِهِ يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ فِي مَسْجِدٍ قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ خَبَّأْتُ تَحْتَ مِنْبَرِي طِيبًا أَوْ عِلْمًا، وَأَمَرْتُ مَالِكًا أَنْ يُفَرِّقَهُ عَلَىٰ النَّاسِ. فَانْصَرَفَ النَّاسُ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِذًا يُنْفِذُ مَالِكٌ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. ثُمَّ بَكَىٰ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ»[(١)].

وَقَدْ كَانَ مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ بَلَّغَ عِلْمَهُ حَتَّىٰ وَصَلَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، وَلَا يُعْرَفُ لِمَذْهَبِهِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ مُنَازِعٌ، فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

۞ صَلَابَتُهُ فِي الْعَقِيدَةِ:

وَطَرِيقَتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ كَغَيْرِهِ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّهُ يَتَأَسَّىٰ بِالصَّحَابَةِ وَيَتَمَسَّكُ بِالْأَثَرِ، وَلَا يَتَعَدَّاهُ، وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُهُ - أَوْ مَا كَانَ يُعْجِبُهُ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - الَّذِي حَدَّثَ بِهِ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: «سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوُلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللهِ، وَقُوَّةٌ عَلَىٰ دِينِ اللهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا، وَلَا تَبْدِيلُهَا،

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٦٢).

وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا. مَنْ عَمِلَ بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنِ انْتَصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّىٰ، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»[١].

وَلَهُ مَوْقِفٌ مَعَ النُّفَاةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ فِي الصِّفَاتِ؛ فَإِنَّهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَانَ صُلْبًا فِي تَقْرِيرِ الْحَقِّ، وَرَدِّ الْبَاطِلِ، وَمُوَاجَهَةِ الْخُصُومِ، وَكَانَ يَتْرُكُ الْجِدَالَ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَا أَوْصَىٰ بِهِ الصَّحَابَةُ وَمَنْ سَمِعَ مِنْهُمْ، وَمَا جَاءَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ، مِنْهُ مَا حَدَّثَ بِهِ أَبُو ثَوْرٍ الْكَلْبِيُّ، قَالَ:

«**سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ**: كَانَ **مَالِكٌ** إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قَالَ: أَمَا إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ دِينِي، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ فَاذْهَبْ إِلَىٰ شَاكٍّ مِثْلِكَ فَخَاصِمْهُ»[٢].

وَجَاءَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَىٰ: سَمِعْتُ مَالِكًا - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - **يَقُولُ**:

«أَكُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ؛ تَرَكْنَا مَا نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ لِجَدَلِهِ!»[٣].

فَكَانَ مُغْلِقًا لِبَابِ الْجَدَلِ، شَدِيدَ الْحُكْمِ عَلَىٰ النُّفَاةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ؛ كَمَا قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ خَلَفِ بْنِ الرَّبِيعِ الطُّرْسُوسِيُّ وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِ

---

(١) أَخْرَجَهُ اللَّالَكَائِيُّ (١/ ١٠٥)، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَالْآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (رَقْم: ٤٨)، عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ... وَذَكَرَهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَيْضًا.

(٢) «الْعُلُوُّ» (صَحِيفَةُ: ١٣٩) لِلذَّهَبِيِّ.

(٣) «شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١/ ١٤٤).

الْمُسْلِمِينَ وَعُبَّادِهِمْ؛ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟

فَقَالَ مَالِكٌ: زِنْدِيقٌ اقْتُلُوهُ!

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنَّمَا أَحْكِي كَلَامًا سَمِعْتُهُ.

فَقَالَ: لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ أَحَدٍ، إِنَّمَا سَمِعْتُهُ مِنْكَ. وَعَظَّمَ هَذَا الْقَوْلَ»(١).

فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَبِمَنْ دَعَا لِذَلِكَ؟!

وَكَانَ مُثْبِتًا لِلصِّفَاتِ، مُوقِنًا بِمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا تَجْسِيمٍ وَتَمْثِيلٍ؛ وَقَوْلُهُ لِلسَّائِلِ عَنْ كَيْفِيَّةِ الِاسْتِوَاءِ مَشْهُورٌ عَنْهُ، فَإِنَّهُ قَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ سَائِلًا سَأَلَ مَالِكًا عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟

فَأَطْرَقَ مَالِكٌ حَتَّىٰ عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ، ثُمَّ قَالَ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أُرَاكَ إِلَّا رَجُلَ سَوْءٍ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ(٢).

۞ وَكَانَ يَذُمُّ الْكَلَامَ ذَمًّا شَدِيدًا؛ فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:

«لَوْ أَنَّ الْعَبْدَ ارْتَكَبَ الْكَبَائِرَ كُلَّهَا، دُونَ الْإِشْرَاكِ بِاللهِ شَيْئًا، ثُمَّ نَجَا مِنْ هَذِهِ

---

(١) «حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ» (٦/ ٣٢٥) لِأَبِي نُعَيْمٍ.

(٢) «مُخْتَصَرُ الْعُلُوِّ» (صَحِيفَةُ: ١٤٢).

الْأَهْوَاءِ؛ لَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْلَىٰ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَبِيرَةٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ هُوَ مِنْهَا عَلَىٰ رَجَاءٍ، وَكُلَّ هَوًىٰ لَيْسَ هُوَ مِنْهُ عَلَىٰ رَجَاءٍ؛ إِنَّمَا يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»[1].

❁ **وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ:**

«وَخَيْرُ أُمُورِ الدِّينِ مَا كَانَ سُنَّةً ... وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَدَائِعُ»[2]

وَكَانَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - يَرَىٰ اسْتِتَابَةَ مَنْ قَدَّمَ قَوْلَ التَّابِعِيِّ عَلَىٰ قَوْلِ الصَّحَابِيِّ الَّذِي لَا اخْتِلَافَ عَلَيْهِ بَيْنَهُمْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -؛ فَعَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ جَمِيلٍ قَالَ:

«**قُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ**: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا وَضَعُوا كُتُبًا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: ثَنَا فُلَانٌ، عَنْ فُلَانٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِكَذَا وَكَذَا، وَفُلَانٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بِكَذَا، وَيَأْخُذُ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ.

قَالَ مَالِكٌ: وَصَحَّ عِنْدَهُمْ قَوْلُ عُمَرَ؟

قُلْتُ: إِنَّمَا هِيَ رِوَايَةٌ كَمَا صَحَّ عِنْدَهُمْ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ.

فَقَالَ مَالِكٌ: هَؤُلَاءِ يُسْتَتَابُونَ، وَاللهُ أَعْلَمُ»[3].

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي سِيرَتِهِ فِي تَحَمُّلِ الْعَقِيدَةِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَتَحْمِيلِهَا؛ عَلِمَ

---

(١) «ذَمُّ الْكَلَامِ» (صَحِيفَةُ: ٢٠٨).

(٢) «تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ» (٢/ ٣٨).

(٣) «إِعْلَامُ الْمُوَقِّعِينَ» (٢/ ١٤).

سَبِيلَ الْعِلْمِ الْحَقِّ، وَانْكَشَفَ لَهُ صِرَاطُ الطَّائِفَةِ النَّاجِيَةِ جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ مِنْهَا.

❁ **طُلَّابُهُ:**

وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَتَعَلَّمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ تُكْتَبُ أَسْمَاؤُهُمْ عَلَىٰ الْمُعْجَمِ فِي مُجَلَّدٍ كَبِيرٍ؛ مِنْهُمْ مِنْ طَبَقَةِ شُيُوخِهِ، وَمِنْهُمْ مِنْ أَقْرَانِهِ، وَأُمَّةٌ مِنَ الطُّلَّابِ دُونَهُ، قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ:

❁ «**حَدَّثَ عَنْهُ مِنْ شُيُوخِهِ:**

عَمُّهُ أَبُو سُهَيْلٍ، وَيَحْيَىٰ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، وَالزُّهْرِيُّ، وَيَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، وَيَزِيدُ بْنُ الْهَادِ، وَزَيْدُ بْنُ أَبِي أُنَيْسَةَ، وَعُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُم.

❁ **وَمِنْ أَقْرَانِهِ:**

مَعْمَرٌ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَشُعْبَةُ، وَالثَّوْرِيُّ، وَجُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ، وَاللَّيْثُ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَخَلْقٌ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَالدَّرَاوَرْدِيُّ، وَابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، وَابْنُ عُلَيَّةَ، وَيَحْيَىٰ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْفَقِيهُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، وَمَعْنُ بْنُ عِيسَىٰ الْقَزَّازُ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، وَأَبُو قُرَّةَ مُوسَىٰ بْنُ طَارِقٍ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَوَكِيعٌ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَيَحْيَىٰ الْقَطَّانُ، وَإِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّازِيُّ، وَأَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ اللَّيْثِيُّ، وَضَمْرَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ، وَبِشْرُ بْنُ

السَّرِيِّ الْأَفْوَهُ، وَبَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَبَكْرُ بْنُ الشَّرُودِ الصَّنْعَانِيُّ، وَأَبُو أُسَامَةَ، وَحَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَرَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، وَأَشْهَبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَزِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَبَطُونُ الْأَنْدَلُسِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، وَأَبُو كَامِلٍ مُظَفَّرُ بْنُ مُدْرِكٍ، وَأَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَأَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، وَأَبُو مُسْهِرٍ الدِّمَشْقِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ نَافِعٍ الصَّائِغُ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ الْمَرْوَزِيُّ عَبْدَانُ، وَمَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّاطَرِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ التِّنِّيسِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، وَمُعَلَّىٰ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّازِيُّ، وَمَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ، وَالْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ الْأَنْطَاكِيُّ، وَهِشَامُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الرَّازِيُّ، وَأَسَدُ بْنُ مُوسَىٰ، وَآدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عِيسَىٰ بْنِ الطَّبَّاعِ، وَخَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْقَطَوَانِيُّ، وَيَحْيَىٰ بْنُ صَالِحٍ الْوُحَاظِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنَا أَبِي أُوَيْسٍ، وَعَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، وَخَلَفُ بْنُ هِشَامٍ، وَيَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ التَّمِيمِيُّ، وَيَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ اللَّيْثِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَيَحْيَىٰ بْنُ بُكَيْرٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ النُّفَيْلِيُّ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيُّ، وَأَبُو مُصْعَبٍ الزُّهْرِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْيَرْبُوعِيُّ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنُ، وَهِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَاتِمٍ الطَّوِيلُ، وَأَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْخُزَاعِيُّ الشَّهِيدُ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْرَقِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ الْبَلْخِيُّ الْمَاكِيَانِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الزَّيَّاتُ الْبَلْخِيُّ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَىٰ الْفَزَارِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ عِيسَىٰ بْنِ الطَّبَّاعِ أَخُو

مُحَمَّدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرْوِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ الْفُرَاتِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحُنَيْنِيُّ، وَبِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، وَحَبِيبُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ كَاتِبُ مَالِكٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ الْخَاشْتِيُّ، وَخَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ الْمُهَلَّبِيُّ، وَخَلَفُ بْنُ هِشَامٍ الْبَزَّارُ، وَزُهَيْرُ بْنُ عَبَّادٍ الرُّؤَاسِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ الْمِصْرِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ دَاوُدَ الزُّبَيْرِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، وَأَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الزَّهْرَانِيُّ، وَصَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التِّرْمِذِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ نَافِعِ بْنِ ثَابِتٍ الزُّبَيْرِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ نَافِعٍ الْجُمَحِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو الْبَجَلِيُّ الْحَرَّانِيُّ، وَعَبْدُ الْأَعْلَىٰ بْنُ حَمَّادٍ النَّرْسِيُّ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَىٰ الْمَدَنِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ، وَعُبَيْدُ بْنُ هِشَامٍ الْحَلَبِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمَعْنِيُّ، وَعُتْبَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْيَحْمَدِيُّ الْمَرْوَزِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ خَالِدٍ الْحَرَّانِيُّ، وَعَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَاسِطِيُّ، وَعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ النَّرْسِيُّ، وَكَامِلُ بْنُ طَلْحَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّيْسَابُورِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ، وَأَبُو الْأَحْوَصِ مُحَمَّدُ بْنُ حِبَّانَ الْبَغَوِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْوَرْكَانِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ أَبِي سُكَيْنَةَ، وَمَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، وَمُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْيَسَارِيُّ، وَمُحْرِزُ بْنُ سَلَمَةَ الْعَدَنِيُّ، وَمُحْرِزُ بْنُ عَوْنٍ، وَالْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ، وَيَحْيَىٰ بْنُ قَزَعَةَ الْمَدَنِيُّ، وَيَحْيَىٰ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ نَضْلَةَ الْمَدَنِيُّ، وَيَزِيدُ بْنُ صَالِحٍ النَّيْسَابُورِيُّ الْفَرَّاءُ...»(١).

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٥٢).

وَخَلْقٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

❁ ثَنَاءُ أَئِمَّةِ الإِسلامِ عَلَيْهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ لَهُ:

وَثَنَاءُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ يَحْتَاجُ إِلَىٰ مُجَلَّدٍ، فَمَا مِنْ إِمَامٍ عَاصَرَهُ أَوْ جَاءَ بَعْدَهُ إِلَىٰ يَوْمِنَا؛ إِلَّا شَهِدَ لَهُ بِالْإِمَامَةِ، وَلَوْلَا مَا قَصَدْنَاهُ مِنَ الِاخْتِصَارِ لَجَمَعْتُ مِنْ هَذَا الْكَثِيرَ، وَلَكِنْ يَكْفِينَا ثَنَاءُ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ الْفُحُولِ عَلَيْهِ كَمَا سَتَرَاهُ.

❁ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**الْعِلْمُ يَدُورُ عَلَىٰ ثَلَاثَةٍ**: مَالِكٍ وَاللَّيْثِ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ»[١].

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مَا فِي الْأَرْضِ كِتَابٌ مِنَ الْعِلْمِ أَكْثَرَ صَوَابًا مِنْ «مُوَطَّأِ مَالِكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[٢].

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يَقُولُ - أَيْضًا -**:

إِذَا جَاءَ الْأَثَرُ فَمَالِكٌ النَّجْمُ.

وَقَدْ نَظَمَ هَذَا الْمَعْنَىٰ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ - وَذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ - فَقَالَ:

«إِذَا قِيلَ مَنْ نَجْمُ الْحَدِيثِ وَأَهْلُهُ ... أَشَارَ ذَوُو الْأَلْبَابِ يَعْنُونَ مَالِكَا

إِلَيْهِ تَنَاهَىٰ عِلْمُ دِينِ مُحَمَّدٍ ... فَوَطَّأَ فِيهِ لِلرُّوَاةِ الْمَسَالِكَا

---

(١) «تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ» (١/ ٧٦).

(٢) «كَشْفُ الْمُغَطَّا» (صَحِيفَةُ: ٣٥) لِابْنِ عَسَاكِرَ.

وَنَظَّـمَ بِالتَّصْـنِيفِ أَشْـتَاتَ نَشْـرِهِ وَأَوْضَـحَ مَـا قَـدْ كَـانَ لَـوْلَاهُ حَالِكَـا
وَوَقْـتَ دُرُوسِ الْعِلْـمِ شَـرْقًا وَمَغْرِبًـا تَقَـدَّمَ فِـي تِلْـكَ الْمَسَـالِكِ سَـالِكَا
وَقَدْ جَاءَ فِي الْآفَـاقِ مِـنْ ذَاكَ شَـاهِدٌ عَلَـىٰ أَنَّـهُ فِـي الْعِلْـمِ خُـصَّ بِـذَلِكَا
فَمَنْ كَـانَ ذَا طَعْـنٍ عَلَـىٰ عِلْـمِ مَالِـكٍ ولَمْ يَقْتَبِسْ مِنْ نُورِهِ كَـانَ هَالِكَـا»[(١)]

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: «سَمِعْتُ الْإِمَامَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ:

أَخْبَرَنِي وُهَيْبٌ - وَكَانَ مِنْ أَبصَرِ النَّاسِ بِالْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ -: أَنَّهُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ:

فَلَمْ أَرَ أَحَدًا إِلَّا تَعْرِفُ وَتُنْكِرُ، إِلَّا مَالِكًا، وَيَحْيَىٰ بْنَ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيَّ»[(٢)].

وَذَكَرَ **أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ مَالِكًا، فَقَدَّمَهُ عَلَىٰ الْأَوْزَاعِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، وَاللَّيْثِ، وَحَمَّادٍ، وَالْحَكَمِ فِي الْعِلْمِ.

«**وَقَالَ**: هُوَ إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ، وَفِي الْفِقْهِ.

وَكَانَ الْإِمَامُ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **إِذَا ذُكِرَ مَالِكٌ قَالَ**:

عَالِمُ الْعُلَمَاءِ، وَمُفْتِي الْحَرَمَيْنِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ بَقِيَّةُ بْنُ مَخْلَدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) «كَشْفُ الْمُغَطَّا» (صَحِيفَةُ: ٤٣) لِابْنِ عَسَاكِرَ.

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٧/ ١٦٦).

«مَا بَقِيَ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ بِسُنَّةٍ مَاضِيَةٍ مِنْكَ يَا مَالِكُ».

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَابْنِ أَبِي لَيْلَىٰ».

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ مَعِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«مَالِكٌ مِنْ حُجَجِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ».

قَالَ الْإِمَامُ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إِذَا أَرَدْتَ اللهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ؛ فَعَلَيْكَ بِمَالِكٍ».

وَهُوَ مَع إِمَامَتِهِ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ؛ لَهُ الْإِمَامَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ؛ فَقَدْ ذَكَرَهُ: أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي فِي «طَبَقَاتِ الْقُرَّاءِ»، وَأَنَّهُ تَلَا عَلَىٰ نَافِعِ بْنِ أَبِي نُعَيْمٍ»[(١)].

قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يَـأْبَىٰ الْجَـوَابَ فَمَـا يُكَلَّـمُ هَيْبَـةً ... وَالسَّـائِلُونَ نَـوَاكِسُ الْأَذْقَـانِ
هَـدْيُ النَّبِـيِّ وَعِـزُّ سُـلْطَانِ التُّقَـىٰ ... وَهُوَ الْمَهِيبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ»[(٢)]

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمُعَافِي بْنُ أَبِي رَافِعٍ الْمُزَنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أَلَا إِنَّ فَقْـدَ الْحِلْـمِ فِـي فَقْـدِ مَالِـكٍ ... وَلَا زَالَ فِينَـا صَـالِحَ الْحَـالِ مَالِـكُ

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٧/ ١٧٨).

(٢) «حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ» (٦/ ٣١٨) لِأَبِي نُعَيْمٍ، وَذَكَرَهَا غَيْرُهُ عَنْ غَيْرِ الْإِمَامِ ابْنِ الْمُبَارَكِ.

يُقِيمُ طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ وَاضِحٌ وَيَهْدِي كَمَا تَهْدِي النُّجُومُ الشَّوَابِكُ
فَلَوْلَاهُ مَا قَامَتْ حُقُوقٌ كَثِيرَةٌ وَلَوْلَاهُ لَانْسَدَّتْ عَلَيْنَا الْمَسَالِكُ
عَشَوْنَا إِلَيْهِ نَبْتَغِي فَضْلَ رَأْيِهِ وَقَدْ لَزِمَ الْغَيَّ اللَّجُوجُ الْمُمَاحِكُ
فَجَاءَ بِرَأْيٍ مِثْلُهُ يَقْتَدِي بِهِ كَنَظْمِ جُمَانٍ زَيَّنَتْهَا السَّبَائِكُ»[١]

۞ وَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ مَنْ عَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ، لا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ**»[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ: «**يَضْرِبُ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ**».

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «كَانُوا يَرَوْنَهُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ».

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: «هُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ».

وَكَذَلِكَ قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ.

وعَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ:

«**كُنْتُ أَقُولُ**: هُوَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، حَتَّىٰ قُلْتُ: كَانَ فِي زَمَانِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ

(١) «الِانْتِقَاءُ» (صَحِيفَةُ: ٨٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ (١/ ٩١) وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ فِي تَحْقِيقِهِ لِمُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ (١٥/ ١٣٥ - ١٣٧، رَقْمُ: ٧٩٦٧).

يَسَارٍ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَغَيْرُهُمَا.

ثُمَّ أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ أَقُولُ: إِنَّهُ مَالِكٌ، لَمْ يَبْقَ لَهُ نَظِيرٌ بِالْمَدِينَةِ».

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ مُعَلِّقًا:

«**قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ**: هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عَنْ سُفْيَانَ.

رَوَاهُ عَنْهُ: ابْنُ مَهْدِيٍّ، وَابْنُ مَعِينٍ، وَذُؤَيْبُ بْنُ عِمَامَةَ، وَابْنُ الْمَدِينِيِّ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، كُلُّهُمْ سَمِعَ سُفْيَانَ يُفَسِّرُهُ بِمَالِكٍ، أَوْ يَقُولُ: وَأَظُنُّهُ، أَوْ أَحْسَبُهُ، أَوْ أُرَاهُ، أَوْ كَانُوا يَرَوْنَهُ»(١).

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ عَالِمٌ مِنْ بَعْدِ التَّابِعِينَ يُشْبِهُ مَالِكًا فِي الْعِلْمِ، وَالْفِقْهِ، وَالْجَلَالَةِ، وَالحِفْظِ؛ فَقَدْ كَانَ بِهَا بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِثْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَالْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ، وَالْقَاسِمِ، وَسَالِمٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَنَافِعٍ، وَطَبَقَتِهِم، ثُمَّ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَابْنِ شِهَابٍ، وَأَبِي الزِّنَادِ، وَيَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، وَصَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، وَرَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَطَبَقَتِهِمْ، فَلَمَّا تَفَانَوْا؛ اشْتُهِرَ ذِكْرُ مَالِكٍ بِهَا، وَابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَاجِشُونِ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، وَفُلَيْحِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَالدَّرَاوَرْدِيِّ، وَأَقْرَانِهِمْ؛ فَكَانَ مَالِكٌ هُوَ الْمُقَدَّمَ فِيهِمْ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، وَالَّذِي تُضْرَبُ إِلَيْهِ آبَاطُ

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٥٧).

الْإِبِلِ مِنَ الْآفَاقِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -»[١].

۞ آثَارُهُ، وَمُؤَلَّفَاتُهُ:

وَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ - جُزْءٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٢ - الْمُوَطَّأُ.

٣ - رِسَالَةٌ فِي الْقَدَرِ، كَتَبَهَا إِلَىٰ ابْنِ وَهْبٍ.

٤ - رِسَالَةٌ فِي الْأَقْضِيَةِ.

٥ - رِسَالَةٌ إِلَىٰ أَبِي غَسَّانَ بْنِ مُطَرِّفٍ.

٦ - جُزْءٌ فِي النُّجُومِ وَمَنَازِلِ الْقَمَرِ.

وَقَدْ نَقَلَ الْأَئِمَّةُ فِي عَصْرِهِ عَنْهُ الْكَثِيرَ، وَصَارَ عِلْمُهُ مَعَ الرُّكْبَانِ فِي صُدُورِ طُلَّابِ الْعِلْمِ الَّذِينَ مَا لَبِثُوا حَتَّىٰ صَارُوا قُضَاةً وَأَئِمَّةً فِي مُخْتَلَفِ الْأَمْصَارِ؛ فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

۞ عِبَادَتُهُ:

مِنَ الْمَعْرُوفِ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ صَلَابَتُهُمْ فِي التَّمَسُّكِ بِالْهَدْيِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَكَانَ مَالِكٌ مِنْ أَعْيَانِ أَعْلَامِ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ مَعْرُوفًا

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٥٨).

بِالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالِاعْتِزَازِ بِالْعِلْمِ، مَعَ خَفْضِ الْجَنَاحِ لِلْغَيْرِ، وَتَبَحُّرِهِ فِي الْعُلُومِ؛ وَمَا مَنَعَهُ ذَلِكَ مِنَ التَّنَسُّكِ وَالتَّعَبُّدِ، بَل كَانَ قَوَّامًا صَوَّامًا يَعْتَزِلُ النَّاسَ إِلَّا فِي خَيْرٍ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْهُ فِي أُمُورٍ مِنْهَا:

۞ تَوْقِيرُهُ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِمَسْجِدِهِ:

وَكَانَ مَالِكٌ لَا يَتَحَدَّثُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ عَلَىٰ الطَّهَارَةِ، وَمِنْ عَجِيبِ مَا وَقَعَ مِنْهُ مَعَ الْخَلِيفَةِ الرَّشِيدِ: أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ الرَّشِيدُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَقِيلَ لَهُ:

قَدْ صَنَّفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ كِتَابًا فِي الشَّرَائِعِ وَالْآثَارِ. فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ يَسْتَحْضِرُهُ الْكِتَابَ، فَقَالَ مَالِكٌ: هَذَا كِتَابٌ قَدْ جَمَعْتُ فِيهِ السُّنَنَ وَالْآثَارَ، ثُمَّ يَسُومُنِي حَمْلَهُ إِلَيْهِ! لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ جَبَّارٌ، وَلَا نَأْمَنُهُ عَلَيْكَ. قَالَ: فَإِذًا أُذِلُّ نَفْسِي وَلَا أُذِلُّ عِلْمِي. فَقَامَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْعِلْمُ يُؤْتَىٰ وَلَا يَأْتِي**»، وَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ وَعِنْدَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النِّسَاءُ: ٩٥]؛ فَرَأَىٰ الْكَآبَةَ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَعَرَجَ ثُمَّ هَبَطَ فِي أَسْرَعِ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ**﴾[النِّسَاءُ: ٩٥]، فَهَذَا جِبْرِيلُ قَطَعَ هَذِهِ الْمَسَافَةَ لِهَذَا الْحَرْفِ، وَأَنْتَ تَسُومُنِي أَنْ أَحْمِلَ كِتَابًا جَمَعْتُ فِيهِ سُنَنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْآثَارَ! فَقَالَ: لَا يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، بَلْ نَأْتِيكَ فِي بَيْتِكَ فَنَسْمَعُهُ مِنْكَ. وَأَمَرَ أَنْ تُسْرَجَ الدَّوَابُّ؛ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ**

أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»، أَفَتُؤْثِرُ ظُهُورَ الدَّوَابِّ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ الْمَلَائِكَةِ؟! فَقَالَ: لَا يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، بَلْ نَمْشِي مَعَكَ مَشْيًا. وَقَامَ فَسَايَرَهُ إِلَىٰ دَارِهِ، وَجَلَسَ عَلَىٰ السَّرِيرِ، وَقَالَ: هَاتِ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا اخْتَصَّ بِعِلْمِهِ الْخَاصَّ دُونَ الْعَامِّ؛ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ الْخَاصُّ وَلَا الْعَامُّ**»، فَتَأْذَنُ بِإِقَامَةِ النِّدَاءِ بِحُضُورِ النَّاسِ لِسَمَاعِهِ مَعَكَ؟! فَأَمَرَ بِإِقَامَةِ النِّدَاءِ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَمِعَ كِتَابَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلْيَحْضُرْ.

فَلَمَّا حَضَرَ النَّاسُ قَالَ: هَاتِ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَوَاضَعَ لِلْعِلْمِ رَفَعَهُ اللهُ**»، وَإِنِّي أَشْتَهِي أَنْ تَسْتَوِيَ مَعَ النَّاسِ. فَنَزَلَ عَنِ السَّرِيرِ وَاسْتَوَىٰ مَعَهُمْ، ثُمَّ قَرَأَ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: إِنِّي أُعَلِّقُ هَذَا الْكِتَابَ عَلَىٰ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَأُنَادِي: مَنْ حَادَ عَنْهُ جَلَدْتُهُ جَلْدَ الْمُفْتَرِي. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي قَدْ قُلْتُ فِيهِ بِرَأْيِي وَاجْتَهَدْتُ، وَلَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنَ الْخَطَأِ وَالْغَلَطِ، فَدَعِ النَّاسَ وَاجْتِهَادَهُمْ. فَقَالَ: بِمَاذَا سَمَّيْتَهُ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتَ أَوْلَىٰ بِهِ. فَقَالَ: أُسَمِّيهِ بِفِعْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَوْطِيَتِهِ لِلْخَلْقِ، هُوَ كِتَابُ «الْمُوَطَّأِ»؛ تَوَطَّأْتَ فِيهِ لِلْعِلْمِ وَالرَّعَايَا[1].

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ خَوْفِهِ مِنَ اللهِ؛ إِذْ مَنْ خَافَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا هَابَ فِي الْحَقِّ

(١) «مَنَازِلُ الْأَئِمَّةِ» (صَحِيفَةُ: ١٨٩) لِلْإِمَامِ ابْنِ أَبِي طَاهِرٍ.

أَحَدًا، وَيَدُلُّ عَلَىٰ شِدَّةِ تَمَسُّكِهِ بِمَا عَلِمَ وَحَفِظَ، مَعَ عَدَمِ الِالْتِفَاتِ لِمَا يَرْغَبُ فِيهِ الْخَلْقُ، وَإِلَيْهِ يَطْمَحُونَ!

وَقَدْ جَاءَ عَنِ ابْنِ الْقَاسِمِ، أَنَّهُ قَالَ:

«**قِيلَ لِمَالِكٍ**: لِمَ لَمْ تَأْخُذْ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ؟

قَالَ: أَتَيْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ يَأْخذُونَ عَنْهُ قِيَامًا، فَأَجْلَلْتُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ آخُذَهُ قَائِمًا»[1].

وَ«كَانَ مَالِكٌ يَشْهَدُ الصَّلَوَاتِ وَالْجُمُعَةَ وَالْجَنَائِزَ، وَيَعُودُ الْمَرْضَىٰ، وَيَقْضِي الْحُقُوقَ، وَيَجْلِسُ فِي الْمَسْجِدِ. ثُمَّ تَرَكَ الْجُلُوسَ فِي الْمَسْجِدِ، فَكَانَ يُصَلِّي وَيَرْجِعُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ. وَتَرَكَ شُهُودَ الْجَنَائِزِ فَكَانَ يَأْتِي أَصْحَابَهَا فَيُعَزِّيهِمْ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَتَّىٰ تَرَكَ الْجُمُعَةَ. وَاحْتَمَلَ النَّاسُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَكَانُوا أَرْغَبَ مَا كَانُوا فِيهِ وَأَشَدَّهُ لَهُ تَعْظِيمًا، حَتَّىٰ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَكَانَ رُبَّمَا كُلِّمَ فِي ذَلِكَ فَيَقُولُ: لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِعُذْرِهِ»[2].

وَإِنَّمَا كَانَ تَخَلُّفُهُ عَنِ الْمَسْجِدِ عِنْدَ كِبَرِهِ؛ لِأَنَّهُ سَلِسَ بَوْلُهُ، فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ:

«كَرِهْتُ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا عَلَىٰ غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ اسْتِخْفَافًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُخْبِرَ النَّاسَ بِعِلَّتِي فَتَكُونَ شَكْوَىٰ مِنَ اللهِ

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٦٧).

(٢) «وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ» (٤/ ١٣٦).

عَزَّوَجَلَّ»[١].

فتَأَمَّلْ كَيْفَ كَانَ تَعْظِيمُهُ لِمَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَيْفَ تَحَمُّلُهُ لَوْمَ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَلَا يُجِيبُ إِلَّا عِنْدَ مَوْتِهِ؛ لِيُبَيِّنَ لِمَنْ خَلْفَهُ، وَإِلَّا فَهُو فِي غِنًىٰ عَنْ مَدْحِ مُعَاصِرِيهِ، وَلَا يَلْتَفِتُ لِلَوْمِهِمْ! وَيَخَافُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُشْتَكيًا رَبَّهُ لِلْخَلْقِ! فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

۞ وَرَعُهُ فِي الْفَتْوَى مَعَ تَضَلُّعِهِ وَإِمَامَتِهِ:

قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ: «سَمِعْتُ مَالِكًا سُئِلَ عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، فَأَجَابَ فِي اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا بِـ: لَا أَدْرِي»[٢].

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ، قَالَ: «قَدِمْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ بِأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، فَمَا أَجَابَنِي مِنْهَا إِلَّا فِي خَمْسِ مَسَائِلَ»[٣].

وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ عَارِفًا بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فَلَا يَحْمِلُهُ خُلُقُ الْإِعْزَازِ لِلْعِلْمِ بِأَنْ يَتَكَبَّرَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ يُجَازِفَ بِهَا فِي هَلَكَتِهَا، بَلْ عُرِفَ بِهَضْمِهِ لَحَظِّ نَفْسِهِ:

قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ: «حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، سَمِعْتُ مَالِكًا - وَقَالَ لَهُ ابْنُ الْقَاسِمِ: لَيْسَ بَعْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِالْبُيُوعِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ - فَقَالَ مَالِكٌ: مَنْ أَيْنَ عَلِمُوا ذَلِكَ؟

---

(١) «تَذْكِرَةُ الْحُفَّاظِ» (١/ ٢١٠). بِتَصَرُّفٍ.

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٧٧).

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (٨/ ٧٧).

قَالَ: مِنْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ.

فَقَالَ: مَا أَعْلَمُهَا أَنَا، فَكَيْفَ يَعْلَمُونَهَا بِي؟!»[(١)].

۞ وَمِنْ مَوَاقِفِهِ الإِيمَانِيَّةِ:

مَا جَاءَ عَنْ خَلَفِ بْنِ عُمَرَ: سَمِعَ مَالِكًا يَقُولُ:

«**مَا أَجَبْتُ فِي الْفَتْوَىٰ حَتَّىٰ سَأَلْتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي**: هَلْ تَرَانِي مَوْضِعًا لِذَلِكَ؟ سَأَلْتُ رَبِيعَةَ، وَسَأَلْتُ يَحْيَىٰ بْنَ سَعِيدٍ، فَأَمَرَانِي بِذَلِكَ.

فَقُلْتُ: فَلَوْ نَهَوْكَ؟

قَالَ: كُنْتُ أَنْتَهِي، **لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَبْذُلَ نَفْسَهُ حَتَّىٰ يَسْأَلَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ**»[(٢)].

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحُنَيْنِيُّ:

«**كَانَ مَالِكٌ يَقُولُ**: وَاللهِ مَا دَخَلْتُ عَلَىٰ مَلِكٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ، حَتَّىٰ أَصِلَ إِلَيْهِ، إِلَّا نَزَعَ اللهُ هَيْبَتَهُ مِنْ صَدْرِي»[(٣)].

وَسَأَلَ هَارُونُ الرَّشِيدُ مَالِكًا - وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ، وَمَعَهُ بَنُوهُ - أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ.

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٧٦).

(٢) «الْحِلْيَةُ» (٦ / ٣١٧).

(٣) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٦٦).

«**قَالَ**: مَا قَرَأْتُ عَلَىٰ أَحَدٍ مُنْذُ زَمَانٍ، وَإِنَّمَا يُقْرَأُ عَلَيَّ.

فَقَالَ: أَخْرِجِ النَّاسَ حَتَّىٰ أَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكَ.

فَقَالَ: إِذَا مُنِعَ الْعَامُّ لِبَعْضِ الْخَاصِّ؛ لَمْ يَنْتَفِعِ الْخَاصُّ.

وَأَمَرَ مَعْنَ بْنَ عِيسَىٰ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ»(١).

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: «قَالَ مَالِكٌ:

دَخَلْتُ عَلَىٰ الْمَنْصُورِ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْهَاشِمِيُّونَ، فَيُقَبِّلُونَ يَدَهُ وَرِجْلَهُ وَعَصَمَنِي اللهُ مِنْ ذَلِكَ»(٢).

۞ وَمِنْ أَقْوَالِهِ وَنَصَائِحِهِ:

«**قَالَ مَالِكٌ - لِلْقَعْنَبِيِّ -**:

مَهْمَا تَلَاعَبْتَ بِشَيْءٍ فَلَا تَلْعَبَنَّ بِدِينِكَ.

وَقَالَ - لِابْنَيْ أَخِيهِ -:

إِنْ أَحْبَبْتُمَا أَنْ يَنْفَعَكُمَا اللهُ بِهَذَا الْأَمْرِ؛ فَأَقِلَّا مِنْهُ وَتَفَهَّمَا فِيهِ.

وَقَالَ:

مَا أَكْثَرَ أَحَدٌ قَطُّ فَأَفْلَحَ.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: قَالَ لِي مَالِكٌ:

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٦٦).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٦٧).

إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَلَا يَكُونُ إِمامًا أَبَدًا»[١].

وَقَالَ حَرْمَلَةُ: «حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ لِي مَالِكٌ:

الْعِلْمُ يَنْقُصُ وَلَا يَزِيدُ، وَلَمْ يَزَلِ الْعِلْمُ يَنْقُصُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكُتُبِ»[٢].

عَنْ مَالِكٍ، قَالَ:

«**لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ:** سَفِيهٍ يُعلِنُ السَّفَهَ، وَإِنْ كَانَ أَرْوَىٰ النَّاسِ، وَصَاحِبِ بِدْعَةٍ يَدْعُو إِلَىٰ هَوَاهُ، وَمَنْ يَكْذِبُ فِي حَدِيثِ النَّاسِ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَتَّهِمُهُ فِي الْحَدِيثِ، وَصَالِحٍ عَابِدٍ فَاضِلٍ، إِذَا كَانَ لَا يَحْفَظُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ»[٣].

عَنْ مَالِكٍ، قَالَ: «جُنَّةُ الْعَالِمِ: (لَا أَدْرِي)، فَإِذَا أَغْفَلَهَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ»[٤].

وَعَنْ مَالِكٍ قَالَ: «الْجِدَالُ فِي الدِّينِ يُنْشِئُ الْمِرَاءَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْعِلْمِ مِنَ الْقَلْبِ وَيُقَسِّي، وَيُورِثُ الضِّغْنَ»[٥].

قَالَ مَالِكٌ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[الْمَائِدَةُ: ٣]، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا لَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا»[٦].

---

(١) «تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ» (٢/ ٦٥).

(٢) «مَشَاهِيرُ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ» (صَحِيفَةُ: ١٤٠).

(٣) «الْكِفَايَةُ فِي عِلْمِ الرِّوَايَةِ» (ص: ١١٦).

(٤) «جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ» (٢/ ٨٤١) لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ.

(٥) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ١٠٦).

(٦) «الِاعْتِصَامُ» (٢/ ٥٣٥).

* مَا قَلَّتِ الْآثَارُ فِي قَوْمٍ إِلَّا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ، وَلَا قَلَّتِ الْعُلَمَاءُ إِلَّا ظَهَرَ فِي النَّاسِ الْجَفَاءُ[1].

❁ مِحْنَتُهُ:

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: «ضَرَبَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ مالْكَ بْنَ أَنَسٍ فِي طَلَاقِ الْمُكْرَهِ، فَلَمَّا ضُرِبَ حُلِقَ وَحُمِلَ عَلَىٰ بَعِيرٍ، فَقِيلَ لَهُ: نَادِ عَلَىٰ نَفْسِكَ. فَقَالَ: أَلَا مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْأَصْبَحِيُّ، وَأَنَا أَقُولُ: طَلَاقُ الْمُكْرَهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ. فَبَلَغَ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ يُنَادِي عَلَىٰ نَفْسِهِ بِذَلِكَ؛ فَقَالَ: أَدْرِكُوهُ، اتْرُكُوهُ»[2].

❁ وَفَاتُهُ:

(١٤ رَبِيعَ الْأولَ، ١٧٩هـ - الْمُوَافِقُ لِعَامِ: ٧٩٥ مِنَ التَّأْرِيخِ الْمِيلَادِيِّ).

وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

«**قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ:** اشْتَكَىٰ مَالِكٌ أَيَّامًا يَسِيرَةً، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَهْلِنَا عَمَّا قَالَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟ فَقَالُوا: تَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾ [الرُّومُ: ٤].

وَعَنْ بَكْرِ بْنِ سُلَيْمٍ الصَّوَّافِ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي

(١) «الِاعْتِصَامُ» (٢/ ٥٣٥).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٧٩).

الْعَشِيَّةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا، فَقُلْنَا لَهُ: أَبَا عَبْدِ اللهِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ، إِلَّا أَنَّكُمْ سَتُعَايِنُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ عَفْوِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي حِسَابٍ. قَالَ: فَمَا بَرِحْنَا حَتَّىٰ أَغْمَضْنَاهُ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَرَضِيَ عَنْهُ»[1].



(١) «الْمُلْتَمَسُ» (صَحِيفَةُ: ٨١) لِلْإِمَامِ صَلَاحِ الدِّينِ الْعَلَائِيِّ.



مَنَامَاتٌ وَبُشْرَيَاتٌ[١]

قَالَ الْإِمَامُ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ دَاوُدَ - **رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْ أَفْضَلِهِمْ** - قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ الْقَبْرَ انْفَرَجَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ، وَإِذَا النَّاسُ يَتَقَصَّفُونَ - يَعْنِي عَلَيْهِ -، فَصَاحَ صَائِحٌ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ. فَرَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ جَاءَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ شَيْئًا، وَقَالَ: اقْسِمْ هَذَا عَلَىٰ النَّاسِ. فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ يُعْطِيهِ النَّاسَ»[٢].

---

(١) وَطَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْمَنَامَاتِ وَالرُّؤَىٰ أَنَّهَا **لَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَا أَحْكَامٌ عَلَىٰ الْأَشْخَاصِ**، غَيْرَ أَنَّهَا مِن جُمْلَةِ الْمُبَشِّرَاتِ وَمِنْ عَاجِلِ بُشْرَىٰ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا؛ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ**. قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: **الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**». وَانْظُرْ: «مُخْتَصَرَ الِاعْتِصَامِ» (صَحِيفَةُ: (٦٦)، وَمَا بَعْدَهَا)؛ فَفِيهِ تَفْصِيلٌ رَائِعٌ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الطُّرُقِيِّينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْمَنَامَاتِ مَصْدَرًا مِنْ مَصَادِرِ الْأَحْكَامِ!

(٢) «الْحِلْيَةُ» (٦/ ٣١٧).

وَقَدْ تَوَاطَأَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَا؛ فَقَدْ جَاءَ عَنِ الْإِمَامِ خَلَفٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ قَالَ:

«وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ [يَعْنِي: الْإِمَامَ مَالِكًا]، فَقَالَ: مَا تَرَىٰ؟

فَإِذَا رُؤْيَا بَعَثَهَا بَعْضُ إِخْوَانِهِ، يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فِي مَسْجِدٍ قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ:

إِنِّي قَدْ خَبَّأْتُ تَحْتَ مِنْبَرِي طِيبًا أَوْ عِلْمًا، وَأَمَرْتُ مَالِكًا أَنْ يُفَرِّقَهُ عَلَىٰ النَّاسِ. فَانْصَرَفَ النَّاسُ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِذًا يُنَفِّذُ مَالِكٌ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. ثُمَّ بَكَىٰ، فَقُمْتُ عَنْهُ»(١).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مَالِكًا وَاللَّيْثَ يَخْتَلِفَانِ، فَبِأَيِّهِمَا آخُذُ؟

قَالَ: مَالِكٌ، مَالِكٌ»(٢).



---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٨/ ٦٢).

(٢) «الِانْتِقَاءُ» (صَحِيفَةُ: ٣٨).



الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ

اسْمُهُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ[١] بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ.

كُنْيَتُهُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ.

۞ ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ نَسَبِهِ وَشَرَفِهِ:

هُوَ الْإِمَامُ «الْقُرَشِيُّ، ثُمَّ الْمُطَّلِبِيُّ، الشَّافِعِيُّ، الْمَكِّيُّ، الْغَزِّيُّ مَوْلِدًا[٢]، نَسِيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَابْنُ عَمِّهِ، فَالْمُطَّلِبُ هُوَ أَخُو هَاشِمٍ وَالِدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»[٣]، فَيَكْفِيهِ شَرَفًا أَنَّهُ نَسِيبُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

(١) وَفِهْرٌ: جِمَاعُ قُرَيْشٍ، وَمَا كَانَ فَوْقَ فِهْرٍ فَلَيْسَ يُقَالُ لَهُ: قُرَشِيٌّ؛ يُقَالُ لَهُ: كِنَانِيٌّ.

(٢) وَهُوَ الرَّاجِحُ مِنَ الْأَقْوَالِ فِي مُسْقِطِ رَأْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٦).

وَجَدُّهُ: شَافِعُ بْنُ السَّائِبِ – وَإِلَيْهِ نِسْبَتُهُ –، صَحَابِيٌّ، قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ عَنْهُ: «شَافِعٌ: لَهُ رُؤْيَةٌ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي صِغَارِ الصَّحَابَةِ، وَوَلَدُهُ عُثْمَانُ: تَابِعِيٌّ، لَا أَعْلَمُ لَهُ كَبِيرَ رِوَايَةٍ»[1].

وَكَانَ أَخْوَالُ الشَّافِعِيِّ مِنَ الْأَزْدِ.

❁ مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ:

(١٥٠ / الْمُوَافِقُ ٧٦٧ مِنَ التَّأْرِيخِ الْمِيلَادِيِّ).

وُلِدَ الشَّافِعِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الْإِمَامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِغَزَّةَ، قَرْيَةٌ مِنْ قُرَىٰ الشَّامِ، قَرِيبَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَقِيلَ: بِالْيَمَنِ، وَقِيلَ: بِعَسْقَلَانَ.

«وَمَاتَ أَبُوهُ إِدْرِيسُ شَابًّا، **فَنَشَأَ مُحَمَّدٌ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أُمِّهِ**، فَخَافَتْ عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ، فَتَحَوَّلَتْ بِهِ إِلَىٰ مَحْتِدِهِ وَهُوَ ابْنُ عَامَيْنِ.

فَنَشَأَ بِمَكَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الرَّمْيِ، حَتَّىٰ فَاقَ فِيهِ الْأَقْرَانَ، وَصَارَ يُصِيبُ مِنْ عَشْرَةِ أَسْهُمٍ تِسْعَةً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّرْعِ، فَبَرَعَ فِي ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ.

ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْفِقْهُ، فَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ»[2].

وَنَشَأَ مَعَ يُتْمِهِ فَقِيرًا كَمَا حَكَىٰ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ الْحُمَيْدِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ:

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٩).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٦).

«كُنْتُ يَتِيمًا فِي حَجْرِ أُمِّي، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَا تُعْطِينِي لِلْمُعَلِّمِ، وَكَانَ الْمُعَلِّمُ قَدْ رَضِيَ مِنِّي أَنْ أَقُومَ عَلَىٰ الصِّبْيَانِ إِذَا غَابَ، وَأُخَفِّفَ عَنْهُ»(١).

وَوُجِّهَ لِلْحِفْظِ وَالضَّبْطِ صَغِيرًا، قَالَ الْمُزَنِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ:

«حَفِظْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وَحَفِظْتُ «الْمُوَطَّأَ» وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ»(٢).

۞ صُورَتُهُ وَخِلْقَتُهُ:

قَالَ الْمُزَنِيُّ:

«مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكَانَ رُبَّمَا قَبَضَ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ، فَلَا يَفْضُلُ عَنْ قَبْضَتِهِ»(٣).

۞ الظُّرُوفُ السِّيَاسِيَّةُ، والاِجْتِمَاعِيَّةُ، وَالدِّينِيَّةُ:

وُلِدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي خِلَافَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ فِي زَمَنِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ، وَعَاصَرَ زَمَنَ نُفُوذِ الْفُرْسِ فِي مَرْحَلَةِ الْحُكْمِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِ، وَزَمَنَ نُفُوذِ الْأَتْرَاكِ بَعْدَهُمْ، وَفِي الْجُمْلَةِ لَمْ يَحُطَّ هَذَا مِنْ شَأْنِهِ، وَلَا كَانَ سَبَبًا لِلصِّدَامِ مِنْهُ مَعَهُمْ، وَهُوَ قُرَشِيٌّ شَرِيفٌ، وَالْعَبَّاسِيُّونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ نَسْلِ أَصْغَرِ أَبْنَاءِ عُمُومَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، غَيْرَ

(١) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ»: (٢٤)، وَ«حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ» (٩/ ٧٣)، وَ«تَوَالِي التَّأْسِيسِ»: (٥٠)، وَ«الْمَنَاقِبُ» لِلرَّازِيِّ: (٩)، وَ«الْمَنَاقِبُ» لِلْبَيْهَقِيِّ (١ / ٩٢). وَانْظُرْ: «سِيَرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ١١ بِحَاشِيَتِهِ).

(٢) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٢ / ٦٢ – ٦٣).

(٣) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ١١).

أَنَّهُمْ مَكَّنُوا الشُّعُوبِيِّينَ، وَجَنَّبُوا الْعَرَبَ مَنَاصِبَ الْخِلَافَةِ الْعُظْمَىٰ! وَلَمْ يَكُنْ مَا يَجْرِي سِيَاسِيًّا مُحَرِّكًا أَو مُغَيِّرًا لِحَرَكَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّ سَبِيلَهُمْ لَا تَلَوُّنَ فِيهِ، فَابْتِعَادُهُمْ عَنِ الْقَضَاءِ - أَعْنِي الْأَئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ - وَعَنْ مَوَاطِنِ الْحَرَاكِ السِّيَاسِيِّ؛ جَعَلَ مِنْهُمْ كَلِمَةَ إِجْمَاعٍ، إِلَّا عِنْدَ مَنِ انْتَكَسَتْ فِطْرَتُهُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ عِلَّتُهُ، وَحَرَّكَهُ غَرَضُهُ وَعَصَبِيَّتُهُ، وَقَدِ امْتَدَّتْ حَيَاةُ الْإِمَامِ فِي زَمَنِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ:

- أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّفَاحُ (١٣٢ - ١٣٦ هـ).
- وَأَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللهِ الثَّانِي الْمَنْصُورُ (١٣٦ - ١٥٨هـ).
- وَأَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَهْدِيُّ (١٥٨ - ١٦٩هـ).
- وَأَبُو مُحَمَّدٍ مُوسَىٰ الْهَادِي (١٦٩ - ١٧٠هـ).
- وَأَبُو جَعْفَرٍ هَارُونُ الرَّشِيدُ (١٧٠ - ١٩٣ هـ).
- وَأَبُو مُوسَىٰ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ (١٩٣ - ١٩٨ هـ).

وَمَاتَ الْإِمَامُ فِي زَمَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَبْدِ اللهِ الْمَأْمُونِ، الَّذِي نُصِّبَ خَلِيفَةً فِي عَامِ (١٩٨ هـ)؛ لِيَمُوتَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ فِتْنَتِهِ وَمِحْنَتِهِ عَامَ ٢٠٤ هـ عَنْ عُمَرٍ ٥٤ عَامًا، وَقَدْ أَثْرَىٰ الْعَالَمَ عِلْمًا، وَتَرَكَ لَهُ مِنْ صَحَائِفِ الْخَيْرِ مَا لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ.

❁ وَأَمَّا الظُّرُوفُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ:

فَكَانَ يَشْهَدُ بِبَغْدَادَ مِنْ الِانْفِتَاحِ عَلَىٰ ثَقَافَاتٍ شَتَّىٰ وَحَضَارَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛

لِيَنْتَقِلَ بَعْدَ ذَلِكَ لِمِصْرَ حَاضِنَةِ الْحَضَارَاتِ! وَهَذَا يَجْعَلُ مِنَ الْحَرَاكِ وَالنُّفُورِ بَيْنَ طَبَقَاتِ الْمُجْتَمَعِ مَا لَا يَخْفَىٰ، وَقَدْ أَمِنَ مِنْ ذَلِكَ الْإِمَامُ مَالِكٌ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ، وَقَدْ أَقَامَ بَهَا، فَلَمْ يَسْكُنْ سِوَاهَا، بِخِلَافِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ؛ فَقَدْ رَحَلَ مِنْ غَزَّةَ بِفِلَسْطِينَ - أَعَادَهَا اللهُ سَالِمَةً مِنْ أَيْدِي الْمُغْتَصِبِينَ، وَحَرَّرَهَا مِنْ طَرِيقَةِ الْمُنْحَرِفِينَ - إِلَىٰ مَكَّةَ - زَادَهَا اللهُ شَرَفًا -، وَمِنْهَا لِلْعِرَاقِ - رَفَعَ اللهُ مَا نَزَلَ بِهَا وَسَلَّمَ أَهْلَهَا -، وَمِنَ الْعِرَاقِ لِمِصْرَ - وَقَاهَا اللهُ شَرَّ الْمُتَآمِرِينَ عَلَيْهَا -؛ فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

❁ **وَأَمَّا الْحَالَةُ الدِّينِيَّةُ:**

فَكَانَتْ مُتَأَزِّمَةً؛ لِظُهُورِ التَّرَفِ وَالْفُجُورِ فِي بَعْضِ الْوُلَاةِ وَالْعُمَّالِ، وَانْتِشَارِ الْمُجُونِ وَشُعَرَاءِ السُّوءِ مَعَ وُجُودِ حَرَكَةِ التَّرْجَمَةِ لِكُتُبِ الْيُونَانِ، وَانْتِشَارِ مَذْهَبِ الْكَلَامِ وَالرَّأْيِ! لِيَكُونَ ذَلِكَ مَوْطِئًا لِفِتْنَةٍ عَارِمَةٍ عَصَفَتْ بِكَثِيرٍ مِنْ مُقَدَّرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَضَاعَتْ صَفَاءَ عَقَائِدِ كَثِيرٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ سَخَّرَ اللهُ لَهَا الْأَئِمَّةَ، كَمَا سَتَرَاهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ سِيرَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ **سَبَبُ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ:**

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَارَقْتُ مَكَّةَ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةٍ، [وَقَصَدْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ]، فَرَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مُتَّزِرًا بِبُرْدَةٍ مُتَّشِحًا بِأُخْرَىٰ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ - يَضْرِبُ بِيَدِهِ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ -. فَلَمَّا رَأَيْتُ

ذَلِكَ هِبْتُهُ الْهَيْبَةَ الْعَظِيمَةَ».

قَالَ الشَّافِعِيُّ: «وَقَدِمْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ وَقَدْ حَفِظْتُ «الْمُوَطَّأَ»، فَقَالَ لِي: أَحْضِرْ مَنْ يَقْرَأُ لَكَ. فَقُلْتُ: أَنَا قَارِئٌ. فَقَرَأْتُ «الْمُوَطَّأَ» حِفْظًا، فَقَالَ: إِنْ يَكُنْ أَحَدٌ يُفْلِحُ فَهَذَا الْغُلَامُ».

۞ رِحْلَتُهُ لِلْعِلْمِ:

نَشَأَ الْإِمَامُ بِمَكَّةَ وَحَصَّلَ عُلُومَ عُلَمَائِهَا، فَكَانَ مِمَّنْ تَلَقَّىٰ عَلَيْهِمْ:

«مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ الزَّنْجِيُّ - مُفْتِي مَكَّةَ -.

وَدَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارُ.

وَعَمُّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ شَافِعٍ - فَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْعَبَّاسِ جَدِّ الشَّافِعِيِّ -.

وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ.

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُلَيْكِيُّ.

وَسَعِيدُ بْنُ سَالِمٍ.

وَفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَعِدَّةٌ»(١).

وَارْتَحَلَ - وَهُوَ ابْنُ نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ قَدْ تَحَمَّلَ أُصُولَ الْعُلُومِ وَصَارَ بَالِغًا الْغَايَةَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، فَصِيحًا وَأَدِيبًا وَصَاحِبَ حَدِيثٍ وَذَا هَيْبَةٍ وَأَدَبٍ.

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٦).

فَكَانَتْ رِحْلَتُهُ الْأُولَىٰ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ؛ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَحَمَلَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ «الْمُوَطَّأَ»، عَرَضَهُ مِنْ حِفْظِهِ.

وَحَمَلَ عَنْ: إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي يَحْيَىٰ - فَأَكْثَرَ -، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيِّ، وَعَطَّافِ بْنِ خَالِدٍ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، وَطَبَقَتِهِمْ(١).

وَرَحَلَ بَعْدَهَا إِلَىٰ الْيَمَنِ وَبَغْدَادَ وَمِصْرَ وَغَيْرِهَا مِنْ مُدُنِ الْعِلْمِ:

فَـ«أَخَذَ بِالْيَمَنِ عَنْ:

مُطَرِّفِ بْنِ مَازِنٍ، وَهِشَامِ بْنِ يُوسُفَ الْقَاضِي، وَطَائِفَةٍ.

وَبِبَغْدَادَ عَنْ:

مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ - فَقِيهِ الْعِرَاقِ [وَصَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ] -، وَلَازَمَهُ، وَحَمَلَ عَنْهُ وِقْرَ بَعِيرٍ.

وَعَنْ: إِسْمَاعِيلَ ابْنِ عُلَيَّةَ، وَعَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ، وَخَلْقٍ»(٢).

۞ عُلُومُهُ:

عَنْ أَبِي دَاوُدَ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيِّ يَقُولُ: «رَحِمَ اللهُ مَالِكًا كَانَ إِمَامًا، رَحِمَ اللهُ **الشَّافِعِيَّ** كَانَ إِمَامًا، رَحِمَ اللهُ أَبَا حَنِيفَةَ كَانَ إِمَامًا».

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٧).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٧).

۞ اللُّغَةُ وَالْقُرْآنُ:

وَقَدْ بَلَغَ فِي تَحْصِيلِ عُلُومِ الْقُرْآنِ وَاسْتِظْهَارِ مَعَانِيهِ وَمَعْرِفَةِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مَنْزِلًا عَظِيمًا، حَتَّىٰ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ:

«أَقَمْتُ فِي بُطُونِ الْعَرَبِ عِشْرِينَ سَنَةً، آخُذُ أَشْعَارَهَا وَلُغَاتِهَا، وَحَفِظْتُ الْقُرْآنَ، فَمَا عَلِمْتُ أَنَّهُ مَرَّ بِي حَرْفٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ الْمَعْنَىٰ فِيهِ وَالْمُرَادَ، مَا خَلَا حَرْفَيْنِ، أَحَدُهُمَا: «دَسَّاهَا»»[1].

---

(١) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٢/ ٦٣)، وَ«تَهْذِيبُ الْكَمَالِ» لَوْحَةُ: (١١٦١)، وَ«تَارِيخُ ابْنِ عَسَاكِرَ» (١٤/ ٤٠٢/ ٢)، وَجَاءَ فِي «الْحِلْيَةِ» (٩/ ١٠٤) عَنِ ابْنِ بِنْتِ الشَّافِعِيِّ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: نَظَرْتُ فِي دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ، فَعَرَفْتُ مُرَادَ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ إِلَّا حَرْفَيْنِ؛ وَاحِدٌ مِنْهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ١٠]؛ فَإِنِّي لَمْ أَجِدْهُ.

وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (٢/ ١٩٠) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ؛ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: «نَظَرْتُ بَيْنَ دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ، فَعَرَفْتُ مُرَادَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي جَمِيعِ مَا فِيهِ إِلَّا حَرْفَيْنِ - ذَكَرَهُمَا وَأُنْسِيتُ أَحَدَهُمَا -، وَالْآخَرُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾، فَلَمْ أَجِدْهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، فَقَرَأْتُ لِمُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ: أَنَّهَا لُغَةُ السُّودَانِ، وَأَنَّ دَسَّاهَا: أَغْوَاهَا.

وَعَلَّقَ عَلَيْهِ الْبَيْهَقِيُّ فَقَالَ: «قَوْلُهُ: فِي كَلَامِ الْعَرَبِ؛ أَرَادَ: لُغَتَهُمْ، أَوْ أَرَادَ: فِيمَا بَلَغَهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ مُقَاتِلٌ: «لُغَةُ السُّودَانِ»؛ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ».

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي «مُشْكِلِ الْقُرْآنِ» (٢٦٧): «﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ أَيْ: نَقَصَهَا وَأَخْفَاهَا بِتَرْكِ عَمَلِ الْبِرِّ، وَبِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْفَاجِرُ أَبَدًا خَفِيُّ الْمَكَانِ، زَمِرُ الْمُرُوءَةِ، غَامِضُ الشَّخْصِ، نَاكِسُ الرَّأْسِ، وَ«دَسَّاهَا» مِنْ «دَسَسْتُ»، فَقُلِبَتْ إِحْدَىٰ السِّينَاتِ يَاءً، كَمَا يُقَالُ: لَبَّيْتُ، وَالْأَصْلُ: لَبَبْتُ، وَ: قَصَّيْتُ أَظْفَارِي، وَأَصْلُهُ: قَصَصْتُ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ.

=

۞ سَبَبُ جُلُوسِهِ لِلتَّدْرِيسِ وَالْفَتْوَىٰ:

فَقَدِ انْتَهَىٰ الْإِمَامُ مِنْ تَحْصِيلِ الْعُلُومِ مُبَكِّرًا، وَشَهِدَ له الْأَكَابِرُ، وَحَمَلُوهُ عَلَىٰ أَنْ يَجْلِسَ لِلْفَتْوَىٰ، وَقَدْ رَخَّصَ لَهُ الْأَئِمَّةُ بِالْفَتْوَىٰ، بَلْ أَمَرُوهُ بِالْجُلُوسِ لِلْإِفْتَاءِ وَالتَّدْرِيسِ مُبَكِّرًا؛ فَأَمَرَهُ مُفْتِي مَكَّةَ مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ الزَّنْجِيُّ، وَمُفْتِي الْمَدِينَةِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُهُمَا.

عَنِ الرَّبِيعِ قَالَ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَهُنَاكَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَمُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ الزَّنْجِيُّ؛ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا مُتَعَلِّقٌ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ لِمَالِكٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَنَا رَجُلٌ أَبِيعُ الْقَمَارِيَّ، وَإِنِّي بِعْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الْيَوْمَ قَمَرِيًّا، وَحَلَفْتُ لَهُ بِالطَّلَاقِ الثَّلَاثِ أَنَّهُ لَا يَهْدَأُ مِنَ الصِّيَاحِ، فَوَزَنَ لِي ثَمَنَهُ وَقَبَضْتُهُ وَانْصَرَفَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَاعَةٍ أَتَانِي فَقَالَ: زَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَهْدَأُ مِنَ الصِّيَاحِ، وَقَدْ سَكَتَ وَهَدَأَ؛ فَرُدَّ عَلَيَّ دَرَاهِمِي، وَقَد حَنِثْتَ فِي يَمِينِكَ. فَقَالَ مَالِكٌ: هُوَ كَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بَانَتِ امْرَأَتُكَ، وَوَجَبَ عَلَيْكَ رَدُّ الدَّرَاهِمِ. فَقَامَا مِنْ عِنْدِ مَالِكٍ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا قَالَ لَكُمَا مَالِكٌ؟ فَأَخْبَرَاهُ بِالْمَسْأَلَةِ وَبِفُتْيَا مَالِكٍ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ لِلْبَائِعِ: مَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ: إِنَّهُ لَا يَهْدَأُ عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَانِ، أَوْ أَرَدْتَ أَنَّ كَلَامَهُ أَكْثَرُ مِنْ سُكُوتِهِ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ يَنَامُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنَّ كَلَامَهُ أَكْثَرُ مِنْ سُكُوتِهِ. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا رَدَّ عَلَيْكَ، أَمْسِكْ عَلَيْكَ امْرَأَتَكَ. فَرَجَعَا إِلَىٰ مَالِكٍ فَقَالَا لَهُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَنْظُرَ فِي مَسْأَلَتِنَا.

=

انْظُرْ: «سِيَرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٧ بِحَاشِيَتِهِ).

فَقَالَ مَالِكٌ: إِنْ كَانَ السُّؤَالُ مَا سَأَلْتُمَا فَإِنَّ الْجَوَابَ عَنْهُ مَا سَمِعْتُمَا. قَالَا: فَإِنَّ الشَّافِعِيَّ زَعَمَ أَنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ. فَدَعَاهُ مَالِكٌ وَصَاحَ عَلَيْهِ وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ؟ فَقَالَ: حَدِيثُ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ؛ لَمَّا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمِ بْنَ حُذَيْفَةَ يَخْطُبَانِنِي، فَأَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: «**إِنَّ مُعَاوِيَةَ صُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، وَإِنَّ أَبَا جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ فِي أَهْلِهِ**».

وَكَانَ أَبُو جَهْمٍ يَنَامُ وَيَسْتَرِيحُ، فَإِنَّمَا خَرَجَ كَلَامُهُ ﷺ عَلَىٰ الْأَغْلَبِ مِنَ الشَّيْءِ، كَانَ الشَّيْءُ إِذَا كَثُرَ كَانَ كَمُدَاوَمَتِهِ. قَالَ: فَأَعْجَبَ ذَلِكَ مَالِكًا، وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ: أَفْتِ وَاللهِ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تُفْتِيَ».

❁ طُلَّابُهُ:

«**حَدَّثَ عَنْهُ**: الْحُمَيْدِيُّ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ، وَأَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ الْبُوَيْطِيُّ، وَأَبُو ثَوْرٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ الْكَلْبِيُّ، وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ، وَمُوسَىٰ بْنُ أَبِي الْجَارُودِ الْمَكِّيُّ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَكِّيُّ - صَاحِبُ «الْحَيْدَةِ» -، وَحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَرَابِيسِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْرَقِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي شُرَيْحٍ الرَّازِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ وَزِيرٍ الْمِصْرِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَهْبِيُّ، وَابْنُ عَمِّهِ؛ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ بُهْلُولٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىٰ الشَّافِعِيُّ الْمُتَكَلِّمُ، وَالْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ النَّقَّالُ، وَحَامِدُ بْنُ يَحْيَىٰ الْبَلْخِيُّ،

وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مِقْلَاصٍ، وَعَلِيُّ بْنُ مَعْبَدٍ الرَّقِّيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ سَلَمَةَ اللَّبَقِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ سَوَادٍ، وَأَبُو حَنِيفَةَ قَحْزَمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَسْوَانِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ الْعَدَنِيُّ، وَمَسْعُودُ بْنُ سَهْلٍ الْمِصْرِيُّ، وَهَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ الْقَطَّانُ، وَأَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ السَّرْحِ، وَيُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ، وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُرَادِيُّ، وَالرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْجِيزِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَبَحْرُ بْنُ نَصْرٍ الْخَوْلَانِيُّ.

وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ.

وَقَدْ أَفْرَدَ الدَّارَقُطْنِيُّ كِتَابَ «مَنْ لَهُ رِوَايَةٌ عَنِ الشَّافِعِيِّ» فِي جُزْأَيْنِ»[1].

❁ ثَنَاءُ أَئِمَّةِ الإِسلَامِ عَلَيْهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ لَهُ:

عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا قُرَيْشًا؛ فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَذَقْتَ أَوَّلَهَا عَذَابًا - أَوْ وَبَالًا - فَأَذِقْ آخِرَهَا نَوَالًا**»[2].

وَبِنَحْوِهِ جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَلَفْظُهُ:

«**اللَّهُمَّ اهْدِ قُرَيْشًا، فَإِنَّ عِلْمَ عَالِمِهَا يَمْلَأُ طِبَاقَ الْأَرْضِ**»[3].

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٧ - ٨).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ» (٢/ ٦٣٧، ح: ١٥٢٢).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ» (٢/ ٦٣٧، ح: ١٥٢٣).

وَبِنَحْوِهِمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا، وَلَفْظُهُ:

«... **وَإِنَّ عِلْمَ عَالِمِ قُرَيْشٍ يَسَعُ طِبَاقَ الْأَرْضِ**...»[١].

فَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا فِي الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَا خَرَجَ مِنْ قُرَيْشٍ فَقِيهٌ وَإِمَامٌ يَبْلُغُ عِلْمُهُ جَمِيعَ الْبِلَادِ وَالْأَكْنَافِ وَالْأَطْرَافِ، يَمَنًا وَحِجَازًا وَشَامًا وَعِرَاقًا، وَالثُّغُورَ، وَخُرَاسَانَ، وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ؛ إِلَّا الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**يُرْوَىٰ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ:

أَنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَىٰ أَهْلِ دِينِهِ فِي رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُبَيِّنُ لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ.

وَإِنِّي نَظَرْتُ فِي مِائَةِ سَنَةٍ؛ فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ مِنْ آلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ وَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَفِي رَأْسِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ **فَإِذَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ**»[٣].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

وَالْأَحَادِيثُ الثَّلَاثَةُ لَا تَخْلُو مِنْ ضَعْفٍ، غَيْرَ أَنَّهَا يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: طُرُقُ هَذَا الْحَدِيثِ إِذَا ضُمَّتْ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ أَفَادَتْ قُوَّةً، وَعُلِمَ أَنَّ لِلْحَدِيثِ أَصْلًا. انْظُرْ: كَشْفَ الْخَفَاءِ (٢/ ٦٩) لِلْعَجْلُونِي.

(٢) حَكَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْمَنَاقِبُ» (١/ ٢٩).

(٣) «الِانْتِقَاءُ» (ص١٢٦).

قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ الْجُرْجَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«كُلُّ عَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ قُرَيْشٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَإِنْ كَانَ عِلْمُهُ قَدْ ظَهَرَ وَانْتَشَرَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ فِي الشُّهْرَةِ وَالْكَثْرَةِ وَالِانْتِشَارِ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ مَعَ تَبَاعُدِهَا؛ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ عِلْمُ الشَّافِعِيِّ، حَتَّىٰ غَلَبَ عَلَىٰ الظَّنِّ أَنَّهُ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ، وَقَدْ سَبَقَ إِلَىٰ تَنْزِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَىٰ الشَّافِعِيِّ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَقَدْ حَمَلَهُ **جَمَاعَةٌ** مِنْ أَئِمَّتِنَا عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْعَالِمَ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عِلْمًا مِنْ قُرَيْشٍ؛ هُوَ الشَّافِعِيُّ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَقَالَهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهُ الْإِسْتَرَابَاذِيُّ، وَغَيْرُهُمَا.

فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ كُلَّ مَنْ ظَهَرَ عِلْمُهُ، وَانْتَشَرَ فِي الْأَرْضِ ذِكْرُهُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَالشَّافِعِيُّ مِمَّنْ ظَهَرَ عِلْمُهُ، وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ؛ فَهُوَ فِي جُمْلَةِ الدَّاخِلِينَ فِي الْخَبَرِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ زِيَادَةَ ظُهُورٍ وَانْتِشَارٍ؛ فَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ قُرَيْشٍ أَحَقَّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الشَّافِعِيِّ، فَهُوَ الَّذِي صَنَّفَ مِنْ جُمْلَةِ قُرَيْشٍ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَدُوِّنَتْ كُتُبُهُ، وَحُفِظَتْ أَقَاوِيلُهُ، وَظَهَرَ أَمْرُهُ، وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ حَتَّىٰ انْتَفَعَ بِعِلْمِهِ رَاغِبُونَ، وَأَفْتَىٰ بِمَذْهَبِهِ عَالِمُونَ، وَحَكَمَ بِحُكْمِهِ حَاكِمُونَ، وَقَامَ بِنُصْرَةِ قَوْلِهِ نَاصِرُونَ، حِينَ وَجَدُوهُ فِيمَا قَالَ مُصِيبًا، وَبِكِتَابِ اللهِ مُتَمَسِّكًا، وَلِنَبِيِّهِ ﷺ مُتَّبِعًا، وَبِآثَارِ أَصْحَابِهِ مُقْتَدِيًا، وَبِمَا دَلُّوهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي مُهْتَدِيًا، فَهُوَ الَّذِي مَلَأَ الْأَرْضَ مِنْ قُرَيْشٍ عِلْمًا، وَيَزْدَادُ عَلَىٰ مَمَرِّ الْأَيَّامِ تَبَعًا، فَهُوَ إِذًا أَوْلَاهُمْ بِتَأْوِيلِ هَذَا الْخَبَرِ

وَدُخُولِهِ فِيمَا يُرْوَىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقَدَّمُوهَا، وَتَعَلَّمُوا مِنْ قُرَيْشٍ وَلَا تُعَلِّمُوهَا**»...»[١].

وَيَدْخُلُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**الْفِقْهُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**»، وَهُوَ أَشْهَرُ مَنْ حَازَ الْفِقْهَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، كَيْفَ؟!

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمَوْلِدُهُ [يَعْنِي: الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ] بِغَزَّةَ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَعِدَادُهَا فِي الْيَمَنِ؛ لِنُزُولِ بُطُونِ أَهْلِ الْيَمَنِ بِهَا، وَمَنْشَؤُهُ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ؛ وَهُمَا يَمَانِيَّتَانِ»[٢].

۞ وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الأَئِمَّةُ وَكِبَارُ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ وَارَةَ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قَدِمْتُ مِنْ مِصْرَ فَدَخَلْتُ عَلَىٰ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟

قُلْتُ: مِنْ مِصْرَ.

قَالَ: أَكَتَبْتَ كُتُبَ الشَّافِعِيِّ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: وَلِمَ؟! مَا عَرَفْنَا نَاسِخَ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَنْسُوخِهَا، وَلَا خَاصَّهَا

(١، ٢) «مَعْرِفَةُ السُّنَنِ وَالْآثَارِ» (١/ ٢٠٦).

مِنْ عَامِّهَا، وَلَا مُجْمَلَهَا مِنْ مُفَسَّرِهَا حَتَّىٰ جَالَسْنَا الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

قَالَ ابْنُ وَرَاةَ: «**فَحَمَلَنِي ذَٰلِكَ أَنْ رَجَعْتُ إِلَىٰ مِصْرَ فَكَتَبْتُهَا**»(١).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«مَا زَالَتْ أَقْفِيَتُنَا فِي أَيْدِي أَصْحَابِ الرَّأْيِ، حَتَّىٰ جَاءَ الشَّافِعِيُّ فَانْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ»(٢).

عَنْ أَبِي ثَوْرٍ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَقْدُمْ عَلَيْنَا الشَّافِعِيُّ لَلَقِيتُ اللهَ ضَالًّا»(٣).

قَالَ أَبُو ثَوْرٍ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَىٰ مِثْلَ الشَّافِعِيِّ فِي عِلْمِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَثَبَاتِهِ وَتَمَكُّنِهِ؛ فَقَدْ كَذَبَ، كَانَ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ فِي حَيَاتِهِ»(٤).

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: «لَقِيَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِمَكَّةَ فَقَالَ: تَعَالَ حَتَّىٰ أُرِيَكَ رَجُلًا لَمْ تَرَ عَيْنَاكَ مِثْلَهُ. قَالَ: فَأَقَامَنِي عَلَىٰ الشَّافِعِيِّ»(٥).

❁ آثَارُهُ، وَمُؤَلَّفَاتُهُ:

- «الْأُمُّ»، جَمَعَهُ الْإِمَامُ الْبُوَيْطِيُّ مِنْ كَلَامِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) «عُلُومُ الْحَدِيثِ» (ص٢٧٧).

(٢) «الْحِلْيَةُ» (٩/ ٩٨).

(٣) «الْمَنَاقِبُ» (١/ ٢٢١).

(٤) «طَرْحُ التَّثْرِيبِ» (١/ ٩٦).

(٥) «الِانْتِقَاءُ» (ص١٢٤).

- الرِّسَالَةُ.

- مُخْتَلَفُ الْحَدِيثِ.

- الْمُسْنَدُ الْأُمُّ.

- رِسَالَةٌ فِي إِثْبَاتِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

- أَحْكَامُ الْقُرْآنِ.

- اخْتِلَافُ الْعِرَاقِيِّينَ، فِي الرَّدِّ عَلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ.

- قَوْلُهُ الْقَدِيمُ بِبَغْدَادَ.

- قَوْلُهُ الْجَدِيدُ بِمِصْرَ.

- خِلَافُ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ فِي الْفَرَائِضِ.

- اخْتِلَافُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ.

۞ وَأَمَّا رُوَاةُ كُتُبِهِ:

۞ رُوَاةُ كُتُبِهِ الْقَدِيمَةِ:

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَبُو عَلِيٍّ الزَّعْفَرَانِيُّ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَرَابِيسِيُّ، [وَأَبُو ثَوْرٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ].

۞ وَرُوَاةُ كُتُبِهِ الْجَدِيدَةِ:

الْمُزَنِيُّ، وَأَبُو يَعْقُوبَ الْبُوَيْطِيُّ، وَالرُّبَيِّعُ الْمُرَادِيُّ صَاحِبُ «الْأُمِّ»، وَالرُّبَيِّعُ الْجَيْزِيُّ.

وَسَمِعَ هُوَ مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَدَاوُدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيِّ، وَمُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ الزِّنْجِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيِّ»[١].

❁ **عِبَادَتُهُ:**

عُرِفَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بِوَرَعِهِ، وَكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ، فَقَدْ كَانَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ مَعَ الْقُرْآنِ؛ فَكَانَ يَخْتِمُهُ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ؛ قِيلَ: عَشْرَ مَرَّاتٍ فِي الشَّهْرِ الْوَاحِدِ! بَلْ قِيلَ: كَانَ لَهُ خَتْمَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ!

وَجَاءَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ الشَّافِعِيُّ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سِتِّينَ مَرَّةً، كُلُّ ذَلِكَ فِي صَلَاةٍ»[٢].

وَأَمَّا لَيْلُهُ فَكَانَ مِنْهُ فِيهِ عَجَبًا: قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَرَابِيسِيُّ: «بِتُّ مَعَ الشَّافِعِيِّ ثَمَانِينَ لَيْلَةً، كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ ثُلُثِ اللَّيْلِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا سَأَلَ اللهَ لِنَفْسِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ أَجْمَعِينَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا تَعَوَّذَ بِاللهِ مِنْهَا، وَسَأَلَ النَّجَاةَ لِنَفْسِهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَأَنَّمَا جُمِعَ لَهُ الرَّجَاءُ وَالرَّهْبَةُ»[٣].

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: «كَانَ الشَّافِعِيُّ جَزَّأَ اللَّيْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: الْأَوَّلُ يَكْتُبُ،

---

(١) «مَنَازِلُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ» (صَحِيفَةُ: ٢٠٤).

(٢) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ وَمَنَاقِبُهُ» (صَحِيفَةُ: ٧٤).

(٣) «مَنَازِلُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ»: (ص٢٢٦).

وَالثَّانِي يُصَلِّي، وَالثَّالِثُ يَنَامُ»[(١)].

❁ **وَكَانَ شَدِيدَ الْوَرَعِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ: «أَرَادَ الشَّافِعِيُّ الْخُرُوجَ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَأَسْلَمَ إِلَىٰ قَصَّارٍ ثِيَابًا بَغْدَادِيَّةً مُرْتَفِعَةً، فَوَقَعَ الْحَرِيقُ، فَاحْتَرَقَ دُكَّانُ الْقَصَّارِ وَالثِّيَابُ، فَجَاءَ الْقَصَّارُ وَمَعَهُ قَوْمٌ يَتَحَمَّلُ بِهِمْ عَلَىٰ الشَّافِعِيِّ فِي تَأْخِيرِهِ؛ لِيَدْفَعَ قِيمَةَ الثِّيَابِ، فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: قَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَضْمِينِ الْقَصَّارِ، وَلَمْ أَتَبَيَّنْ أَنَّ الضَّمَانَ يَجِبُ، فَلَسْتُ أُضَمِّنُكَ شَيْئًا.

وَقَالَ أَيْضًا: «دَخَلْتُ مَعَ الشَّافِعِيِّ عَلَىٰ خَادِمٍ لِلرَّشِيدِ، وَهُوَ فِي بَيْتٍ قَدْ فُرِشَ بِالدِّيبَاجِ، فَلَمَّا وَضَعَ الشَّافِعِيُّ رِجْلَهُ عَلَىٰ الْعَتَبَةِ أَبْصَرَهُ (أَيْ أَبْصَرَ الدِّيبَاجَ)، فَرَجَعَ وَلَمْ يَدْخُلْ، فَقَالَ لَهُ الْخَادِمُ: «ادْخُلْ»، فَقَالَ: «لَا يَحِلُّ افْتِرَاشُ هَذَا»، فَقَامَ الْخَادِمُ مُتَمَشِّيًا، حَتَّىٰ دَخَلَ بَيْتًا قَدْ فُرِشَ بِالْأَرْمِنِيِّ، فَدَخَلَ الشَّافِعِيُّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «هَذَا حَلَالٌ، وَذَاكَ حَرَامٌ، وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ ذَاكَ وَأَكْثَرُ ثَمَنًا مِنْهُ!»، فَتَبَسَّمَ الْخَادِمُ، وَسَكَتَ»[(٢)].

وَكَانَ مُعْرِضًا عَنِ الدُّنْيَا مُقْبِلًا عَلَىٰ الْآخِرَةِ، هِمَّتُهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ؛ فَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: «مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً

(١) «مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ» (١ / ٢٤٢).

(٢) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ وَمَنَاقِبُهُ» (صَحِيفَةُ: ٧٦ - ٧٧).

إِلَّا شَبْعَةً اطَّرَحْتُهَا (يَعْنِي: فَطَرَحْتُهَا)؛ لِأَنَّ الشِّبَعَ يُثَقِّلُ الْبَدَنَ، وَيُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُزِيلُ الْفِطْنَةَ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ، وَيُضْعِفُ صَاحِبَهُ عَنِ الْعِبَادَةِ[١].

وَعَنْ عَدَمِ اعْتِدَادِهِ بِنَفْسِهِ – فِي وَقْتٍ تَشْهَدُ لَهُ الْأُمَّةُ كُلُّهَا – نُقِلَ عَنْهُ الْعَجَبُ فِي ذَلِكَ؛ فَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَذَكَرَ مَا وَضَعَ مِنْ كُتُبِهِ، فَقَالَ: لَوَدِدْتُ أَنَّ الْخَلْقَ تَعْلَمُهُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ أَبَدًا».

وَعَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ يَحْيَىٰ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: «وَدِدْتُ أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ أَعْلَمُهُ تَعْلَمُهُ النَّاسُ، أُوجَرُ عَلَيْهِ وَلَا يَحْمَدُونِي»[٢].

وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ لِطُلَّابِهِ فَعَجَبٌ لَمْ يُرْصَدْ عَنْ غَيْرِهِ مِثْلُهُ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: قَالَ لَنَا الشَّافِعِيُّ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ مِنِّي، فَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ صَحِيحًا فَأَعْلِمُونِي، كُوفِيًّا كَانَ أَوْ بَصْرِيًّا أَوْ شَامِيًّا، حَتَّىٰ أَذْهَبَ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ صَحِيحًا»[٣].

وَأَمَّا جُودُهُ وَكَرَمُهُ وَسَخَاؤُهُ وَبَذْلُهُ؛ فَبَلَغَ مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغًا عَظِيمًا؛ قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: تَزَوَّجْتُ، فَسَأَلَنِي الشَّافِعِيُّ: «كَمْ أَصْدَقْتَهَا؟»، فَقُلْتُ: «ثَلَاثِينَ دِينَارًا»، فَقَالَ: «كَمْ أَعْطَيْتَهَا؟»، قُلْتُ: «سِتَّةَ دَنَانِيرَ»، فَصَعِدَ دَارَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيَّ بِصُرَّةٍ فِيهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا[٤].

---

(١) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ وَمَنَاقِبُهُ» (صَحِيفَةُ: ٧٨).

(٢) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ وَمَنَاقِبُهُ» (صَحِيفَةُ: ٦٨).

(٣) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ وَمَنَاقِبُهُ» (صَحِيفَةُ: ٧٠).

(٤) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ وَمَنَاقِبُهُ» (صَحِيفَةُ: ٩٣).

وَبَلَغَ بِهِ سَخَاؤُهُ أَنْ خَرَجَ مِنْ مَالِهِ مَرَّاتٍ، قَالَ عَمْرُو بْنُ سَوَادٍ السَّرْحِيُّ: كَانَ الشَّافِعِيُّ أَسْخَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالطَّعَامِ، فَقَالَ لِيَ الشَّافِعِيُّ: «أَفْلَسْتُ فِي عُمْرِي ثَلَاثَ إِفْلَاسَاتٍ، فَكُنْتُ أَبِيعُ قَلِيلِي وَكَثِيرِي، حَتَّىٰ حُلِيَّ ابْنَتِي وَزَوْجَتِي، وَلَمْ أَرْهَنْ قَطُّ»[١].

۞ **إِنْصَافُهُ:**

وَعَلَىٰ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ مِنْ تَنَاظُرٍ وَمُنَافَسَةٍ، فَهُوَ صَاحِبُ مَذْهَبٍ، وَابْنُ الْحَسَنِ يَتْنَصِرُ لِمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ عَظِيمَ الْإِنْصَافِ مَعَهُ؛ فَكَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ عَنْهُ خَيْرًا؛ فَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ غَيْرَ مَرَّةٍ:

«مَا رَأَيْتُ رَجُلًا كَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ؛ يَنْطِقُ عَنِ الْحِكْمَةِ، وَيَسْمَعُ مَا لَا يُحِبُّ فَيَحْتَمِلُ»[٢].

۞ **وَمِنْ عُيُونِ دُرَرِ شِعْرِهِ وَقَصَائِدِهِ قَوْلُهُ:**

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَىٰ ... وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ

لِسَانُكَ لَا تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ ... فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ

وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَايِبًا ... فَدَعْهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

---

(١) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ وَمَنَاقِبُهُ» (صَحِيفَةُ: ٩٤).

(٢) «مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ» (صَحِيفَةُ: ٧٨) لِلْآبُرِيِّ.

وَعَاشِرْ بِمَعْروفٍ وَسَامِحْ مَنِ اعْتَدَىٰ   **وَدَافِـعْ وَلَكِـنْ بِـالَّتِي هِـيَ أَحْسَـنُ**

وَأَبْيَاتُهُ فِي دِيوَانِهِ تَدُلُّ عَلَىٰ مَلَامِحِ شَخْصِيَّتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ وَمَكَانَتِهِ.

۞ مَوَاقِفُهُ الإِيمَانِيَّةُ:

قَالَ تَمِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «سَمِعْتُ سُوَيْدَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ:

كُنْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ، فَجَاءَ الشَّافِعِيُّ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ، فَرَوَىٰ ابْنُ عُيَيْنَةَ حَدِيثًا رَقِيقًا، فَغُشِيَ عَلَىٰ الشَّافِعِيِّ.

فَقِيلَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ. فَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: إِنْ كَانَ مَاتَ، فَقَدْ مَاتَ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ»[١].

۞ مِنْ أَقْوَالِهِ:

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ:

«لَا تُقْدِمْ عَلَىٰ أَمْرٍ لَا يَعْنِيكَ، وَلَا تتكَلَّفْ مَا قَدْ كُفِيتَ، وَلَا تَتَبَسَّطْ إِلَىٰ مَنْ لَا يَعْرِفُكَ، وَلَا تُخَاصِمْ مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ فَدَعْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَمَنْ أَكْرَمَكَ فَزِدْهُ إِكْرَامًا، [وَ] مَنْ لَمْ يُكِنَّ نَفْسَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِكَ فَتَعَدَّهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ»[٢].

وَقَالَ: «أَصْحَابُ الْحَدِيثِ وَفْدُ اللهِ»[٣].

---

(١) «الْحِلْيَةُ» (٩ / ٩٥).

(٢) «مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ» (صَحِيفَةُ: ٦٥) لِلآبُرِيِّ.

(٣) «مَنَازِلُ الْأَئِمَّةِ» (صَحِيفَةُ: ٢١٠).

وَعَنِ الْبُوَيْطِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ:

«لَوَدِدْتُ أَنَّهُ يُعْمَلُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أُعَدُّ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ»[١].

وَقَالَ أَيْضًا:

«لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَهْوَاءِ لَفَرُّوا مِنْهُ، كَمَا يفِرُّونَ مِنَ الْأَسَدِ»[٢].

وَقَالَ الْمُزَنِيُّ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ:

مَنْ تعَلَّمَ الْقُرْآنَ، عَظُمَتْ قِيمَتُهُ.

وَمَنْ تكَلَّمَ فِي الْفِقْهِ، نَمَا قَدْرُهُ.

وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ، قَوِيَتْ حُجَّتُهُ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي اللُّغَةِ، رَقَّ طَبْعُهُ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي الْحِسَابِ، جَزُلَ رَأْيُهُ.

وَمَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ، لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ»[٣].

۞ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي ذَمِّ الْكَلَامِ:

«لَمْ يَبْرَحِ النَّاسُ حَتَّىٰ أَحْدَثُوا بِدَعًا ... فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ

---

(١) «الِانْتِقَاءُ» (ص١٣٨).

(٢) «مَنَاقِبُ الْبَيْهَقِيِّ» (١/ ٢٨٢).

(٣) «الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ» (١/ ٣٦).

حَتَّىٰ اسْتَخَفَّ بِدِينِ اللهِ أَكْثَرُهُمْ   وَفِي الَّذِي حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغُلُ»[(١)]

قَالَ الشَّافِعِيُّ: «حُكْمِي فِي أَصْحَابِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ، وَيُطَافَ عَلَيْهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ»[(٢)].

وقَالَ:

«لَأَنْ يَلقَىٰ اللهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الشِّرْكَ؛ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَهوَاءِ»[(٣)].

وقَالَ: «لَا يُقَالُ: لِمَ لِلْأَصْلِ، وَلَا كَيْفَ»[(٤)].

وَعَنْ يُونُسَ قَالَ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ:

الْأَصْلُ الْقُرْآنُ، وَالسُّنَّةُ، وَقِيَاسٌ عَلَيْهِمَا، وَالْإِجْمَاعُ أَكْبَرُ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُنْفَرِدِ»[(٥)].

وَقَالَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ»[(٦)].

---

(١) «ذَمُّ الْكَلَامِ» (٤/ ٣١٠).

(٢) «الْحِلْيَةُ» (٩/ ١١٦).

(٣) «شَرْحُ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ» (١/ ١٤٦) لِلَّالَكَائِيِّ.

(٤) «مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ» لِلْبَيْهَقِيِّ (٢/ ٣٠).

(٥) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ» (ص ٢٣١)، وَأَسْنَدَهُ الذَّهَبِيُّ مُطَوَّلًا: قَالَ الشَّافِعِيُّ: الْأَصْلُ قُرْآنٌ أَوْ سُنَّةٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَقِيَاسٌ عَلَيْهِمَا، وَإِذَا صَحَّ الحَدِيثُ فَهُوَ سُنَّةٌ، وَالْإِجْمَاعُ أَكْبَرُ مِنَ الحَدِيثِ المُنْفَرِدِ، وَالحَدِيثُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَإِذَا احْتَمَلَ الحَدِيثُ مَعَانِيَ؛ فَمَا أَشْبَهَ ظَاهِرَهُ، وَلَيْسَ المُنْقَطِعُ بِشَيْءٍ، مَا عَدَا مُنْقَطِعِ ابْنِ المُسَيِّبِ. «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٢٢).

(٦) «آدَابُ الشَّافِعِيِّ»: (٩٧).

۞ مِحْنَتُهُ ووَفَاتُهُ:

وَكَانَتْ مِحْنَتُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي أَلَمَّ بِهِ لَمَّا نَزَلَ مِصْرَ، وَمَاتَ مُتَأَثِّرًا بِهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: «أَقَامَ الشَّافِعِيُّ هَاهُنَا (يَعْنِي: فِي مِصْرَ) أَرْبَعَ سِنِينَ، فَأَمْلَىٰ أَلْفًا وَخَمْسَمِئَةِ وَرَقَةٍ، وَخَرَّجَ كِتَابَ «الْأُمِّ» أَلْفَيْ وَرَقَةٍ، وَكِتَابَ «السُّنَنِ»، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً كُلَّهَا فِي مُدَّةِ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَكَانَ عَلِيلًا شَدِيدَ الْعِلَّةِ، وَرُبَّمَا خَرَجَ الدَّمُ وَهُوَ رَاكِبٌ حَتَّىٰ تَمْتَلِئَ سَرَاوِيلُهُ وَخُفُّهُ».

وَقَالَ الرَّبِيعُ أَيْضًا: دَخَلَ الْمُزَنِيُّ عَلَىٰ الشَّافِعِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أُسْتَاذُ؟ فَقَالَ: «أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا، وَلِإِخْوَانِي مُفَارِقًا، وَلِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، وَعَلَىٰ اللهِ وَارِدًا، وَلِسُوءِ عَمَلِي مُلَاقِيًا». قَالَ: ثُمَّ رَمَىٰ بِطَرْفِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَاسْتَبْشَرَ وَأَنْشَدَ:

إِلَيْـكَ إِلَـهَ الْخَلْـقِ أَرْفَـعُ رَغْبَتِـي ... وَإِنْ كُنْتُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْجُودِ مُجْرِمَا

وَلَمَّـا قَسَـا قَلْبِـي وَضَـاقَتْ مَـذَاهِبِي ... جَعَلْـتُ الرَّجَـا مِنِّـي لِعَفْـوِكَ سُـلَّمَا

تَعَـاظَمَنِي ذَنْبِـي فَلَمَّـا قَرَنْتُـهُ ... بِعَفْـوِكَ رَبِّـي كَـانَ عَفْـوُكَ أَعْظَمَـا

فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُـودُ وَتَعْفُـو مِنَّـةً وَتَكَرُّمَـا

فَلَـوْلَاكَ لَـمْ يَصْمُـدْ لِإِبْلِـيسَ عَابِدٌ ... فَكَيْـفَ وَقَـدْ أَغْـوَىٰ صَـفِيَّكَ آدَمَـا

فَيَـا لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ أَصِيرُ لِجَنَّةٍ ... أُهَنَّـا وَإِمَّـا لِلسَّـعِيرِ فَأَنْدَمَـا

فَلِلَّـهِ دَرُّ العَـارِفِ النَّـدْبِ إِنَّـهُ ... تَفِـيضُ لِفَـرْطِ الْوَجْـدِ أَجْفَانُـهُ دَمَـا

يُقِـيمُ إِذَا مَـا اللَّيْـلُ مَـدَّ ظَلَامَـــهُ عَلَىٰ نَفْسِـهِ مِـنْ شِـدَّةِ الْخَـوْفِ مَأْتَمَـا
فَصِـيحًا إِذَا مَـا كَـان فِـي ذِكْـرِ رَبِّـهِ وَفِيمَا سِوَاهُ فِي الْـوَرَىٰ كَـانَ أَعْجَمَـا
وَيَـذْكُرُ أَيَّامًـا مَضَـتْ مِـنْ شَبَابِــهِ وَمَـا كَـانَ فِيهَـا بِالْجَهَالَـةِ أَجْرَمَـا
فَصَـارَ قَـرِينَ الْهَـمِّ طُـولَ نَهَـــارِهِ أَخَا الْسُّهْدِ وَالنَّجْوَىٰ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَـا
يَقُـولُ حَبِيبِـي أَنْـتَ سُـؤْلِي وَبُغْيَتِـي كَفَـىٰ بِـكَ لِلرَّاجِيـنَ سُـؤْلًا وَمَغْنَمَـا
أَلَـسْتَ الَّـذِي غَـذَّيْتَنِي وَهَـــدَيْتَنِي وَلَا زِلْـتَ مَنَّانًـــا عَلَـيَّ ومُنعِـــمَا
عَسَىٰ مَـنْ لَـهُ الْإِحْسَـانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي وَيَسْـــتُرُ أَوْزَارِي وَمَـــا قَـــدْ تَقَـــدَّمَا
تَعَـاظَمَنِي ذَنْبِــي فَأَقْبَلْـتُ خَاشِعًــا وَلَوْلَا الرِّضَا مَـا كُنْـتَ يَـا رَبِّ مُنْعِمَـا
فَـإِنْ تَعْـفُ عَنِّـي تَعْـفُ عَـنْ مُتَمَـرِّدٍ ظَلُـــومٍ غَشُـــومٍ لَا يُزَايِـــلُ مَأْتَمَـــا
فَـإِنْ تَنْتَقِــمْ مِنِّـي فَلَسْـتُ بِآيِــسٍ وَلَـوْ أَدْخَلُـوا نَفْسِـي بِجُــرْمٍ جَهَنَّمَـا
فَجُرْمِي عَظِيمٌ مِنْ قَـدِيمٍ وَحَــادِثٍ وَعَفْـوُكَ يَـأْتِي الْعَبْـدَ أَعْلَـىٰ وَأَجْسَمَا
حَـوَالَيَّ فَضْـلُ اللهِ مِـنْ كُـلِّ جَانِـبٍ وَنُـورٌ مِـنَ الـرَّحْمَنِ يَفْتَـرِشُ السَّـمَا
وَفِي الْقَلْبِ إِشْرَاقُ الْمُحِبِّ بَوَصْـلِهِ إِذَا قَارَبَ الْبُشْرَىٰ وَجَازَ إِلَىٰ الْحِمَـىٰ
حَـــوَالَيَّ إِينَـــاسٌ مِـــنَ اللهِ وَحْـــدَهُ يُطَـالِعُنِي فِـي ظُلْمَـةِ الْقَبْـرِ أَنْجُمَـا
أَصُـــونُ وِدَادِي أَنْ يُدَنِّسَـــهُ الْهَـــوَىٰ وَأَحْفَـظُ عَـــهْدَ الْحُـــبِّ أَنْ يَتَثَلَّمَـــا
فَفِي يَقَظَتِي شَوْقٌ وَفِي غَفْـوَتِي مُنًىٰ تُلَاحِـــقُ خَطْـــوِي نَـــشْوَةً وَتَرَنُّمَـــا

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ يَسْلَمْ مِنَ الْوَرَىٰ وَمَنْ يَرْجُهُ هَيْهَاتَ أَنْ يَتَنَدَّمَا

وَكَانَ حِينَ اعْتَزَمَ الرِّحْلَةَ إِلَىٰ مِصْرَ أَنْشَدَ قَائِلًا:

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي تَتُوقُ إِلَىٰ مِصْرَ وَمِنْ دُونِهَا قَطْعُ الْمَهَامَةِ وَالْفَقْرِ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي الْفَوْزُ وَالْغِنَىٰ أُسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أُسَاقُ إِلَىٰ الْقَبْرِ

فَقِيلَ: فَوَاللهِ لَقَدْ سِيقَ إِلَيْهِمَا جَمِيعًا - وَكَانَ ذَا فِرَاسَةٍ وَبَصِيرَةٍ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - فَمَاتَ بِمِصْرَ عَامَ (٢٠٤ هـ/ الْمُوَافِقَ: ٨٢٠ مِنَ التَّأْرِيخِ الْمِيلَادِيِّ).





مَنَامَاتٌ وَبُشْرَيَاتٌ[١]

عَنِ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: «لَمَّا حَمَلَتْ وَالِدَةُ الشَّافِعِيِّ بِهِ، رَأَتْ كَأَنَّ الْمُشْتَرِيَ خَرَجَ مِنْ فَرْجِهَا، حَتَّىٰ انْقَضَّ بِمِصْرَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ مِنْهُ شَظِيَّةٌ.

فَتَأَوَّلَهُ الْمُعَبِّرُونَ:

أَنَّهَا تَلِدُ عَالِمًا، يَخُصُّ عِلْمَهُ أَهْلَ مِصْرَ، ثُمَّ يَتَفَرَّقُ فِي الْبُلْدَانِ»[٢].

قَالَ الْإِمَامُ الْمُزَنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) وَطَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْمَنَامَاتِ والرُّؤَىٰ: أَنَّهَا **لَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَا أَحْكَامٌ عَلَىٰ الْأَشْخَاصِ**، غَيْرَ أَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ الْمُبَشِّرَاتِ وَمِنْ عَاجِلِ بُشْرَىٰ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ**. قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: **الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**».

وَانْظُرْ: «مُخْتَصَرَ الِاعْتِصَامِ» (صَحِيفَةَ: (٦٦)، وَمَا بَعْدَهَا)؛ فَفِيهِ تَفْصِيلٌ رَائِعٌ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الطُّرُقِيِّينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْمَنَامَاتِ مَصْدَرًا مِنْ مَصَادِرِ الْأَحْكَامِ!

(٢) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٢/ ٥٨، ٥٩)، وَ«سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١٠/ ٩، ١٠).

«**سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يَقُولُ:**

رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّوْمِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَصَافَحَنِي، وَخَلَعَ خَاتَمَهُ فَجَعَلَهُ فِي أُصْبُعِي، وَكَانَ لِي عَمٌّ؛ فَفَسَّرَهَا لِي فَقَالَ: أَمَّا مُصَافَحَتُكَ لِعَلِيٍّ أَمَانٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَأَمَّا خَلْعُ خَاتَمِهِ فِي أُصْبُعِكَ فَسَيَبْلُغُ اسْمُكَ مَا بَلَغَ اسْمُ عَلِيٍّ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ.

فَقَدْ كَانَ مِنْ بُلُوغِ اسْمِهِ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَنَأْمَلُ مِنَ اللهِ وَنَرْجُو لَهُ الْأُولَىٰ بِمَنِّهِ سُبْحَانَهُ وَكَرَمِهِ»(١).



---

(١) «تَارِيخُ بَغْدَادَ» (٢/ ٦٠).



الإِمَامُ أَحْمَدُ

اسْمُهُ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلِ بْنِ هِلَالٍ الشَّيْبَانِيُّ، الْمَرْوَزِيُّ، ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ.

كُنْيَتُهُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ.

۞ ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ نَسَبِهِ وَشَرَفِهِ:

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ أَبِي نَسَبَهُ:

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلِ بْنِ هِلَالِ بْنِ أَسَدِ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنَسِ بْنِ عَوْفِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ مَازِنِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ذَهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ وَهْبِ بْنِ أَفْصَىٰ بْنِ دَعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ أَدِّ بْنِ أُدَدِ بْنِ الْهَمَيْسَعِ بْنِ النَّبْتِ بْنِ قَيْذَارِ بْنِ **إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ** عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»[1].

---

(١) «سِيرَةُ الإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٣٠)، وَتَعَقَّبَهُ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَوْضِعَيْنِ، فَانْظُرْهُ فِي «سِيَرِ =

جَدُّهُ حَنْبَلٌ الشَّيْبَانِيُّ؛ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِسَرَخْسٍ[1]، وَوَالِدُهُ **مُحَمَّدُ بْنُ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ**، تُوُفِّيَ شَابًّا، وَكَانَ مِنْ أَجْنَادِ مَرْوٍ[2]، وَبِهَا حَمَلَتْ أُمُّ الْإِمَامِ فِيهِ.

❁ مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ:

(١٦٤/ الْمُوَافِقُ ٧٨٠ بِالتَّأْرِيخِ الْمِيلَادِيِّ).

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ بِمَرْوٍ، وَنَزَلَتْ بِهِ بَغْدَادَ وَهُوَ حَمْلٌ، وَبِهَا وَضَعَتْهُ، وَمَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَعَاشَ يَتِيمًا، تَخَرَّجَ مِنْ كُتَّابِ بَلَدِهِ، وَكَانَ ذَا نَبَاهَةٍ وَحِفْظٍ وَإِتْقَانٍ، وَكَانَ عَمُّهُ إِسْحَاقُ بْنُ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ مَسْئُولًا عَنِ الدِّيوَانِ[3] بِبَغْدَادَ، وَكَانَ مِنْ وَرَعِهِ فِي الصِّغَرِ: أَنَّهُ تَوَرَّعَ عَنْ تَوْصِيلِ بَعْضِ الْخِطَابَاتِ الَّتِي فِيهَا أَحْوَالُ النَّاسِ فَأَلْقَاهَا فِي الْيَمِّ تَوَرُّعًا[4].

❁ صُورَتُهُ وَخِلْقَتُهُ:

قَالَ ابْنُ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ:

«طَلَبْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَكَانَ شَيْخًا مَخْضُوبًا، طُوَالًا، أَسْمَرَ،

=

أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ»: (١١/ ١٧٨).

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ١٨٩).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ١٧٩).

(٣) الدِّيوَانُ: الْمَسْئُولُ عَنْ نَقْلِ أَخْبَارِ بَغْدَادَ مِنْ خِلَالِ الْبَرِيدِ لِلْخَلِيفَةِ.

(٤) «الْمَنَاقِبُ» (صَحِيفَةُ: ١٣٦) لِلْمَقْدِسِيِّ.

شَدِيدَ السُّمْرَةِ»[١].

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّاسٍ النَّحْوِيِّ، قَالَ:

«رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ حَسَنَ الْوَجْهِ، رَبْعَةً، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ خِضَابًا لَيْسَ بِالْقَانِي، فِي لِحْيَتِهِ شَعَرَاتٌ سُودٌ، وَرَأَيْتُ ثِيَابَهُ غِلَاظًا بِيضًا، وَرَأَيْتُهُ مُعْتَمًّا، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ»[٢].

❁ **الظُّرُوفُ السِّيَاسِيَّةُ، والاجْتِمَاعِيَّةُ، وَالدِّينِيَّةُ:**

وُلِدَ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِ، وَعَاصَرَ خُلَفَاءَ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي عَصْرَيْهِمُ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، فَعَاصَرَ الْخُلَفَاءَ:

- أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْمَهْدِيَّ (١٥٨ - ١٦٩هـ).

- وَأَبَا مُحَمَّدٍ مُوسَىٰ الْهَادِيَ (١٦٩ - ١٧٠هـ).

- وَأَبَا جَعْفَرٍ هَارُونَ الرَّشِيدَ (١٧٠ - ١٩٣ هـ).

- وَأَبَا مُوسَىٰ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ (١٩٣ - ١٩٨ هـ).

- وَأَبَا جَعْفَرٍ عَبْدَ اللهِ الْمَأْمُونَ (١٩٨ - ٢١٨ هـ)، وَفِي زَمَنِهِ نَجَمَ نَجْمُ الْمُعْتَزِلَةِ وَانْتَشَرَتْ فِتْنَتُهُمْ، ثُمَّ هَلَكَ الْمَأْمُونُ وَجَاءَ:

الْمُعْتَصِمُ بِاللهِ؛ لِيَحْكُمَ مِنْ: ٢١٨ هـ إِلَىٰ: ٢٢٧ هـ، لِتَمْتَدَّ الْفِتْنَةُ حَتَّىٰ زَمَنِ الْوَاثِقِ بِاللهِ؛ لِتَمْتَدَّ خِلَافَتُهُ لِعَامِ ٢٣٢ هـ، وَيَهْلِكُ وَتَهْلِكُ بَهَلَكَتِهِ الْمِحْنَةُ؛ لِيُقِيمَ اللهُ

(١، ٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ١٨٤).

مَحَلَّهُ الْمُتَوَكِّلَ عَلَىٰ اللهِ، وَتَتَغَيَّرُ الْأَحْوَالُ وَتهْدَأُ الْفِتْنَةُ، وَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ قَدِ اعْتَزَمَ أَلَّا يُحَدِّثَ، وَلَا يَجْلِسَ لِأَحَدٍ، وَلَا يَدْخُلَ عَلَىٰ أَمِيرٍ وَإِنْ كَانَ مُنَاصِرًا لَهُ!

وَهُنَا يَتَجَلَّىٰ لَكَ طَرِيقَةُ السَّلَفِ، وَقَدِ اجْتَمَعَ فِي الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ إِعْزَازُ الْعِلْمِ، وَرَفْعُ هَامَتِهِ، وَعَدَمُ إِذْلَالِهِ أَبَدًا، وَفِي زَمَنِ الْمُتَوَكِّلِ يَقْضِي الْإِمَامُ أَحْمَدُ نَحْبَهُ وَيَرْحَلُ عَنْ دُنْيَانَا مُخَلِّفًا مِثَالًا عَظِيمًا لِلْإِمَامَةِ الَّتِي لَا تَعْتَرِفُ بِالْخُضُوعِ لِسَاسَةٍ، وَلَا التَّنَازُلِ عَنِ الثَّوَابِتِ لِأَجْلِ سَيْفٍ وَعَصًا، فَضْلًا عَنِ التَّنَازُلِ لِأَجْلِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، كَمَا أَنَّهُ كَانَ وَالْحَالَةُ مَرِيرَةٌ عَصِيبَةٌ يَمْنَعُ مِنَ الْخُرُوجِ، وَيُنْكِرُهُ أَشَدَّ إِنْكَارٍ، فَأَقَامَ الْوَسَطَ الشَّرْعِيَّ؛ فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَانِعِينَ الْمُوَالِينَ بِالْبَاطِلِ لِلْبَاطِلِ، وَلَا مِنَ الْمُهَيِّجِينَ الْمُحَارِبِينَ الْبَاطِلَ بِالْبَاطِلِ، وَآثَارُهُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ؛ فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

وَشَهِدَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ تَغْيِيرًا عَظِيمًا فِي **الْحَالَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ**؛ فَظَهَرَ التَّرَفُ وَانْتَشَرَ، وَصَاحَبَهُ الْمُجُونُ وَالْفِسْقُ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي سَادَ الْفَقْرُ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ؛ فَظَهَرَتِ الْمَدْرَسَتَانِ الْأَدَبِيَّتَانِ؛ الْأُولَىٰ تُمَثِّلُ حَالَةَ الْوُلَاةِ وَالْحَاشِيَةِ وَمَنْ دَارَ فِي فَلَكِهِمْ، وَالثَّانِيَةُ تُمَثِّلُ حَالَةَ الرَّعِيَّةِ، وَمَثَّلَ الْأَخِيرَةَ **دِينِيًّا** الْإِمَامُ أَحْمَدُ؛ فَكَتَبَ فِي الزُّهْدِ، كَمَا كَتَبَ غَيْرُهُ؛ لِيَقْرَعُوا الْأَغْنِيَاءَ، وَلِيَبُثُّوا رُوحَ الْإِسْلَامِ بَيْنَهُمْ، وَلِيَضْبِطُوا مُعَالَجَةَ الْفُقَرَاءِ لِحَالَتِهِمْ، وَمَا يَحْيَوْنَ فِيهِ، وَكَانَ شِعَارُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّهُمْ فِي مُلْكٍ عَظِيمٍ؛ بِعُلُومِهِمْ وَدِرَاسَاتِهِمْ وَتَزَهُّدِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُتْرَفِينَ الْمُتَنَعِّمِينَ.

❁ **أَوْلادُهُ:**

قَالَ حَنْبَلٌ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: تَزَوَّجْتُ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَرَزَقَ اللهُ خَيْرًا كَثِيرًا».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ فِي كِتَابِ «أَخْلَاقِ أَحْمَدَ» - وَهُوَ مُجَلَّدٌ -:

«أَمْلَىٰ عَلَيَّ زُهَيْرُ بْنُ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ، قَالَ: تَزَوَّجَ جَدِّي عَبَّاسَةَ بِنْتَ الْفَضْلِ؛ مِنَ الْعَرَبِ، فَلَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ أَبِي، وَتُوُفِّيَتْ.

فَتَزَوَّجَ بَعْدَهَا رَيْحَانَةَ، فَوَلَدَتْ: عَبْدَ اللهِ؛ عَمِّي، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ.

فَاشْتَرَىٰ حُسْنَ، فَوَلَدَتْ: أُمَّ عَلِيٍّ زَيْنَبَ.

وَوَلَدَتِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ تَوْأَمًا، وَمَاتَا بِقُرْبِ وِلَادَتِهِمَا.

ثُمَّ وَلَدَتِ الْحَسَنَ وَمُحَمَّدًا، فَعَاشَا حَتَّىٰ صَارَا مِنَ السِّنِّ إِلَىٰ نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ وَلَدَتْ سَعِيدًا»(١).

❁ **طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ، وَرِحْلَتُهُ فِي تَحْصِيلِهِ:**

طَلَبَ الْعِلْمَ بِبَغْدَادَ صَغِيرًا، وَتَحَمَّلَ الْحَدِيثَ مِنْ سِنٍّ بَاكِرَةٍ حَتَّىٰ حَفِظَ حَدِيثَ هُشَيْمٍ - إِمَامِ الْمُحَدِّثِينَ بِبَغْدَادَ - وَهُوَ ابْنُ سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا، وَلَمَّا مَاتَ هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ الْإِمَامُ ابْنَ عِشْرِينَ عَامًا(٢).

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ١٨٥).

(٢) «سِيرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٣١).

وَذَهَبَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ بَغْدَادَ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ؛ لِأَنَّهُ مَا لَبِثَ وَتَرَكَهَا وَنَزَلَ طَرْسُوسَ لِغَزْوِ الرُّومِ[1].

وَكَانَ الطُّلَّابُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ حِفْظِهِ؛ فَكَانُوا يَسْمَعُونَ الْحَدِيثَ مِنْهُ، لَا يَخْرِمُ مَا فِي أُصُولِهِمْ حَرْفًا، وَخَرَجَ مُسْتَكْمِلًا رِحْلَتَهُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، فَنَزَلَ الْكُوفَةَ مَاشِيًا، وَكَانَتْ أَوَّلَ رِحْلَةٍ لَهُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ خَارِجَ بَغْدَادَ، فَسَمِعَ مِنْ وَكِيعٍ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ، وَكَانَ وَكِيعٌ حِينَهَا وَأَحْمَدُ ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً يَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثِ هُشَيْمٍ وَأَحْمَدُ يُجِيبُهُ[2]، وَبَعْدَ أَنْ جَمَعَ حَدِيثَ وَكِيعٍ وَأَبِي مُعَاوِيَةَ عَلَىٰ ظَهْرِ قَلْبِهِ؛ رَحَلَ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ يَحْدُوهُ حُبُّ سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَاسْتِظْهَارِهِ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:

«فَخَرَجْتُ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ (١٨٦ هـ).

قُلْتُ لَهُ [الْقَائِلُ صَالِحٌ وَلَدُ الْإِمَامِ]: أَيَّ سَنَةٍ خَرَجْتَ إِلَىٰ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ؟

قَالَ [رَحِمَهُ ٱللَّهُ]: فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ، قَدِمْنَاهَا وَقَدْ مَاتَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ.

وَهِيَ أَوَّلُ سَنَةٍ حَجَجْتُ، وَسَنَةَ إِحْدَىٰ وَتِسْعِينَ سَنَةَ حَجَّ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ، وَأَقَمْتُ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ، وَخَرَجْتُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ، وَأَقَمْتُ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَجَاءَنَا مَوْتُ سُفْيَانَ

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ٢١٠).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ١٨٣).

وَيَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ»(١).

سَمِعَ فِي الْبَصْرَةِ مِنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَبِشْرِ بْنِ الْمُفَضَّلِ، وَمَرْحُومِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَغَيْرِهِمْ، وَأَتَمَّ حِفْظَ حَدِيثِهِمْ فِي قَلْبِهِ وَوَعَاهُ.

وَرَحَلَ بَعْدَهَا إِلَىٰ عَبَّادَانَ، ثُمَّ نَزَلَ الْحِجَازَ فَسَمِعَ فِيهَا مِنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَكَانَ أَحْمَدُ يَقُولُ: فَاتَنِي مَالِكٌ فَأَخْلَفَ اللهُ عَلَيَّ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ»(٢).

وَسَمِعَ فِي رِحْلَتِهِ هَذِهِ مِنَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كُتُبَهُ كُلَّهَا، وَكَتَبَهَا وَاسْتَظْهَرَهَا، وَكَانَتْ أَوَّلَ لُقْيَةٍ بَيْنَهُمَا، وَبَعْدَهَا سَكَنَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بَغْدَادَ وَهِيَ مَحِلُّ أَحْمَدَ، وَكَثُرَتِ اللُّقْيَةُ بَيْنَهُمَا.

وَنَزَلَ وَاسِطَ فَسَمِعَ فِيهَا مِنَ الْإِمَامِ الْعَلَمِ يَزِيدِ بْنِ هَارُونَ فِي عَامِ ١٩٤هـ.

كَمَا نَزَلَ الْمِصِّيصَةَ وَالرَّقَّةَ وَطَرْسُوسَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ.

وَنَزَلَ الْبَصْرَةَ مَرَّاتٍ، فَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ سَمِعَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَدِيٍّ، وَحَظِيَ بِالرِّحْلَةِ الثَّالِثَةِ لِلْبَصْرَةِ بِأَنْ صَاحَبَ الْمُحَدِّثَ الْكَبِيرَ وَالنَّاقِدَ الْعَظِيمَ يَحْيَىٰ بْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ(٣)؛ فَكَتَبَ عَنْهُ وَضَبَطَ الرِّوَايَةَ عَنْهُ وَأَكْثَرَ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ سَمِعَ فِي رِحْلَتِهِ هَذِهِ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ وَأَبِي النُّعْمَانِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ وَأَبِي عُمَرَ

---

(١) «سِيرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٣٢).

(٢) «الْمَنَاقِبُ» (صَحِيفَةُ: ١٤٤).

(٣) «الْمَنَاقِبُ» (صَحِيفَةُ: ١٣٦).

حَفْصِ بْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمْ.

ثُمَّ نَزَلَهَا نَزْلَتَهُ الْأَخِيرَةَ - أَعْنِي الْبَصْرَةَ - وَسَمِعَ مِنَ الْإِمَامِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَمِنَ الْإِمَامِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، وَمِنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرٍ الْبُرْسَانِيِّ، وَكَانَ ذَلِكَ عَامَ ٢٠٠ هـ.

وَنَزَلَ الْحِجَازَ مَرَّاتٍ؛ نَزَلَهَا فِي الرِّحْلَةِ الثَّانِيَةِ لَهَا عَامَ ١٩١ هـ، وَالثَّالِثَةَ عَامَ: ١٩٦ هـ، وَالرَّابِعَةَ عَامَ: ١٩٧ هـ، وَجَاوَرَ، وَالْخَامِسَةَ عَامَ: ١٩٨ هـ، وَفِي الْأَخِيرَةِ صَاحَبَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَأَقَامَهُ اللهُ فِي الْفُتْيَا بِمَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَاجْتَمَعَ مَعَ يَحْيَىٰ بْنِ مَعِينٍ، وَقَصَدَا زِيَارَةَ الْيَمَنِ يَطْلُبُونَ سَمَاعَ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيِّ إِمَامِ الْحَدِيثِ بِالْيَمَنِ.

وَأَبْرَمَ الْأَمْرَ مَعَ يَحْيَىٰ بْنِ مَعِينٍ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَهُمْ بِالطَّوَافِ بِمَكَّةَ سَمِعُوا بِقُدُومِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَهُنَا يَقَعُ الدَّرْسُ الْهَامُّ لِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ ذِي هِمَّةٍ؛ فَإِنَّ يَحْيَىٰ يَسْتَبْشِرُ بِقُدُومِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَيَقُولُ: كُفِينَا السَّفَرَ لَهُ. وَأَمَّا أَحْمَدُ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ -؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ: لَابُدَّ مِنَ السَّفَرِ لَهُ وَالسَّمَاعِ مِنْهُ فِي مَسْجِدِهِ؛ فَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَا يَفْسَخُ نِيَّتَهُ أَبَدًا. وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّهُ يُسَافِرُ لَهُ بَعْدَ الْمَوْسِمِ مَاشِيًا! لِتَكُونَ رِحْلَتُهُ الْأُولَىٰ لِلْيَمَنِ عَامَ ١٩٩ هـ.

لِيَرْجِعَ مِنْ هَذِهِ السَّفْرَةِ وَبِمَا حَصَلَ فِي هَذِهِ الرِّحْلَاتِ الْكَثِيرَةِ الْمُتَتَابِعَةِ، لَيَمْكُثَ بِبَغْدَادَ لِيَشْرَعَ فِي كِتَابَةِ كِتَابِهِ «الْمُسْنَدِ» وَهُوَ ابْنُ السَّادِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ عَامًا.

وَلَا يَنْتَهِي مِنَ السَّفَرِ لِلتَّحْصِيلِ، وَلَا الْجُلُوسِ لِسَمَاعِ الْمُحَدِّثِينَ، وَلَا السَّهَرِ

لِلضَّبْطِ وَالْحِفْظِ وَالإِتْقَانِ، فَقَدْ ظَلَّ فِي رِحْلَاتِهِ حَتَّىٰ نَزَلَ الشَّامَ عَامَ ٢٠٩هـ. وَحَبَسَتْهُ الْمِحْنَةُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهَا بَدَأَتْ فِي عَامِ ٢١٨ هـ عَلَىٰ يَدِ الْمَأْمُونِ، وَمَا زَالَتْ بِهِ أَوْجَاعُهَا وَسُقْمُهَا حَتَّىٰ مَمَاتِهِ، وَقَدْ شَاعَ عَنْهُ مَقُولَتُهُ:

مَعَ الْمِحْبَرَةِ لِلْمَقْبَرَةِ.

وَصِنَاعَةُ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَهْدِ لِلَّحْدِ.

وَقَدْ وَقَعَ مِنْهُ ذَلِكَ؛ فَقَدْ كَانَ يُجِيبُ مَنْ يَزُورُهُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ، وَيَنْصَحُ وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ، فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

۞ شُيُوخُهُ:

سَمِعَ مِنَ الْكَثِيرِ، وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا بَعْضُ أَعْلَامِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْهُمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ:

فَسَمِعَ مِنْ: إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ قَلِيلًا.

وَمِنْ: هُشَيْمِ بْنِ بَشِيرٍ فَأَكْثَرَ وَجَوَّدَ.

وَمِنْ: عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ الْمُهَلَّبِيِّ، وَمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ الْهِلَالِيِّ، وَأَيُّوبَ بْنِ النَّجَّارِ، وَيَحْيَىٰ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، وَعَلِيِّ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الْبَرِيدِ، وَقُرَّانِ بْنِ تَمَّامٍ، وَعَمَّارِ بْنِ مُحَمَّدٍ الثَّوْرِيِّ، وَالْقَاضِي أَبِي يُوسُفَ، وَجَابِرِ بْنِ نُوحٍ الْحِمَّانِيِّ، وَعَلِيِّ بْنِ غُرَابٍ الْقَاضِي، وَعُمَرَ بْنِ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيِّ، وَأَخَوَيْهِ؛ يَعْلَىٰ وَمُحَمَّدٍ.

وَالْمُطَّلِبِ بْنِ زِيَادٍ، وَيُوسُفَ بْنِ الْمَاجَشُونِ، وَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَخَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ، وَبِشْرِ بْنِ الْمُفَضَّلِ، وَعَبَّادِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطُّفَاوِيِّ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيِّ، وَعَبْدَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ.

وَيَحْيَىٰ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي غَنِيَّةَ، وَالنَّضْرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَجَلِيِّ، وَأَبِي خَالِدٍ الْأَحْمَرِ، وَعَلِيِّ بْنِ ثَابِتٍ الْجَزَرِيِّ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ الْحَدَّادِ، وَعَبِيدَةَ بْنِ حُمَيْدٍ الْحَذَّاءِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ الْحَرَّانِيِّ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ.

وَمَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَغُنْدَرٍ، وَابْنِ عُلَيَّةَ، وَمَخْلَدِ بْنِ يَزِيدَ الْحَرَّانِيِّ، وَحَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، وَعَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيِّ، وَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، وَيَحْيَىٰ بْنِ سُلَيْمٍ - حَدِيثًا وَاحِدًا -، وَمُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ الْوَاسِطِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْمُزَنِيِّ الْوَاسِطِيِّ.

وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَعَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ، وَشُعَيْبِ بْنِ حَرْبٍ، وَوَكِيعٍ - فَأَكْثَرَ -، وَيَحْيَىٰ الْقَطَّانِ - فَبَالَغَ -، وَمِسْكِينِ بْنِ بُكَيْرٍ، وَأَنَسِ بْنِ عِيَاضٍ اللَّيْثِيِّ، وَإِسْحَاقَ الْأَزْرَقِ، وَمُعَاذِ بْنِ مُعَاذٍ، وَمُعَاذِ بْنِ هِشَامٍ، وَعَبْدِ الْأَعْلَىٰ السَّامِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَدِيٍّ.

وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ بِشْرٍ، وَزَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ بَكْرٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ، وَأَبِي عَاصِمٍ، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَأَبِي نُعَيْمٍ، وَعَفَّانَ، وَحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجُعْفِيِّ.

وَأَبِي النَّضْرِ، وَيَحْيَىٰ بْنِ آدَمَ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئِ، وَحَجَّاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ،

وَأَبِي عَامِرٍ الْعَقَدِيِّ، وَعَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَرَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ، وَأَسْوَدَ بْنِ عَامِرٍ، وَوَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ، وَيُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَيَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، وَخَلَائِقَ.

إِلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ فِي الرِّوَايَةِ عَنْ: قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَهَارُونَ بْنِ مَعْرُوفٍ، وَجَمَاعَةٍ أَقْرَانِهِ.

فَعِدَّةُ شُيُوخِهِ الَّذِينَ رَوَىٰ عَنْهُمْ فِي «الْمُسْنَدِ»: مائَتَانِ وَثَمَانُونَ وَنَيِّفٌ»[1].

۞ عُلُومُهُ:

هُوَ: الْإِمَامُ حَقًّا، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ صِدْقًا، مُحَدِّثُ الْأُمَّةِ وَفَقِيهُهَا، وَصَاحِبُ الْمَقَامِ الْأَسْنَىٰ فِيهَا فِي مِحَنِهَا، وَهُوَ وَلِيُّ اللهِ حَقًّا، وَزَاهِدُ طَبَقَتِهِ وَمَنْ بَعْدَهَا صِدْقًا، إِلَيْهِ يَنْتَهِي الْحَدِيثُ وَالْفِقْهُ وَالِاعْتِقَادُ وَالْمَأْثُورُ فِي التَّفْسِيرِ وَسَائِرِ الْعُلُومِ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ الْأَئِمَّةُ بِذَلِكَ، وَلَا تَرَىٰ لَهُ مُبْغِضًا إِلَّا لِسُوءٍ فِي طَوِيَّتِهِ وَطَرِيقَتِهِ.

۞ سَبَبُ جُلُوسِهِ لِلتَّدْرِيسِ وَالْفَتْوَىٰ:

رَحَلَ الْإِمَامُ إِلَىٰ الْأَقَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ جَمِيعًا فِي جَمْعِ الْحَدِيثِ، وَرَفَضَ أَنْ يَجْلِسَ لِلتَّحْدِيثِ قَبْلَ الْأَرْبَعِينَ؛ مُسْتَدِلًّا بِأَنَّهُ مَا بُعِثَ النَّبِيُّ إِلَّا عَلَىٰ رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ، وَيَرْوِي فِي ذَلِكَ الْحَدِيثَ: أَنَّهُ مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا فِي هَذِهِ السِّنِّ؛ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:

إِلَّا أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَتَصَدَّرْ لِلْحَدِيثِ وَالْفَتْوَىٰ، وَلَمْ يُنَصِّبْ نَفْسَهُ

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ١٨٠).

لَهُمَا حَتَّىٰ تَمَّ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً».

۞ طُلَّابُهُ:

وَأَمَّا طُلَّابُهُ فَجَمَاعَةُ الْمُحَدِّثِينَ وَطَائِفَةُ الْفُقَهَاءِ وَالْمُدَرِّسِينَ، رَحَلَ لَهُ الْأَئِمَّةُ، وَتَوَافَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، عَلَىٰ مَا اعْتَرَاهُ مِنْ مِحْنَةِ الْخَلِيفَةِ وَابْتِلَاءِ اللهِ لَهُ بِعَدُّوِهِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ، غَيْرَ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ أَقْوَامٌ لَا يَعُدُّهُمْ إِلَّا اللهُ، وَحَدِيثُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ انْتَشَرَ فِي الْآفَاقِ، وَبَلَغَ مَا بَلَغَتِ الشَّمْسُ، وَهَلَّ عَلَيْهِ الْقَمَرُ، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَمَّنْ سَمِعَ مِنْهُ:

«[سَمِعَ مِنْهُ]: الْبُخَارِيُّ حَدِيثًا، وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ عَنْهُ حَدِيثًا آخَرَ فِي الْمَغَازِي.

وَحَدَّثَ عَنْهُ: مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ بِجُملَةٍ وَافِرَةٍ.

وَرَوَىٰ: أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْهُ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ أَيْضًا: وَلَدَاهُ؛ صَالِحٌ وَعَبْدُ اللهِ، وَابْنُ عَمِّهِ؛ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَشُيُوخُهُ؛ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَالْحَسَنُ بْنُ مُوسَىٰ الْأَشْيَبُ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيُّ، لَكِنَّ الشَّافِعِيَّ لَمْ يُسَمِّهِ، بَلْ قَالَ: حَدَّثَنِي الثِّقَةُ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ: عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَيَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ، وَدُحَيْمٌ، وَأَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ الذُّهْلِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

الدَّوْرَقِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْفُرَاتِ.

وَالْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ، وَالْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ الزَّعْفَرَانِيُّ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، وَرَجَاءُ بْنُ مُرَجًّىٰ، وَسَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، وَأَبُو قِلَابَةَ الرَّقَاشِيُّ، وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ الْأَعْرَجُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الطُّوسِيُّ، وَزِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، وَعَبَّاسٌ الدُّورِيُّ.

وَأَبُو زُرْعَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَحَرْبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكَرْمَانِيُّ، وَإِسْحَاقُ الْكَوْسَجُ، وَأَبُو بَكْرٍ الْأَثْرَمُ، وَإِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ، وَأَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ، وَبَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَصْرَمَ الْمُغَفَّلِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُلَاعِبٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، وَمُوسَىٰ بْنُ هَارُونَ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَّارُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مُطَيَّنٌ، وَأَبُو طَالِبٍ أَحْمَدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ هَانِئٍ النَّيْسَابُورِيُّ، وَوَلَدُهُ؛ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَبَدْرٌ الْمَغَازِلِيُّ، وَزَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَىٰ النَّاقِدُ، وَيُوسُفُ بْنُ مُوسَىٰ الْحَرْبِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ فُورَانُ، وَعُبْدُوسُ بْنُ مَالِكٍ الْعَطَّارُ، وَيَعْقُوبُ بْنُ بُخْتَانَ، وَمُهَنَّىٰ بْنُ يَحْيَىٰ الشَّامِيُّ، وَحَمْدَانُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَرَّاقُ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَاضِي الْبِرْتِيُّ.

وَالْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَصْبَهَانِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىٰ ثَعْلَبٌ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ، وَإِدْرِيسُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْحَدَّادُ، وَعُمَرُ بْنُ حَفْصٍ السَّدُوسِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنْجِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّامِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ، وَأُمَمٌ

سِوَاهُمْ»[١].

۞ ثَنَاءُ أَئِمَّةِ الإِسْلَامِ عَلَيْهِ، وَمَحَبَّتُهُمْ لَهُ:

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: «ثَلَاثَةٌ مِنْ عَجَائِبِ الزَّمَانِ: عَرَبِيٌّ لَا يُعْرِبُ كَلِمَةً؛ وَهُوَ أَبُو ثَوْرٍ، وَأَعْجَمِيٌّ لَا يُخْطِئُ فِي كَلِمَةٍ؛ وَهُوَ الْحَسَنُ الزَّعْفَرَانِيُّ، وَصَغِيرٌ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا صَدَّقَهُ الْكِبَارُ؛ وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ»[٢].

وَقَالَ أَيْضًا: «خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ وَمَا خَلَّفْتُ بِهَا أَحَدًا أَوْرَعَ وَلَا أَتْقَىٰ وَلَا أَفْقَهَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ»[٣].

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: قَالَ لَنَا الشَّافِعِيُّ: «أَحْمَدُ إِمَامٌ فِي ثَمَانِ خِصَالٍ: إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ، إِمَامٌ فِي الْفِقْهِ، إِمَامٌ فِي اللُّغَةِ، إِمَامٌ فِي الْقُرْآنِ، إِمَامٌ فِي الْفَقْرِ، إِمَامٌ فِي الزُّهْدِ، إِمَامٌ فِي الْوَرَعِ، إِمَامٌ فِي السُّنَّةِ»[٤].

وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ: «انْتَهَىٰ الْعِلْمُ إِلَىٰ أَرْبَعَةٍ: أَحْمِدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَيَحْيَىٰ بْنِ مَعِينٍ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ أَفْقَهُهُمْ فِيهِ»[٥].

---

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ١٨١).

(٢) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ١٤٤) لِابْنِ الْجَوْزِيِّ.

(٣) رَوَاهُ بِسَنَدِهِ ابْنُ أَبِي يَعْلَىٰ الْحَنْبَلِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ» (١/ ١٨).

(٤) «طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ» (١/ ٥) لِابْنِ أَبِي يَعْلَىٰ.

(٥) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ١٥١).

وَقَالَ أَيْضًا: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ مِنْهُ»[١].

وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ: «وَاللهِ مَا نَقْوَىٰ عَلَىٰ مَا يَقْوَىٰ عَلَيْهِ أَحْمَدُ، وَلَا عَلَىٰ طَرِيقَةِ أَحْمَدَ».

وَقَالَ أَيْضًا: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، صَحِبْتُهُ خَمْسِينَ سَنَةً مَا افْتَخَرَ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ»[٢].

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «هَذَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ»، وَقَالَ أَيْضًا: «مَا نَظَرْتُ إِلَىٰ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ إِلَّا تَذَكَّرْتُ بِهِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ»[٣].

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: «كُنْتُ أُجَالِسُ بِالْعِرَاقِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَيَحْيَىٰ بْنَ مَعِينٍ وَأَصْحَابَنَا، فَكُنَّا نَتَذَكَّرُ الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقٍ وَطَرِيقَيْنِ وَثَلَاثَةٍ، فَأَقُولُ: مَا مُرَادُهُ؟ مَا تَفْسِيرُهُ؟ مَا فِقْهُهُ؟ فَيَقِفُونَ كُلُّهُمْ إِلَّا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ»[٤].

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِي: مَا رَأَيْتُ أَسْوَدَ رَأْسٍ أَحْفَظَ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَعْلَمَ بِفِقْهِ مَعَانِيهِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ[٥].

(١) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ١٥١).

(٢) «تَارِيخُ دِمَشْقَ» (٥/ ٢٨١).

(٣) «حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ» (٩/ ١٦٩).

(٤) «الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (صَحِيفَةُ: ٢٩٣)

(٥) «لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ» (١/ ٦١).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: «اتَّخَذْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ إِمَامًا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ، وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ مَا يَقْوَىٰ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ؟!»(١).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ، فَسَأَلْنَاهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: «إِنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ أَمَرَنِي أَلَّا أُحَدِّثَ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ»(٢).

وَقَالَ: «لَيْسَ فِي أَصْحَابِنَا أَحْفَظُ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَبَلَغَنِي أَنَّهُ لَا يُحَدِّثُ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ، وَلَنَا فِيهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»(٣).

وَقَالَ أَبُو عُمَيْرٍ عِيسَىٰ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّمْلِيُّ وَاصِفًا الْإِمَامَ أَحْمَدَ: «رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ أَصْبَرَهُ! وَبِالْمَاضِينَ مَا كَانَ أَشْبَهَهُ! وَبِالصَّالِحِينَ مَا كَانَ أَلْحَقَهُ! عُرِضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاهَا، وَالْبِدَعُ فَنَفَاهَا»(٤).

۞ آثَارُهُ، وَمُؤَلَّفَاتُهُ:

١ - **الْمُسْنَدُ**: وَهُوَ مَا يُقَارِبُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ، وَلِوَلَدِهِ عَلَيْهِ زَوَائِدُ أَلْحَقَهَا بِهِ، وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَقُولُ لَابْنِهِ عَبْدِ اللهِ: احْتَفِظْ بِهَذَا الْمُسْنَدِ؛ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ

(١) «الْمَدْخَلُ إِلَىٰ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (١/ ١٠٦).

(٢) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ١٤٦).

(٣) «حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ» (٩/ ١٦٥).

(٤) حَدَّثَ بِهِ إِمَامُ الْأَئِمَّةِ، وَنَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ الْوَزِيرِ فِي «الْعَوَاصِمِ مِنَ الْقَوَاصِمِ» (٤/ ٢٩١)، وَعَنْهُ نَقَلَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ فِي مُقَدِّمَةِ الْمُسْنَدِ.

لِلنَّاسِ إِمَامًا.

٢ - كِتَابُ الصَّلَاةِ وَمَا يَلْزَمُ فِيهَا.

٣ - كِتَابُ طَاعَةِ الرَّسُولِ.

٤ - أُصُولُ السُّنَّةِ.

٥ - مَسَائِلُ صَالِحٍ.

٦ - سُؤَالَاتُ حَرْبٍ.

٧ - سُؤَالَاتُ أَبِي دَاوُدَ.

وَغَيْرُهَا مِنْ سُؤَالَاتِ الطُّلَّابِ لَهُ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

۞ عِبَادَتُهُ:

فَقِيَامُهُ اللَّيْلَ قِيَامُهُ، وَصِيَامُهُ النَّهَارَ صِيَامُهُ، وَاقْتِدَاؤُهُ بِرَسُولِ اللهِ جَعَلَهُ مِنْ سَادَةِ الْعَابِدِينَ، وَكَانَ كَثِيرَ ذِكْرِ الْمَوْتِ، فَإِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: «الْخَوْفُ يَمْنَعُنِي أَكْلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ».

۞ أَخْلَاقُهُ:

وَقَدْ بَلَغَ الغَايَةَ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِذَلِكَ كَانَ عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَأَسَّىٰ بِمَنْ وَصَفَهُ اللهُ بِأَنَّهُ كَذَلِكَ، فَتَسَامُحُهُ مَعَ مَنْ آذَاهُ، وَوَضْعُهُ لِجَنَاحِ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمَنْ تَعَدَّىٰ عَلَيْهِ؛ كَانَ جَلِيًّا فِيمَا وَقَعَ لَهُ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَقَدْ

جَعَلَهُمْ فِي حِلٍّ جَمِيعًا.

وَقَدْ جَاءَ فِي تَوَاضُعِهِ: مَا حَدَّثَ بِهِ الْمَرْوَزِيُّ فَقَالَ: «لَمْ أَرَ الْفَقِيرَ فِي مَجْلِسٍ أَعَزَّ مِنْهُ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، كَانَ مَائِلًا إِلَيْهِمِ، مُقْصِرًا عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَكَانَ فِيهِ حِلْمٌ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَجُولِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ، تَعْلُوهُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، إِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ لِلْفُتْيَا لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّىٰ يُسْأَلَ، وَإِذَا خَرَجَ إِلَىٰ مَسْجِدِهِ لَا يَتَصَدَّرُ، وَيَقْعُدُ حَيْثُ انْتَهَىٰ بِهِ الْمَجْلِسُ»(١).

۞ حِفْظُهُ وَضَبْطُهُ لِلرِّوَايَةِ:

قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ: «كُنْتُ أُذَاكِرُ وَكِيعًا بِحَدِيثِ الثَّوْرِيِّ، فَكَانَ إِذَا صَلَّىٰ الْعِشَاءَ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ، فَكُنْتُ أُذَاكِرُهُ، فَرُبَّمَا ذَكَرَ تِسْعَةَ أَحَادِيثَ أَوِ الْعَشْرَةَ فَأَحْفَظُهَا، فَإِذَا دَخَلَ قَالَ لِي أَصْحَابُ الْحَدِيثِ: أَمْلِ عَلَيْنَا. فَأُمْلِيهَا عَلَيْهِمْ؛ فَيَكْتُبُونَهَا»(٢).

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: «مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْمَشَايِخِ وَالْمُحَدِّثِينَ أَحْفَظُ؟»، قَالَ: «أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ»(٣).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ: «كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ»، فَقِيلَ لَهُ: «وَمَا يُدْرِيكَ؟»، قَالَ: «ذَاكَرْتُهُ فَأَخَذْتُ

(١) «الْآدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» (٢/ ٥).

(٢) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ١٨٦).

(٣) «مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ١٠٨).

عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ»[١].

وَفِي حِفْظِهِ وَضَبْطِهِ وَإِمَامَتِهِ فِي الْحَدِيثِ وَتَمَسُّكِهِ بِهِ مَذْهَبًا وَإِمَامًا قَالَ الصَّرْصَرِيُّ فِي لَامِيَّتِهِ [وَهِيَ مِنَ الطَّوِيلِ]:

حَوَىٰ أَلْفَ أَلْفٍ مِنْ أَحَادِيثَ أُسْنِدَتْ — وَأَثْبَتَهَا حِفْظًا بِقَلْبٍ مُحَصِّلِ
أَجَابَ عَلَىٰ سِتِّينَ أَلْفَ قَضِيَّةٍ — بِأَخْبَرَنَا لَا مِنْ صَحَائِفِ نُقَّلِ
وَكَانَ إِمَامًا فِي الْحَدِيثِ وَحُجَّةً — لِنَقْلِ صَحِيحٍ ثَابِتٍ وَمُعَلَّلِ
وَكَانَ إِمَامًا فِي كِتَابٍ وَسُنَّةٍ — وَعِلْمٍ وَزُهْدٍ كَامِلٍ وَتَوَكُّلِ

۞ زُهْدُهُ:

وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَأْتَدِمُ بِالْخَلِّ، وَرُبَّمَا رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ الْكِسَرَ فَيَنْفُضُ الْغُبَارَ عَنْهَا ثُمَّ يُصَيِّرُهَا فِي قَصْعَةٍ، وَيَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ حَتَّىٰ تَلِينَ، ثُمَّ يَأْكُلُهُ بِالْمِلْحِ، وَمَا رَأَيْتُهُ قَطُّ اشْتَرَىٰ رُمَّانًا وَلَا سَفَرْجَلًا، وَلَا شَيْئًا مِنَ الْفَاكِهَةِ، إِلَّا أَنْ يَشْتَرِيَ بِطِّيخَةً فَيَأْكُلَهَا بِالْخُبْزِ، أَوْ عِنَبًا أَوْ تَمْرًا، فَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَمَا رَأَيْتُهُ وَمَا اشْتَرَاهُ»[٢].

قَالَ صَالِحٌ:

وَاشْتَرَيْتُ جَارِيَةً، فَشَكَتْ إِلَيْهِ أَهْلِي، فَقَالَ: كُنْتُ أَكْرَهُ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَكَانَ رُبَّمَا بَلَغَنِي عَنْكُمَا الشَّيْءُ. فَقَالَتْ لَهُ: يَا عَمُّ، وَمَنْ يَكْرَهُ الدُّنْيَا غَيْرُكَ؟! فَقَالَ لَهَا:

---

(١) «الْمَدْخَلُ الْمُفَصَّلُ لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (١/ ٤٠٦).

(٢) «سِيرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٤٠).

فَشَأْنُكِ إِذَنْ»[١].

قَالَ صَالِحٌ:

وَكُنَّا رُبَّمَا اشْتَرَيْنَا الشَّيْءَ فَنَسْتُرُهُ عَنْهُ حَتَّىٰ لَا يَرَاهُ فَيُوَبِّخَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ»[٢].

۞ تَوَاضُعُهُ:

قَالَ صَالِحٌ: «كَانَ أَبِي إِذَا أَرَادَ الْوُضُوءَ لِلصَّلَاةِ لَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَسْتَقِي لَهُ الْمَاءَ، كَانَ هُوَ يَسْتَقِي بِيَدِهِ»[٣].

«وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَقْبَرَةَ خَلَعَ نَعْلَيْهِ وَأَمْسَكَهُمَا بِيَدِهِ»[٤].

۞ مَوَاقِفُهُ الإِيمَانِيَّةُ:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ - **وَهُوَ كَبِيرُ الشُّرْطِ فِي خَلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ** - أَنَّهُ قَالَ:

«مَا رَأَيْتُ أَحَدًا لَمْ يُدَاخِلِ السُّلْطَانَ، وَلَا خَالَطَ الْمُلُوكَ أَثْبَتَ قَلْبًا مِنْ أَحْمَدَ يَوْمَئِذٍ، مَا نَحْنُ فِي عَيْنِهِ إِلَّا كَأَمْثَالِ الذُّبَابِ»[٥].

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: «حَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ الْقُطَيْعِيُّ قَالَ: لَمَّا حَضَرْنَا

---

(١) «سِيرَةُ الإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٤٣).

(٢) «سِيرَةُ الإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٤٠).

(٣) «سِيرَةُ الإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٣٥).

(٤) «سِيرَةُ الإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٤١).

(٥) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (١١/ ٢٤٠).

فِي دَارِ السُّلْطَانِ أَيَّامَ الْمِحْنَةِ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَدْ أُحْضِرَ، وَكَانَ رَجُلًا لَيِّنًا، فَلَمَّا رَأَىٰ النَّاسَ يُجِيبُونَ، انْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَذَهَبَ ذَلَكِ اللِّينُ الَّذِي كَانَ فِيهِ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ قَدْ غَضِبَ للهِ».

قَالَ أَبُو مَعْمَرٍ: «فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا بِهِ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَبْشِرْ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَمِيعٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ إِذَا أُرِيدَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ رَأَيْتُ حَمَالِيقَ عَيْنَيْهِ فِي رَأْسِهِ تَدُورُ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ»[١].

قَالَ الْمَرْوَذِيُّ فِي مِحْنَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَهُوَ بَيْنَ الْهَنْبَارَيْنِ:

«يَا أُسْتَاذُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النِّسَاءُ: ٢٩].

فقَالَ أَحْمَدُ: يَا مَرْوَذِيُّ، اخْرُجْ انْظُرْ أَيَّ شَيْءٍ تَرَىٰ؟

قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَىٰ رَحْبَةِ دَارِ الْخَلِيفَةِ، فَرَأَيْتُ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ، وَالصُّحُفُ فِي أَيْدِيهِمْ وَالْأَقْلَامُ وَالْمَحَابِرُ فِي أَذْرُعَتِهِمْ، فَقَالَ لَهُمُ الْمَرْوَذِيُّ: أَيَّ شِيءٍ تَعْمَلُونَ؟ فَقَالُوا: نَنْتَظِرُ مَا يَقُولُ أَحْمَدُ فَنَكْتُبُهُ.

قَالَ الْمَرْوَذِيُّ: مَكَانَكُمْ.

فَدَخَلَ إِلَىٰ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَهُوَ قِائِمٌ بَيْنَ الْهَنْبَارَيْنِ قَالَ لَهُ: رَأَيْتُ قَوْمًا بِأَيْدِيهِمُ الصُّحُفُ وَالْأَقْلَامُ، يَنْتَظِرُونَ مَا تَقُولُ فَيَكْتُبُونَهُ.

---

(١) «رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ» (٥/ ٢٧٩).

فَقَالَ: يَا مَرْوَذِيُّ، أُضِلُّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ! أَقْتُلُ نَفْسِي وَلَا أُضِلُّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ»(١).

❁ **مِنْ أَقْوَالِهِ، وَنَصَائِحِهِ:**

قَالَ صَالِحٌ: «اعْتَلَلْتُ مِنْ عَيْنِي لَيْلَةً فَلَمْ يَزَلْ عِنْدِي، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ. فَقَالَ: سَلِ اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّ الصَّبْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْبَلَاءِ»(٢).

وَذُكِرَ يَوْمًا عِنْدَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:

«يَا بُنَيَّ، الْفَائِزُ مَنْ فَازَ غَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَأَحَدٍ عِنْدَهُ تَبِعَةٌ»(٣).

قَالَ صَالِحٌ:

«كَانَ أَبِي إِذَا دَعَا لَهُ رَجُلٌ يَقُولُ: لَيْسَ يُحْرِزُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا حُفْرَتَهُ، الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»(٤).

❁ **مِحْنَتُهُ:**

قَالَ صَالِحٌ:

«**قَالَ أَبِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ، حُوِّلْتُ مِنَ السِّجْنِ إِلَىٰ دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَا مُقَيَّدٌ بِقَيْدٍ وَاحِدٍ يُوَجَّهُ إِلَيَّ

---

(١) «جَلَاءُ الْعَيْنَيْنِ» (صَحِيفَةُ: ٢٣٦).

(٢) «سِيرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٤٢).

(٣) سِيرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ (صَحِيفَةُ: ٤٦).

(٤) «سِيرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ٤٨).

كُلَّ يَوْمٍ رَجُلَيْنِ - سَمَّاهُمَا أَبِي، قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: وَهُمَا أَحْمَدُ بْنُ رَبَاحٍ، وَأَبُو شُعَيْبٍ الْحَجَّامُ - يُكَلِّمَانِي وَيُنَاظِرَانِي، فَإِذَا أَرَادَا الِانْصِرَافَ دُعِيَ بِقَيْدٍ، فَقُيِّدْتُ، فَمَكَثْتُ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَصَارَ فِي رِجْلِي أَرْبَعَةُ أَقْيَادٍ.

فَقَالَ لِي أَحَدُهُمَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فِي كَلَامٍ دَارَ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ اللهِ؛ فَقَالَ: عِلْمُ اللهِ مَخْلُوقٌ. قُلْتُ: يَا كَافِرُ كَفَرْتَ! فَقَالَ لِيَ الرَّسُولُ الَّذِي كَانَ يَحْضُرُ مَعَهُمْ مِنْ قِبَلِ إِسْحَاقَ: هَذَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَدْ كَفَرَ. وَكَانَ صَاحِبُهُ الَّذِي يَجِيءُ مَعَهُ خَارِجًا، فَلَمَّا دَخَلَ قُلْتُ: إِنَّ هَذَا زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللهِ مَخْلُوقٌ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَالْمُنْكِرِ عَلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ.

قَالَ أَبِي: وَأَسْمَاءُ اللهِ فِي الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ مِنْ عِلْمِ اللهِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ.

قَالَ أَبِي: فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الرَّابِعَةِ بَعْدَ عِشَاءِ الْآخِرَةِ وَجَّهَ - يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ - بِبُغَا إِلَىٰ إِسْحَاقَ يَأْمُرُهُ بِحَمْلِي، فَأُدْخِلْتُ عَلَىٰ إِسْحَاقَ فَقَالَ لِي: يَا أَحْمَدُ، إِنَّهَا وَاللهِ نَفْسُكَ، إِنَّهُ قَدْ حَلَفَ أَلَّا يَقْتُلَكَ بِالسَّيْفِ، وَأَنْ يَضْرِبَكَ ضَرْبًا بَعْدَ ضَرْبٍ، وَأَنْ يُلْقِيَكَ فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَىٰ فِيهِ الشَّمْسَ، أَلَيْسَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزُّخْرُفُ: ٣]، أَفَيَكُونُ مَجْعُولًا إِلَّا مَخْلُوقًا؟!

قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ: فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفِيلُ: ٥]، أَفَخَلَقَهُمْ؟! قَالَ: فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ.

قَالَ أَبِي: فَأُنْزِلْتُ إِلَىٰ شَاطِئِ دِجْلَةَ، فَأُحْدِرْتُ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ

الْبُسْتَانِ وَمَعِي بَغَا الْكَبِيرُ وَرَسُولٌ مِنْ قِبَلِ إِسْحَاقَ.

فَقَالَ بَغَا لمُحَمَّدٍ الْحَارِسِ بِالْفَارِسِيَّةِ: مَا تُرِيدُونَ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: يُرِيدُونَ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ.

فَقَالَ: مَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، إِلَّا قَوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَقَرَابَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ أَبِي: فَلَمَّا صِرْنَا إِلَىٰ الشَّطِّ أُخْرِجْتُ مِنَ الزَّوْرَقِ وَحُمِلْتُ عَلَىٰ دَابَّةٍ وَالْأَقْيَادُ عَلَيَّ وَمَا مَعِي أَحَدٌ يُمْسِكُنِي، فَجَعَلْتُ أَكَادُ أَخِرُّ عَلَىٰ وَجْهِي، حَتَّىٰ انْتُهِيَ بِي إِلَىٰ الدَّارِ، فَأُدْخِلْتُ، ثُمَّ خُرِجَ بِي إِلَىٰ حُجْرَةٍ، فَصُيِّرْتُ فِي بَيْتٍ مِنْهَا، وَأُغْلِقَ عَلَيَّ الْبَابُ، وَأُقْعِدَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ سِرَاجٌ، فَاحْتَجْتُ إِلَىٰ الْوُضُوءِ، فَمَدَدْتُ يَدِي اطْلُبُ شَيْئًا، فَإِذَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَطَشْتٌ، فَتَهَيَّأْتُ لِلصَّلَاةِ، وَقُمْتُ أُصَلِّي، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ جَاءَنِي الرَّسُولُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَأَدْخَلَنِي الدَّارَ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَابْنُ أَبِي دُؤَادٍ حَاضِرٌ، وَقَدْ جَمَعَ أَصْحَابَهُ، وَالدَّارُ غَاصَّةٌ بِأَهْلِهَا، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ سَلَّمْتُ، فَقَالَ: أُدْنُهْ أُدْنُهْ. فَلَمْ يَزَلْ يُدْنِينِي حَتَّىٰ قَرُبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: اجْلِسْ. فَجَلَسْتُ وَقَدْ أَثْقَلَتْنِي الْأَقْيَادُ، فَلَمَّا مَكَثْتُ هُنَيْهَةً قُلْتُ: تَأْذَنُ فِي الْكَلَامِ؟

قَالَ: تَكَلَّمْ. قُلْتُ: إِلَىٰ مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُهُ؟

قَالَ: إِلَىٰ شَهَادَةِ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ جَدَّكَ ابْنَ عَبَّاسٍ حَكَىٰ أَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ النَّبِيِّ

ﷺ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ**».

قَالَ أَبِي: فَقَالَ لِي عِنْدَ ذَلِكَ: لَوْلَا أَنِّي وَجَدْتُكَ فِي يَدِ مَنْ كَانَ قَبْلِي مَا عَرَضْتُ لَكَ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىٰ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَلَمْ آمُرْكَ أَنْ تَرْفَعَ الْمِحْنَةَ؟!

قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّ فِي هَذَا لَفَرَجًا لِلْمُسْلِمِينَ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ: نَاظِرُوهُ وَكَلِّمُوهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، كَلِّمْهُ.

فَقَالَ لِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟

قُلْتُ: مَا تَقُولُ فِي عِلْمِ اللهِ؟ قَالَ: فَسَكَتَ.

قَالَ أَبِي: فَجَعَلَ يُكَلِّمُنِي هَذَا وَهَذَا، فَأَرُدُّ عَلَىٰ هَذَا، ثُمَّ أَقُولُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ أَقُولُ بِهِ ذَلِكَ.

فَيَقُولُ لِي ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: وَأَنْتَ لَا تَقُولُ إِلَّا كَمَا فِي كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: تَأَوَّلْتَ تَأْوِيلًا فَأَنْتَ أَعْلَمُ، وَمَا تَأَوَّلْتَ مَا يُحْبَسُ عَلَيْهِ وَيُقَيَّدُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: فَهُوَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ، وَهَؤُلَاءِ قُضَاتُكَ وَالْفُقَهَاءُ، فَسَلْهُمْ.

قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ؟

فَيَقُولُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ.

قَالَ: فَلَا يَزَالُونَ يُكَلِّمُونِي.

وَقَالَ: وَجَعَلَ صَوْتِي يَعْلُو عَلَىٰ أَصْوَاتِهِمْ، فَقَالَ لِي إِنْسَانٌ مِنْهُمْ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٢]؛ فَيَكُونُ مُحْدَثٌ إِلَّا مَخْلُوقًا.

قُلْتُ لَهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١]، فَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَيْلَكَ! أَوَ لَيْسَ فِيهَا لَا أَلِفَ وَلَا لَامَ؟

قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ سَمَاعَةَ لَا يَفْهَمُ مَا أَقُولُ. قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُمْ: مَا يَقُولُ؟ قَالَ: فَقَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: فَقَالَ لِي إِنْسَانٌ مِنْهُمْ: حَدِيثُ خَبَّابٍ: «**يَا هَنْتَاهُ تَقَرَّبْ إِلَىٰ اللهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ**».

قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، هَكَذَا هُوَ.

قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَيَلْحَظُهُ مُتَغَيِّظًا عَلَيْهِ.

قَالَ أَبِي: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَيْسَ قَالَ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٠٢].

قَالَ: قُلْتُ: قَدْ قَالَ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ [الْأَحْقَافُ: ٢٥]، فَدَمَّرَتْ إِلَّا مَا أَرَادَ اللهُ؟

وَقَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُهُم فِيمَا يَقُولُ، وَذَكَرَ حَدِيثَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: «**أَنَّ اللهَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كَتَبَ الذِّكْرَ**»، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ خَلَقَ الذِّكْرَ.

قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا خَطَأٌ، حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ: «**كَتَبَ الذِّكْرَ**».

قَالَ أَبِي: فَكَانَ إِذَا انْقَطَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمُ اعْتَرَضَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا قَارَبَ الزَّوَالُ قَالَ لَهُمْ: قُومُوا. ثُمَّ حَبَسَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ إِسْحَاقَ فَخَلَا بِي وَبِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَجَعَلَ يَقُولُ لِي: أَمَا كُنْتَ تَعْرِفُ صَالِحًا الرَّشِيدِيَّ، كَانَ مُؤَدِّبِي، وَكَانَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ جَالِسًا - وَأَشَارَ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ مِنَ الدَّارِ -، قَالَ: فَتَكَلَّمَ وَذَكَرَ الْقُرْآنَ فَخَالَفَنِي، فَأَمَرْتُ بِهِ فَسُحِبَ وَوُطِئَ.

قَالَ أَبِي: ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لِي: مَا أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ تَأْتِينَا!

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْرِفُهُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، يَرَىٰ طَاعَتَكَ وَالْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَعَكَ، وَهُوَ مُلَازِمٌ لِمَنْزِلِهِ.

قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: وَاللهِ إِنَّهُ لَفَقِيهٌ، وَإِنَّهُ لَعَالِمٌ، وَمِمَّا يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ مِثْلُهُ مَعِي، يَرُدُّ عَنِّي أَهْلَ الْمِلَلِ، وَلَئِنْ أَجَابَنِي إِلَىٰ شَيْءٍ لَهُ فِيهِ أَدْنَىٰ فَرَجٍ لَأُطْلِقَنَّ عَنْهُ بِيَدِي وَلَأُوَطِّئَنَّ عَقِبَهُ، وَلَأَرْكَبَنَّ إِلَيْهِ بِجُنْدِي.

قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيّ فَيَقُولُ: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! مَا تَقُولُ؟

قَالَ: فَأَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ.

فَلَمَّا طَالَ بِنَا الْمَجْلِسُ ضَجِرَ، فَقَامَ، فَرُدِدْتُ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ.

ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيَّ بِرَجُلَيْنِ سَمَّاهُمَا؛ وَهُمَا صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ وَغَسَّانُ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ يُنَاظِرَانِي، فَيُقِيمَانِ مَعِي، حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ الْإِفْطَارُ وَجَّهَ إِلَيْنَا بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا طَعَامٌ فَجَعَلَا يَأْكُلَانِ، وَجَعَلْتُ أَتَعَلَّلُ حَتَّىٰ رَفَعَ الْمَائِدَةَ، وَأَقَامَا إِلَىٰ غَدٍ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ يَجِيءُ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ فَيَقُولُ لِي: يَا أَحْمَدُ، يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: مَا تَقُولُ؟

فَأَقُولُ لَهُ: أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ، حَتَّىٰ أَقُولَ بِهِ.

فَقَالَ لِي ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: وَاللهِ لَقَدْ كَتَبَ اسْمَكَ فِي الشِّيعَةِ، فَمَحَوْتُهُ، وَلَقَدْ سَاءَنِي أَخْذُهُمْ إِيَّاكَ، وَإِنَّهُ وَاللهِ لَيْسَ هُوَ السَّيْفَ، إِنَّهُ ضَرْبٌ بَعْدَ ضَرْبٍ.

ثُمَّ يَقُولُ لِي: مَا تَقُولُ؟ فَأَرُدُّ عَلَيْهِ نَحْوًا، ثُمَّ يَأْتِي رَسُولُهُ فَيَقُولُ: أَيْنَ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ؟ أَجِبْ. لِلرَّجُلِ الَّذِي أُنْزِلْتُ فِي حُجْرَتِهِ، فَيَذْهَبُ ثُمَّ يَعُودُ فَيَقُولُ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: مَا تَقُولُ؟ فَأَرُدُّ عَلَيْهِ نَحْوًا مِمَّا رَدَدْتُ عَلَىٰ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ، فَلَا يَزَالُ رُسُلُهُ تَأْتِي، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ وَهُوَ يَخْتَلِفُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَيَقُولُ: يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَجِبْنِي حَتَّىٰ أَجِيءَ فَأُطْلِقَ عَنْكَ بِيَدِي.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، أُدْخِلْتُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: نَاظِرُوهُ، كَلِّمُوهُ.

قَالَ: فَجَعَلُوا يَتَكَلَّمُونَ، هَذَا مِنْ هَاهُنَا، وَهَذَا مِنْ هَاهُنَا، فَأَرُدُّ عَلَىٰ هَذَا وَهَذَا، فَإِذَا جَاؤُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَا فِيهِ

خَبَرٌ وَلَا أَثَرٌ؛ قُلْتُ: مَا أَدْرِي مَا هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَوَجَّهَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ عَلَيْنَا وَثَبَ، وَإِذَا كَلَّمْنَاهُ بِشَيْءٍ يَقُولُ: لَا أَدْرِي مَا هَذَا!

قَالَ: فَيَقُولُ: نَاظِرُوهُ.

قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَحْمَدُ، إِنِّي عَلَيْكَ شَفِيقٌ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَرَاكَ تَذْكُرُ الْحَدِيثَ وَتَنْتَحِلُهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[النِّسَاءُ: ١١].

فَقَالَ: خَصَّ اللهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَقُولُ إِنْ كَانَ قَاتِلًا أَوْ عَبْدًا أَو يَهُودِيًّا أَو نَصْرَانِيًّا.

قَالَ: فَسَكَتَ.

قَالَ أَبِي: وَإِنَّمَا احْتَجَجْتُ عَلَيْهِ بِهَذَا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْتَجُّونَ عَلَيَّ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ، وَبِقَوْلِهِ: أَرَاكَ تَنْتَحِلُ الْحَدِيثَ.

وَكَانَ إِذَا انْقَطَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمُ اعْتَرَضَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ، فَيَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهِ لَئِنْ أَجَابَكَ لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ؛ فَيُعِيدُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْقِيَامِ، وَخَلَا بِي وَبِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَيَدُورُ بَيْنَنَا كَلَامٌ كَثِيرٌ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُ لِي: تَدْعُو أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادٍ؟ فَأَقُولُ: ذَلِكَ إِلَيْكَ. فَيُوَجِّهُ

إِلَيْهِ فَيَجِيءُ فَيَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا طَالَ بِنَا الْمَجْلِسُ قَامَ وَرُدِدْتُ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَجَاءَنِي الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ كَانَا عِنْدِي بِالْأَمْسِ، فَجَعَلَا يَتَكَلَّمَانِ، فَدَارَ بَيْنَنَا كَلَامٌ كَثِيرٌ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْإِفْطَارِ جِيءَ بِطَعَامٍ عَلَىٰ نَحْوٍ مِمَّا أُتِيَ بِهِ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ، فَأَفْطَرَا، وَتَعَلَّلْتُ، وَجَعَلَتْ رُسُلُهُ تَأْتِي أَحْمَدَ بْنَ عَمَّارٍ، فَيَمْضِي إِلَيْهِ، وَيَأْتِينِي بِرِسَالَتِهِ عَلَىٰ نَحْوٍ مِمَّا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ، وَجَاءَنِي ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ؛ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ حَلَفَ أَنْ يَضْرِبَكَ ضَرْبًا بَعْدَ ضَرْبٍ، وَأَنْ يَحْبِسَكَ فِي مَوْضِعٍ لَا تَرَىٰ فِيهِ الشَّمْسَ.

فَقُلْتُ لَهُ: فَمَا أَصْنَعُ؟

حَتَّىٰ إِذَا كِدْتُ أَنْ أُصْبِحَ قُلْتُ: لَخَلِيقٌ أَنْ يَحْدُثَ مِنْ أَمْرِي فِي هَذَا الْيَوْمِ شَيْءٌ، وَقَدْ كُنْتُ أَخْرَجْتُ تِكَّتِي مِنْ سَرَاوِيلِي فَشَدَدْتُ بِهَا الْأَقْيَادَ احْمِلُهَا بِهَا إِذَا تَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لبَعْضِ مَنْ كَانَ مَعَ الْمُوَكَّلَيْنِ: ارْتَدْ لِي خَيْطًا. فَجَاءَنِي بِخَيْطٍ فَشَدَدْتُ الْأَقْيَادَ وَأَعَدْتُ التِّكَّةَ فِي السَّرَاوِيلِ، وَلَبِسْتُهُ كَرَاهِيَةَ أَن يَحْدُثَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي فَأَتَعَرَّىٰ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أُدْخِلْتُ عَلَيْهِ، وَالْقَوْمُ حُضُورٌ، فَجَعَلْتُ أَدْخُلُ مِنْ دَارٍ إِلَىٰ دَارٍ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السُّيُوفُ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السِّيَاطُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الزِّيِّ وَالسِّلَاحِ، وَقَدْ حُشِرَتِ الدَّارُ بِالْجُنْدِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْيَوْمَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ كَثِيرُ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ.

حَتَّىٰ إِذَا صِرْتُ إِلَيْهِ قَالَ: نَاظِرُوهُ، كَلِّمُوهُ.

فَعَادُوا بِمِثْلِ مُنَاظَرَتِهِمْ، وَدَارَ بَيْنَنَا كَلَامٌ كَثِيرٌ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي

يَخْلُو فِيهِ، فَجَاءَنِي، ثُمَّ اجْتَمَعُوا فَشَاوَرَهُمْ، وَمِنْ ثَمَّ نَحَّاهُمْ، وَدَعَانِي فَخَلَا بِي وَبِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! أَنَا عَلَيْكَ وَاللهِ شَفِيقٌ، وَإِنِّي لَأُشْفِقُ عَلَيْكَ مِثْلَ شَفَقَتِي عَلَىٰ هَارُونَ ابْنِي، فَأَجِبْنِي. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ. فَلَمَّا ضَجِرَ وَطَالَ الْمَجْلِسُ قَالَ لِي: عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ! لَقَدْ كُنْتُ طَمِعْتُ فِيكَ! خُذُوهُ فَاسْحَبُوهُ.

قَالَ: فَأُخِذْتُ وَسُحِبْتُ، ثُمَّ خُلِّعْتُ، ثُمَّ قَالَ: الْعُقَابَيْنِ وَالسِّيَاطَ. فَجِيءَ بِالْعُقَابَيْنِ وَالسِّيَاطِ.

قَالَ أَبِي: وَقَدْ كَانَ صَارِ إِلَيَّ شَعْرَةٌ أَوْ شَعْرَتَانِ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَرَرْتُهُمَا كُمَّ قَمِيصِي، فَنَظَرَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ إِلَىٰ الصُّرَّةِ فِي كُمِّ قَمِيصِي فَوَجَّهَ إِلَيَّ: مَا هَذَا؟ مِصَرٌّ! وَزِّنِي كُمَّكَ.

فَقُلْتُ: شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ. وَسَعَىٰ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَىٰ الْقَمِيصِ لِيَحْرِقَهُ فِي وَقْتِ مَا أُقِمْتُ بَيْنَ الْعُقَابَيْنِ.

فَقَالَ لَهُمْ -يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ-: لَا تَحْرِقُوهُ، انْزَعُوهُ عَنْهُ.

قَالَ: إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهُ دُرِئَ عَنِ الْقَمِيصِ الْحَرْقُ بِسَبَبِ الشَّعْرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ، ثُمَّ صُيِّرْتُ بَيْنَ الْعُقَابَيْنِ، وَشُدَّتْ يَدِي وَجِيءَ بِكُرْسِيٍّ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَابْنُ أَبِي دُؤَادٍ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ قِيَامٌ مِمَّنْ حَضَرَ، فَقَالَ لِي إِنْسَانٌ مِمَّنْ شَدَّنِي: خُذْ بِأَيِّ الْخَشَبَتَيْنِ بِيَدِكَ وَشُدَّ عَلَيْهِمَا. فَلَمْ أَفْهَمْ مَا قَالَ، فَتَخَالَفَتْ يَدَايَ

لَمَّا شُدَّتْ، وَلَمْ أُمْسِكِ الْخَشَبَتَيْنِ.

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: وَلَمْ يَزَلْ أَبِي - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - يَتَوَجَّعُ مِنْهُمَا إِلَىٰ أَنْ تُوُفِّيَ.

ثُمَّ قَالَ لِلْجَلَّادِينَ: تَقَدَّمُوا. فَنَظَرَ إِلَىٰ السِّيَاطِ، فَقَالَ: ائْتُوا بِغَيْرِهَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: تَقَدَّمُوا.

فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ: أُدْنُهْ، أَوْجِعْ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ.

فَتَقَدَّمَ فَضَرَبَنِي سَوْطَيْنِ، ثُمَّ تَنَحَّىٰ، ثُمَّ قَالَ لِآخَرَ: أُدْنُهْ، أَوْجِعْ شُدَّ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ. ثُمَّ تَقَدَّمَ فَضَرَبَنِي سَوْطَيْنِ، ثُمَّ تَنَحَّىٰ.

فَلَمْ يَزَلْ يَدْعُو وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ يَضْرِبُنِي سَوْطَيْنِ وَيَتَنَحَّىٰ، ثُمَّ قَامَ حَتَّىٰ جَاءَنِي وَهُمْ مُحْدِقُونَ بِهِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ، تَقْتُلُ نَفْسَكَ! وَيْحَكَ! أَجِبْنِي حَتَّىٰ أُطْلِقَ عَنْكَ بِيَدِي.

فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِي: وَيْلَكَ إِمَامُكَ عَلَىٰ رَأْسِكَ قَائِمٌ!

قَالَ لِي: عَجِيفٌ! فَنَخَسَنِي بِقَائِمِ سَيْفِهِ، وَيَقُولُ: تُرِيدُ أَنْ تَغْلِبَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ!

وَجَعَلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: وَيْحَكَ! الْخَلِيفَةُ عَلَىٰ رَأْسِكَ قَائِمٌ.

قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ بَعضُهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَمُهُ فِي عُنُقِي. قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَجَلَسَ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ، ثُمَّ قَالَ لِلْجَلَّادِ: أُدْنُهْ، شُدَّ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ.

ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَدْعُو بِجَلَّادٍ بَعْدَ جَلَّادٍ فَيَضْرِبُنِي بِسَوْطَيْنِ وَيَتَنَحَّىٰ وَهُوَ يَقُولُ: شُدَّ قَطَعَ اللهُ يَدَكَ.

ثُمَّ قَامَ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا أَحْمَدُ، أَجِبْنِي. فَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ يَقُولُ: مَنْ صَنَعَ بِنَفسِهِ مِنْ أَصْحَابِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَا صَنَعْتَ؟! هَذَا يَحْيَىٰ بْنُ مَعِينٍ، وَهَذَا أَبُو خَيْثَمَةَ، وَابْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ. وَجَعَلَ يَعُدُّ عَلَيَّ مَنْ أَجَابَ.

قَالَ: وَجَعَلَ وَهُوَ يَقُولُ: وَيْحَكَ! أَجِبْنِي.

قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ نَحْوَ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ.

قَالَ: فَرَجَعَ فَجَلَسَ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لِلْجَلَّادِ: شُدَّ، قَطَعَ اللهُ يَدَكَ.

قَالَ أَبِي: فَذَهَبَ عَقْلِي، فَمَا عَقِلْتُ إِلَّا وَأَنَا فِي حُجْرَةٍ مُطْلَقٌ عَنِّي الْأَقْيَادُ، وَقَالَ لِي إِنْسَانٌ مِمَّنْ حَضَرَ: إِنَّا أَكْبَبْنَاكَ عَلَىٰ وَجْهِكَ، وَطَرَحْنَا عَلَىٰ ظَهْرِكَ بَارِيةً وَدُسْنَاكَ.

قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ: مَا شَعَرْتُ بِذَاكَ.

قَالَ: فَجَاءُونِي بِسَوِيقٍ، فَقَالُوا: اشْرَبْ. فَقُلْتُ: لَا أُفْطِرُ. فَجِيءَ بِهِ إِلَىٰ دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ.

قَالَ أَبِي: فَنُودِيَ بِصَلَاةِ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْنَا الظُّهْرَ.

وَقَالَ ابْنُ سَمَاعَةَ: صَلَّيْتَ وَالدَّمُ يَسِيلُ مِنْ ضَرْبِكَ!

فَقُلْتُ لَهُ: صَلَّىٰ عُمَرُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا. فَسَكَتْ.

ثُمَّ خُلِّيَ عَنْهُ فَصَارَ إِلَىٰ الْمَنْزِلِ، وَوُجِّهَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ مِنَ السِّجْنِ مِمَّنْ يُبْصِرُ الضَّرْبَ وَالْجِرَاحَاتِ، يُعَالِجُ مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: قَالَ لَنَا: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ ضَرْبَ السِّيُوطِ، مَا رَأَيْتُ ضَرْبًا أَشَدَّ مِنْ هَذَا! لَقَدْ جُرَّ عَلَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ قُدَّامِهِ،

ثُمَّ أَدْخَلَ مِيلًا فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجِرَاحَاتِ.

فَقَالَ: لَمْ يُنَفِّلْ، فَجَعَلَ يَأْتِيهِ فَيُعَالِجُهُ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ وَجْهَهُ غَيْرُ ضَرْبَةٍ، ثُمَّ مَكَثَ يُعَالِجُهُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا شَيْءٌ أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَهُ، فَجَاءَ بِحَدِيدَةٍ فَجَعَلَ يُعَلِّقُ اللَّحْمَ بِهَا، وَيَقْطَعُهُ بِسِكِّينٍ مَعَهُ، وَهُوَ صَابِرٌ يَحْمَدُ اللهَ لِذَلِكَ، فَبَرَأَ مِنْهُ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَوَجَّعُ مِنْ مَوَاضِعَ مِنْهُ، وَكَانَ أَثَرُ الضَّرْبِ بَيِّنًا فِي ظَهْرِهِ إِلَىٰ أَنْ تُوُفِّيَ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَيْتُ الْمَجْهُودَ مِنْ نَفْسِي، وَلَوَدِدْتُ أَنْ أَنْجُوَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ كَفَافًا، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي.

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: أَخْبَرَنِي أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا مَعَهُ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَاحِبَ حَدِيثٍ، قَدْ سَمِعَ وَنَظَرَ، ثُمَّ جَاءَنِي بَعْدُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا - يَعْنِي - يُشْبِهُهُ.

لَقَدْ جَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ فِي وَقْتِ مَا يُوَجَّهُ إِلَيْنَا الطَّعَامُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَنْتَ صَائِمٌ، وَأَنْتَ فِي مَوضِعِ تَقِيَّةٍ. وَلَقَدْ عَطِشَ فَقَالَ لِصَاحِبِ الشَّرَابِ: نَاوِلْنِي. فَنَاوَلَهُ قَدَحًا فِيهِ مَاءٌ ثَلْجٍ، فَأَخَذَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ هُنَيْهَةً، ثُمَّ رَدَّهُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَىٰ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ.

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: قَدْ كُنْتُ أَلْتَمِسُ وَأَحْتَالُ أَنْ أُوَصِّلَ إِلَيْهِ طَعَامًا، أَوْ رَغِيفًا أَوْ رَغِيفَيْنِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ حَضَرَهُ، قَالَ: فَقَدْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ، وَهُمْ يُنَاظِرُونَهُ وَيُكَلِّمُونَهُ، فَمَا لَحَنَ، وَلَا ظَنَنْتُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ فِي مِثْلِ شَجَاعَتِهِ، وَشِدَّةِ قَلْبِهِ.

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - يَوْمًا، وَقُلْتُ لَهُ: بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ فَضْلٍ الْأَنْمَاطِيِّ، فَقَالَ: اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ؛ إِذْ لَمْ أَقُمْ بِنُصْرَتِكَ.

فَقَالَ فَضْلٌ: لَا جَعَلْتُ أَحَدًا فِي حِلٍّ.

فَتَبَسَّمَ أَبِي وَسَكَتَ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ مَرَرْتُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[الشُّورَىٰ: ٤٠]، فَنَظَرْتُ فِي تَفْسِيرِهَا فَإِذَا هُوَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ؛ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ الْحَسَنَ يَقُولُ: إِذَا جَثَتِ الْأُمَمُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نُودُوا، لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا.

قَالَ أَبِي: فَجَعَلْتُ الْمَيِّتَ فِي حِلٍّ مِنْ ضَرْبِهِ إِيَّايَ. ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: وَمَا عَلَىٰ رَجُلٍ إِنْ لَمْ يُعَذِّبِ اللهُ بِسَبَبِهِ أَحَدًا»(١).

۞ مَرَضُهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ:

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: وَكَانَ أَبِي قَدْ أَدْمَنَ الصَّوْمَ لَمَّا قَدِمَ، وَجَعَلَ لَا يَأْكُلُ الدَّسَمَ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُشْتَرَىٰ لَهُ شَحْمٌ بِدِرْهَمٍ فَيَأْكُلُ مِنْهُ شَهْرًا، فَتَرَكَ أَكْلَ الشَّحْمِ، وَأَدَامَ الصَّوْمَ وَالْعَمَلَ، وَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ جَعَلَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ذَلِكَ إِنْ سَلِمَ.

---

(١) «سِيرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ص٦٥).

وَكَانَ قَدْ حُمِلَ أَبِي إِلَىٰ الْمُتَوَكِّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، ثُمَّ مَكَثَ إِلَىٰ سَنَةِ إِحْدَىٰ وَأَرْبَعِينَ، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ يَمْضِي إِلَّا وَرَسُولُ الْمُتَوَكِّلِ يَأْتِيهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، حُمَّ أَبِي لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَهُوَ مَحْمُومٌ يَتَنَفَّسُ نَفَسًا شَدِيدًا، وَكُنْتُ قَدْ عَرَفْتُ عِلَّتَهُ، وَكُنْتُ أُمَرِّضُهُ إِذَا اعْتَلَّ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَهْ، عَلَىٰ مَا أَفْطَرْتَ الْبَارِحَةَ؟

قَالَ: عَلَىٰ مَاءِ بَاقِلَّاءَ.

ثُمَّ أَرَادَ الْقِيَامَ، فَقَالَ: خُذْ بِيَدِي. فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَىٰ الْخَلَاءِ ضَعُفَتْ رِجْلَاهُ حَتَّىٰ تَوَكَّأَ عَلَيَّ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ غَيْرُ مُتَطَبِّبٍ، كُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ، فَوَصَفَ لَهُ طَبِيبٌ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَرْعَةً تُشْوَىٰ وَيُسْقَىٰ مَاءَهَا، وَهَذَا يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ، وَتُوفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

فَقَالَ: يَا صَالِحُ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ.

قَالَ: لَا تَشْوِي فِي مَنْزِلِكَ، وَلَا فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللهِ أَخِيكَ.

وَصَارَ الْفَتْحُ بْنُ سَهْلٍ إِلَىٰ الْبَابِ لِيَعُودَهُ، فَحَجَبْتُهُ، وَأَتَىٰ عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ فَحَجَبْتُهُ، وَكَثُرَ النَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَهْ، قَدْ كَثُرَ النَّاسُ.

قَالَ: فَأَيَّ شَيْءٍ تَرَىٰ؟

قُلْتُ: تَأْذَنُ لَهُمْ، فَيَدْعُونَ لَكَ.

قَالَ: اسْتَخِرِ اللهَ.

فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَفْوَاجًا، حَتَّىٰ تَمْتَلِئَ الدَّارُ، فَيَسْأَلُونَهُ وَيَدْعُونَ لَهُ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، وَيَدْخُلُ فَوْجٌ آخَرُ، وَكَثُرَ النَّاسُ، وَامْتَلَأَ الشَّارِعُ، وَأَغْلَقْنَا بَابَ الزُّقَاقِ، وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ جِيرَانِنَا قَدْ خَضَبَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ أَبِي: إِنِّي لَأَرَىٰ الرَّجُلَ يُحْيِي شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فَأَفْرَحُ. فَدَخَلَ فَجَعَلَ يَدْعُو لَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: تَلَطَّفْ لِي بِالْإِذْنِ عَلَيْهِ، فَإِنِّي قَدْ حَضَرْتُ ضَرْبَهُ يَوْمَ الدَّارِ، وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَحِلَّهُ.

فَقُلْتُ لَهُ: فَأَمْسِكْ. فَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ قَالَ: أَدْخِلْهُ. فَأَدْخَلْتُهُ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَبْكِي، وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَنَا كُنْتُ مِمَّنْ حَضَرَ ضَرْبَكَ يَوْمَ الدَّارِ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ الْقِصَاصَ، فَأَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُحِلَّنِيَ فَعَلْتَ. فَقَالَ: عَلَىٰ أَنْ لَا تَعُودَ لِمِثْلِ ذَلِكَ.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: إِنِّي جَعَلْتُكَ فِي حِلٍّ. فَخَرَجَ يَبْكِي وَبَكَىٰ مَنْ حَضَرَ مِنَ النَّاسِ.

وَكَانَ لَهُ فِي خُرَيْقَةٍ قُطَيِّعَاتٌ، فَإِذَا أَرَادَ الشَّيْءَ أَعْطَيْنَا مَنْ يَشْتَرِي لَهُ، فَقَالَ لِي يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَأَنَا عِنْدَهُ: انْظُرْ! فِي خُرَيْقَتِي شَيْءٌ؟ فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا دِرْهَمٌ، فَقَالَ: وَجِّهْ فَاقْتَضِي بَعْضَ السُّكَّانِ. فَوَجَّهْتُ فَأَعْطَيْتُ شَيْئًا، فَقَالَ: وَجِّهْ فَاشْتَرِ تَمْرًا،

وَكَفِّرْ عَنِّي كَفَّارَةَ يَمِينٍ. فَوَجَّهْتُ فَاشْتَرَيْتُ وَكَفَّرْتُ عَنْهُ كَفَّارَةَ يَمِينٍ، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَقَالَ: اقْرَأْ عَلَيَّ الْوَصِيَّةَ. فَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ؛ فَأَقَرَّهَا.

وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ: «لَمْ يَزَلْ أَبِي يُصَلِّي فِي مَرَضِهِ قَائِمًا؛ أُمْسِكُهُ فَيَرْكَعُ وَيَسْجُدُ، وَأَرْفَعُهُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَىٰ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؛ قَدْ جَاءَتْكَ الْبُشْرَىٰ، هَذَا الْخَلْقُ يَشْهَدُونَ لَكَ، مَا تُبَالِي لَوْ وَرَدْتَ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ السَّاعَةَ. وَجَعَلَ يُقَبِّلُ يَدَهُ وَيَبْكِي، وَجَعَلَ يَقُولُ: أَوْصِنِي يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ. فَأَشَارَ إِلَىٰ لِسَانِهِ.

وَدَخَلَ سَوَّارُ الْقَاضِي، فَجَعَلَ يُبَشِّرُهُ، وَيُخْبِرُهُ بِالرُّخَصِ، وَذَكَرَ لَهُ عَنْ مُعْتَمِرٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ أَبِي عِنْدَ مَوتِهِ: حَدِّثْنِي بِالرُّخَصِ.

وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ أَوْجَاعُ الْحَصْرِ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَزَلْ عَقْلُهُ ثَابِتًا، وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُ: كَمِ الْيَوْمَ فِي الشَّهْرِ؟ فَأُخْبِرُهُ، وَكُنْتُ أَنَامُ بِاللَّيْلِ إِلَىٰ جَنْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ حَاجَةً حَرَّكَنِي فَأُنَاوِلُهُ، وَقَالَ لِي: جِئْنِي بِالْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ إِدْرِيسَ عَنْ لَيْثٍ عَنْ طَاوُسَ؛ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْأَنِينَ. فَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَئِنَّ إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا»[1].

❁ وَفَاتُه وَغَسْلُهُ وَكَفَنُهُ:

(٢٤١/ الْمُوَافِقُ: ٨٥٥ مِنَ التَّأْرِيخِ النَّصْرَانِيِّ).

---

(١) «سِيرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ١٢٥).

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبِي، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الشَّوَارِعِ وَجَّهْتُ إِلَيْهِمْ أُعْلِمُهُمْ بِوَفَاتِهِ، وَإِنِّي أُخْرِجُهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَوَجَّهَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ بِحَاجِبِهِ مُظَفَّرٍ وَمَعَهُ غُلَامَانِ مَعَهُمْ مَنَادِيلَ فِيهَا ثِيَابٌ وَطِيبٌ، فَقَالُوا: الْأَمِيرُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: قَدْ فَعَلْتُ مَا لَوْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَاضِرَهُ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَهُ. فَقُلْتُ لَهُ: أَقْرِئْهُ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَعْفَاهُ فِي حَيَاتِهِ مِمَّا كَانَ يَكْرَهُ، وَلَا أُحِبُّ أَنْ أُتْبِعَهُ بَعْدَ مَوتِهِ بِمَا كَانَ يَكْرَهُهُ فِي حَيَاتِهِ. فَعَادَ وَقَالَ: يَكُونُ شِعَارَهُ وَلَا يَكُونُ دِثَارَهُ. فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ.

وَقدْ كَانَ غَزَلَتْ لَهُ جَارِيَةٌ ثَوْبًا عُشَارِيًّا قُوِّمَ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا؛ لِيَقْطَعَ مِنْهُ قَمِيصَيْنِ، فَقَطَعْنَا لَهُ لِفَافَتَيْنِ وَأَخَذْنَا مِنْ بُورَانَ لِفَافَةً أُخْرَىٰ فَأَدْرَجْنَاهُ فِي ثَلَاثِ لَفَائِفَ وَاشْتَرَيْنَا حَنُوطًا.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا مِنَ الْعَطَّارِينَ سَأَلَنِي أَنْ يُوَجِّهَ بِحَنُوطٍ، فَلَمْ أَفْعَلْ، وَصُبَّ فِي حُبٍّ لَنَا مَاءٌ، فَقُلْتُ: قُولُوا لِأَبِي مُحَمَّدٍ يَشْتَرِي رِوَايَةً وَيَصُبُّ الْمَاءَ فِي الْحُبِّ الَّذِي كَانَ يَشْرَبُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُدْخَلَ مِنْ مَنَازِلِنَا إِلَيْهِ بِشَيْءٍ، وَفُرِغَ مِنْ غَسْلِهِ وَكَفَّنَّاهُ، وَحَضَرَ نَحْوٌ مِنْ مِائَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَنَحْنُ نُكَفِّنُهُ وَجَعَلُوا يُقَبِّلُونَ جَبْهَتَهُ حِينَ رَفَعْنَاهُ عَلَىٰ السَّرِيرِ... [وَ] وَجَّهَ إِلَيَّ ابْنُ طَاهِرٍ: مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قُلْتُ: أَنَا. فَلَمَّا صِرْنَا إِلَىٰ الصَّحْرَاءِ إِذَا ابْنُ طَاهِرٍ وَاقِفٌ، فَخَطَا إِلَيْنَا خُطُوَاتٍ وَعَزَّانَا وَوَضَعَ السَّرِيرَ، فَلَمَّا انْتَظَرْتُ هُنَيْهَةً تَقَدَّمْتُ وَجَعَلْتُ أُسَوِّي النَّاسَ، فَجَاءَنِي ابْنُ طَالُوتَ وَمُحَمَّدٌ، فَقَبَضَ هَذَا عَلَىٰ يَدِي وَهَذَا عَلَىٰ يَدِي

وَقَالُوا: الْأَمِيرُ. فَمَانَعْتُهُمْ، فَنَحَّيَانِي، فَصَلَّىٰ، وَلَمْ يَعْلَمِ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ عَلِمَ النَّاسُ؛ فَجَعَلُوا يَجِيئُونَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ عَلَىٰ الْقَبْرِ، وَمَكَثَ النَّاسُ مَا شَاءَ اللهُ يَأْتُونَ فَيُصَلُّونَ عَلَىٰ الْقَبْرِ»[١].

وَقِيلَ فِي جِنَازَتِهِ :

وَعِشْرُونَ أَلْفًا أَسْلَمُوا حِينَ عَايَنُوا ... جِنَازَتَهُ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مُضَلَّلِ

وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفِ مُوَحِّدٍ ... وَسِتُّمِئِي أَلْفٍ فَأَعْظِمْ وَأَكْمِلِ

فَقَدْ بَانَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلنَّاسِ فَضْلُهُ ... كَمَا كَانَ حَيًّا فَضْلُهُ ظَاهِرٌ جَلِي

أَقَرَّ لَهُ بِالفَضْلِ أَعْيَانُ وَقْتِهِ ... وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ بِالثَّنَاءِ المُبَجَّلِ



---

(١) «سِيرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (صَحِيفَةُ: ١٢٨).



مَنَامَاتٌ وَبُشْرَيَاتٌ(١)

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ: «رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ مَا صَنَعَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي. ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، ضُرِبْتَ فِيَّ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. قَالَ: يَا أَحْمَدُ، هَذَا وَجْهِي فَانْظُرْ إِلَيْهِ، فَقَدْ أَبَحْتُكَ النَّظَرَ إِلَيْهِ».

وَرَوَىٰ الْخَطِيبُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْمُوَفَّقِ، أَوْ يَحْيَىٰ الْجَلَّاءِ؛ أَنَّهُ قَالَ: «نَاظَرَنِي رَجُلٌ مِنَ الْوَاقِفِيَّةِ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، فَنَالَنِي مِنْهُ مَا أَكْرَهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَتَيْتُ امْرَأَتِي فَوَضَعَتْ لِيَ الْعَشَاءَ، فَلَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَنَالَ مِنْهُ شَيْئًا، فَنِمْتُ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَهُنَاكَ حَلْقَةٌ فِيهَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَأَصْحَابُهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ

---

(١) وَطَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْمَنَامَاتِ والرُّؤَىٰ أَنَّهَا **لَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَا أَحْكَامٌ عَلَىٰ الْأَشْخَاصِ،** غَيْرَ أَنَّهَا مِن جُمْلَةِ الْمُبَشِّرَاتِ وَمِنْ عَاجِلِ بُشْرَىٰ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَم يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ.** قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: **الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**». وَانْظُرْ: «مُخْتَصَرَ الِاعْتِصَامِ» (صَحِيفَةُ: (٦٦)، وَمَا بَعْدَهَا)؛ فَفِيهِ تَفْصِيلٌ رَائِعٌ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الطُّرُقِيِّينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْمَنَامَاتِ مَصْدَرًا مِنْ مَصَادِرِ الْأَحْكَامِ!

اللهِ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٨٩]، وَيُشِيرُ إِلَىٰ حَلْقَةِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ؛ ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٨٩]، وَيُشِيرُ إِلَىٰ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَصْحَابِهِ»[(١)].

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ شَبِيبٍ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَدَقَّ الْبَابَ، فَدَقَّ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً؛ فَقَالَ أَحْمَدُ: ادْخُلْ. فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَيُّكُمْ أَحْمَدُ؟ فَأَشَارَ بَعْضُنَا إِلَيْهِ، قَالَ: جِئْتُ مِنَ الْبَحْرِ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِمِائَةِ فَرْسَخٍ، أَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ: ائْتِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَسَلْ عَنْهُ، فَإِنَّكَ تُدَلُّ عَلَيْهِ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ اللهَ عَنْكَ رَاضٍ، وَمَلَائِكَةُ سَمَوَاتِهِ وَمَلَائِكَةُ أَرْضِهِ عَنْكَ رَاضُونَ. ثُمَّ خَرَجَ فَمَا سَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ وَلَا مَسْأَلَةٍ».

قَالَ يُوسُفُ بْنُ بُخْتَانٍ - وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ -: «لَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، رَأَىٰ رَجُلٌ فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ عَلَىٰ كُلِّ قَبْرٍ قِنْدِيلًا، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لَه: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ نُوِّرَ لِأَهْلِ الْقُبُورِ قُبُورَهُمْ بِنُزُولِ هَذَا الرَّجُلِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُعَذَّبُ فَرُحِمَ».

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَىٰ: «رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ تُوُفِّيَ، فَرَأَيْتُهُ فِيمَا يَرَىٰ النَّائِمُ، فَقُلْتُ لَهُ: بِاللهِ عَلَيْكَ مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي. فَقُلْتُ: بِاللهِ؟ قَالَ: بِاللهِ إِنَّهُ غَفَرَ لِي. فَقُلْتُ: بِمَاذَا غَفَرَ لَكَ؟ فَقَالَ: بِمَحَبَّتِي لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ. فَقُلْتُ: فَأَنْتَ فِي رَاحَةٍ؟ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: أَنَا فِي رَاحَةٍ وَفَرْحَةٍ».

(١) وَذَكَرَهَا أَيْضًا صَاحِبُ «الْمَنَاقِبِ» (صَحِيفَةُ: ٥٤٠).

خَاتِمَةٌ:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتِ، فَهَذَا جَمْعٌ مُخْتَصَرٌ عَلَىٰ عُجَالَةٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مَا يُرَدِّدُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي الشَّرِيعَةِ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِ اسْتِحْقَاقٍ، وَاللهُ الْمَسْؤُلُ أَنْ يَجْمَعَ الْأُمَّةَ عَلَىٰ الْحَقِّ وَأَنْ يَهْدِيَ أَبْنَاءَ الْمُسْلِمِينَ لِلرُّشْدِ، وَأَنْ يَرْزُقَهُمُ الْبِرَّ لِأَسْلَافِهِمُ الصَّالِحِينَ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ. آمِينَ.

وَكَتَبَ

مَحْمُودُ بْنُ حُسَيْنٍ آلِ عَوَضٍ

كَانَ اللهُ لَهُ





فهرس الموضوعات